

عامر ناجي

المشورة والنصيحة والأمر في العراق القديم

من الألف الثالث حتى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد

المشورة والنصيحة والأمر في العراق القديم

ناجي

المشورة والنصيحة والأمر في العراق القديم

إن تصوير الأساطير العراقية القديمة للقرارات التي تتخذها الآلهة على أنها نتاج مناقشة المجمع الذي يضمَّها , شكل دافعاً لنا للبحث في موضوع (المشورة والنصيحة والأمر في العراق القديم من الألف الثالث حتى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد) للتعرف على طبيعة المشاورات التي تناولها مجلس الآلهة , وطبيعة المشورة والنصح والأوامر التي تتخلل هذه الجلسات النقاشية والتعرف على الآلهة الأبرز التي اتصفت بإبداء المشورة والنصح وإصدار الأوامر من جانب , ومن جانب آخر وقعْ هذا المفهوم على مجمل حياة العراقي القديم بدءاً من تلقي المشورة أو النصح أو الأمر الصادر من قبل الآلهة إلى البشر وانتهاء بتلقيه المشورة والنصح والأوامر من قرين له في الخلقة , البحث يحاول تسليط الضوء على تأثير الفكر الاستشاري وإسداء النصح وعملية إصدار الأوامر في حياة الإنسان العراقي القديم للمدة الممتدة بين مطلع الألف الثالث حتى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد في مختلف مجالات الحياة الإنسانية , والدينية , والسياسية , والاجتماعية , والحربية , والقانونية , والتربوية , والعلمية , للوصول إلى معرفة مقدار تغلل الفكر القائم على المشورة والالتزام بالنصح والأوامر في مفاصل حياة هذا الإنسان , وبناء على مقتضيات البحث تم تقسيمه إلى اربعة فصول , وكل فصل من بينها تم تقسيمه إلى مباحث عدة.



عامر ناجي حسين , مدرس على ملاك المديرية العامة للتربية في محافظة واسط , كاتب وصحفي في المجالات الاجتماعية والتراثية والتاريخية , حاصل على شهادة الماجستير في التاريخ القديم.

978-620-2-34281-0

NOOR PUBLISHING

عامر ناجي

المشورة والنصيحة والأمر في العراق القديم

عامر ناجي

المشورة والنصيحة والأمر في العراق القديم

من الألف الثالث حتى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد

Noor Publishing

Cover image: www.ingimage.com

Publisher:
Noor Publishing
is a trademark of
International Book Market Service Ltd., member of OmniScriptum Publishing Group
17 Meldrum Street, Beau Bassin 71504, Mauritius

Printed at: see last page
ISBN: 978-620-2-34281-0

المشورة والنصيحة والأمر في العراق القديم

(من الألف الثالث حتى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد)

م . م . عامر ناجي حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَأمرُهُم شُورَى بَينَهُم)

صدق الله العلي العظيم

(الشورى : ٣٨)

الإهداء

إلى مدرستي الأولى .. أمّي

إلى معلمي الأول .. ابي (تغمدهما الله برحمته)

وإلى زوجتي .. عرفاناً مني لصبرها

وإلى قرة عيني ولدي .. حيدر و محمد

وإلى اساتذتي في قسم التاريخ جامعة واسط

أهدي ثمرة جهدي

عامر

المحتويات

ABBREVIATION (المختصرات)

مختصرات المصادر باللغة الانكليزية

At the Clarendon Press	CP
The Religious Tract Society	RTS
The University Of Chicago Press	UCP
the Oriental Institute of the University of Chicago	OIUC
An Introduction To the Archeology of Babylonia And Assyria	IABA
An Account Of the Early Races of Babylonia From Prehistoric Times To the Foundation of the of Babylonia Monarchy	AERBFPTFBM
Ancient Near East	ANE
Flood Stories With Genesis	FWG
yale University Press New	YUPN
Historical Texts And Building Inscriptions	HTBI
Grace Theological Journal	GTJ
From American Journal	FAJ
Journal of the American Oriental Study (new Haven)	JAOS
Journal of Cuneiform Studies	JCS

المُقدِمة

إن تصوير الأساطير العراقية القديمة للقرارات التي تتخذها الآلهة على أنها نتاج مناقشة المجمع الذي يضمَّها[1] ، شكل دافعاً لنا للبحث في موضوع (المشورة والنصيحة والأمر في العراق القديم من الألف الثالث حتى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد) للتعرف على طبيعة المشاورات التي تناولها مجلس الآلهة ، وطبيعة المشورة والنصح والأوامر التي تتخلل هذه الجلسات النقاشية والتعرف على الآلهة الأبرز التي اتصفت بإبداء المشورة والنصح وإصدار الأوامر من جانب ، ومن جانب آخر وقعْ هذا المفهوم على مجمل حياة العراقي القديم بدءاً من تلقي المشورة أو النصح أو الأمر الصادر من قبل الآلهة إلى البشر وانتهاء بتلقيه المشورة والنصح والأوامر من قرين له في الخلقة.

البحث يحاول تسليط الضوء على تأثير الفكر الاستشاري وإسداء النصح وعملية إصدار الأوامر في حياة الإنسان العراقي القديم للمدة الممتدة بين مطلع الألف الثالث حتى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد في مختلف مجالات الحياة الإنسانية ، والدينية ، والسياسية ، والاجتماعية ، والحربية ، والقانونية ، والتربوية ، والعلمية ، للوصول إلى معرفة مقدار تغلل الفكر القائم على المشورة والالتزام بالنصح والأوامر في مفاصل حياة هذا الإنسان.

وبناء على مقتضيات البحث تم تقسيمه إلى اربعة فصول ، وكل فصل من بينها تم تقسيمه إلى مباحث ، وبحسب هذا التقسيم جاء الفصل الأول بعنوان (المشورة والنصيحة والأمر لغةً واصطلاحاً ومعنيون) وقد تم تقسيمه إلى مبحثين تضمن الأول المشورة والنصيحة والأمر من الناحية اللغوية والاصطلاحية أما المبحث الثاني فتناول المعنيون بالمشورة والنصيحة والأمر وقد تم التوصل من خلال هذا الفصل إلى تعريف العنوان من الناحية اللغوية والاصطلاحية وكذلك التعريف بالمعنيون بتقديم المشورة والنصيحة ومن امتلك قدرة إصدار الأوامر.

[1]- هاري ساكز ، البابليون ، ترجمة سعيد الغانمي ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، (طرابلس الغرب : ٢٠٠٩) ، ص٥٦.

أما الفصل الثاني فجاء بعنوان (المشورة والنصيحة والأمر بين الآلهة) وقد تم تقسيم هذا الفصل إلى مبحثين الأول تم فيه تناول المشورة والنصيحة المتداولة بين الآلهة أما المبحث الثاني من هذا الفصل فتم فيه تناول الأوامر الصادرة من إله لآخر وقد توصل الفصل إلى أن المشورة والنصيحة والأمر كانت امراً سائداً بين الآلهة بحسب الفكر الاسطوري العراقي القديم.

اما الفصل الثالث والذي حمل عنوان (نصائح وأوامر الآلهة للإنسان) فتم تقسيمه إلى مبحثين الاول تناول نصائح الآلهة للإنسان والمبحث الثاني تم فيه تناول أوامر الآلهة للإنسان وقد تم التوصل من خلال كلا المبحثين إلى ان العراقي القديم كان متلقياً للنصائح والأوامر التي تصدر عن الآلهة وأنه كان ملزماً في كلتا الحالتين بتنفيذ ما تتضمنه وان الحالات التي قرر عناد الآلهة فيها قد عرضته للعقاب.

وجاء الفصل الرابع والاخير بعنوان (مشورة ونصائح وأوامر الإنسان للإنسان) وتضمن مشورة الإنسان للإنسان في المبحث الأول ونصائح الإنسان للإنسان في المبحث الثاني وفي المبحث الثالث تم تناول أوامر الإنسان للإنسان وقد شملت مشورة ونصائح وأوامر الإنسان للإنسان جميع الجوانب الحضارية من سياسية ودينية واجتماعية وتربوية وغيرها من المجالات.

والبحث قد خلص إلى نتيجة مفادها أن المشورة والنصائح والأوامر قد تضمنتها مختلف جوانب الحياة العراقية القديمة وأنها قد ركزت مفهوم تلقي من هو ادنى منزلة للمشورة والنصيحة والأمر ممن هم اعلا منزلة سواء كان ذلك متعلقاً بطبيعة العلاقة ما بين الآلهة والآلهة أو الآلهة والإنسان من كان منهم ذا صفة كالملوك أو لم يكن لهم صفة من عامة الناس وكذلك بين بني الإنسان مع مراعاة مسألة علو منزلة من هم في موضع تقديم المشورة والنصيحة وإصدار الأوامر عمن هم في موضع المتلقي.

وبتعدد الجوانب الحضارية التي تناولها البحث من دينية ، وسياسية ، وقانونية ، وحربية، وتربوية ، وأجتماعية ، وعلمية ، وفنية ، تعددت المصادر التي تم اعتمادها بصورة رئيسة في إنجازه ، وفي مقدمة هذه المصادر كانت المعُربة عن لغات مؤلفيها وفي طليعتها تلك التي تناولت النصوص المسمارية قراءة وتحليل ، ففيما يخص المؤلفات المتعلقة بالجانب الديني المستنبطة عن الأساطير العراقية القديمة ، شكلت مؤلفات الأساتذة صموئيل نوح كريمر وثوركيلد

جاكوبسن وهاري ساكز والكسندر هايدل ورينيه لابات وجان باتيرو والباحثة ستيفاني دالي مصادر رئيسة لإنجاز البحث.

وهذه المصادر تتمثل بالمؤلف القيم لكريمر الموسوم (الأساطير السومرية) وكذلك دراسته المعنونة (الديانة السومرية اللاهوت والطقس والأسطورة) المنشورة ضمن مؤلف الأستاذ فراس السواح (موسوعة تاريخ الأديان) الجزء الثاني ، وشكلت أهميتها للبحث في كونها نتاج قراءة للمدونات المسمارية مما أسهم في توفير ما يلزم البحث من الشواهد النصية وعلى وجه التحديد الجانبين الديني والسياسي ، وفيما يتعلق بالأستاذ جاكوبسن جاء بحثه عن بلاد الرافدين في المؤلف الموسوم (ما قبل الفلسفة الإنسان في مغامرته الفكرية الأولى) ، وكذلك بحثه في موسوعة تاريخ الأديان سالف الذكر والموسوم بـ(أديان ما بين النهرين (إطلالة عامة) ليسهم في رفد البحث بتفسيرات مهمة لبعض جوانب الفكر الديني والسياسي التي جاء البحث على ذكرها ، والمؤلف القيم الآخر كان للأستاذ هاري ساكز الموسوم (عظمة بابل) الذي كان إلى جانب المؤلفات السالفة الذكر في طليعة البحوث التي تم استقاء النصوص اللازمة لإنجاز هذا البحث ، وبالتعاقب كانت مؤلفات الأساتذة الذين تم ذكرهم في أعلاه والمتمثلة بـ(سفر التكوين البابلي) لهايدل و (المعتقدات الدينية في بلاد الرافدين) للابات و(بلاد الرافدين الكتابة –العقل –الآلهة) لباتيرو(أساطير من بلاد ما بين النهرين) لدالي معيناً نَهَلَ منه البحث نصوصاً عززت متبنيات البحث في أثبات حقيقة الفكر العراقي القائم على المشورة في الدين والسياسة وغيرها من الجوانب الحضارية.

أما فيما يتعلق بالمصادر غير المعُربة التي أفادت البحث في جانبه المتعلق بالدين فتمثل بمؤلف الأستاذ Jordan Michael الموسوم (GODS AND GODDESSES) والذي كان له أهميته في التعريف ببعض الآلهة متى ظهرت ونطاق فعاليتها في تصور الفكر العراقي القديم.

أما المؤلفات العربية المتعلقة بالجانب الديني التي أفادت البحث بصورة واضحة فيأتي في مقدمتها مؤلف الأستاذ الدكتور سامي سعيد الأحمد الموسوم (المعتقدات الدينية في العراق القديم) الذي أسهم في إيضاح بعض من الأفكار الدينية عند العراقي القديم ، وكذلك كانت

مؤلفات الأستاذ الدكتور فاضل عبد الواحد الموسومة (طرق العرافة في النصوص المسمارية) المنشور في مجلة كلية الآداب جامعة بغداد العدد ٢٥ لسنة ١٩٧٩ و (الطوفان في المراجع المسمارية) ودراسة (البديل في طقوس السحر عند البابليين) المنشورة في مجلة (الموقف الثقافي) من بين المؤلفات التي أستند عليها البحث لبيانها بعض أساليب الحصول على المشورة.

وفي الجانب السياسي تم اعتماد عدداً من المصادر الأساسية للحصول على الشواهد التاريخية النصية إلى جانب التفسيرات التي توصل إليها العلماء في هذا الشأن ، وفي طليعة هذه المصادر المعُربة منها مؤلف الأستاذ كريمر الموسوم (السومريون "تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم) ، وكذلك مؤلف الأستاذ أنطوان مورتكات (تاريخ الشرق الأدنى القديم) ، ومؤلف الأستاذ ساكز (البابليون) ، ومؤلف الأستاذ هورست كلينغل (حمورابي ملك بابل وعصره) ، والأستاذ جورج رو (العراق القديم) وجميع هذه المصادر تم الاعتماد عليها في استقصاء الشواهد السياسية النصية ذات العلاقة بمكنون البحث ، وكذلك التفسيرات والتعليقات ذات العلاقة.

أما المصادر العربية التي أعتمدها البحث فيأتي في طليعتها مؤلف الأستاذ الدكتور سامي سعيد الأحمد (العراق القديم) في جزئه الأول الذي رفد البحث بشروح وافية عن بعض الأحداث التاريخية التي تطرق لها البحث ، وكذلك مؤلف الأستاذ الدكتور حسين أحمد سلمان (كتابة التاريخ في وادي الرافدين في ضوء النصوص المسمارية) ، وأطروحة الأستاذ الدكتور طالب منعم الشمري (الوضع السياسي في الشرق الأدنى القديم بين القرنين السادس عشر والحادي عشر قبل الميلاد) اللذان وفرا للبحث بعض التفسيرات المهمة لأحداث تاريخية تم تناولها في البحث بقدر تعلق الأمر بالمشورة.

ومن المؤلفات التي أفادت البحث في الأوجه الدينية والسياسية يأتي مؤلف الأستاذ قاسم الشواف الموسوم (ديوان الأساطير "سومر واكاد وآشور") ، والذي بادر المؤلف فيه إلى ترجمة النصوص المسمارية الواردة عن لغات قارئيها ، وتأتي أهمية هذا المؤلف وعلى وجه التحديد الأجزاء الثلاثة الأولى منه بأنه وفر للبحث نصوصاً مسمارية تم من خلالها استنباط الشواهد التاريخية الدالة على فعل المشورة والنصيحة والأمر.

وفي الجوانب الحضارية الأخرى تم اعتماد عدداً من المؤلفات في الجانب القانوني أبرزها مؤلف الأستاذين وليام مسنيل وجين وسينلر (دراسة مقارنة لشرائع الشرق القديم – شريعة حمورابي وأصل التشريع في الشرق القديم) ومؤلف الأستاذ Rosamond E Mack المعنون (THE CODE OF HAMMURABI) ، وكذلك مؤلف الأستاذ الدكتور عامر سليمان (القانون في العراق القديم) ومؤلف الأستاذ الدكتور فوزي رشيد (الشرائع العراقية القديمة) ومؤلف الأستاذ الدكتور نائل حنون (شريعة حمورابي) ومؤلف الدكتور جمال مولود ذيبان (تطور فكرة العدل في القوانين العراقية القديمة) وجميع هذه المصادر أسهمت برفد البحث بما يلزم لإثبات وجود المشورة في الجانب القانوني.

وفي الجوانب العلمية المختلفة كان الكتاب المُعرب الأبرز في الزراعة والنشاطات الحياتية المختلفة من تجارة وصناعة هو مؤلف الأستاذ دانيال تي بوتس الموسوم (حضارة وادي الرافدين – الأسس المادية) ، وأهميته للبحث تكمن باتخاذه منطلقاً لتحليل عدد من النصوص التي تم الاستشهاد بها في البحث.

وكانت مؤلفات الأساتذة مرغريت روثن (علوم البابليين) ، ومارتن ليفي (الكيمياء والتكنولوجيا الكيميائية في وادي الرافدين) ، وجورج سارتون (تاريخ العلم) ، والدكتور طه باقر (موجز في تاريخ العلوم والمعارف) ، والأستاذ الدكتور فاروق الراوي (العلوم والمعارف) المنشور في الجزء الثاني من موسوعة (حضارة العراق) ، والأستاذ الدكتور نوالة أحمد المتولي (مدخل في دراسة الحياة الأقتصادية لدولة أور الثالثة في ضوء الوثائق المسمارية المنشورة وغير المنشورة) هي الأبرز من بين المصادر التي تم اعتمادها في هذا الجانب الحضاري.

والبحث إلى جانب ما تقدم فيما يتعلق بالمصادر أعتمد على بعض أطاريح الدكتوراه ورسائل الماجستير غير المنشورة أبرزها أطروحة الباحثة مريم عمران موسى (الفكر الديني عند السومريين في ضوء المصادر المسمارية) ، ورسالة ماجستير الدكتور سعدون عبد الهادي الأمير (الأزمات السياسية الداخلية في العراق القديم ٣٠٠٠ – ٥٣٩ ق . م) ، ورسالة ماجستير الدكتور حسين سيد نور الأعرجي (الخطاب السياسي في العراق القديم ٣٠٠٠ – ٥٣٩ ق . م)، ورسالة الباحث ليث مجيد حسين (الكاهن في العصر البابلي).

الفصل الأول

المشورة والنصيحة والأمر لغةً واصطلاحاً والمعنيون بذلك

المشورة والنصيحة والأمر لغةً واصطلاحاً

المعنيون بالمشورة والنصيحة والأمر

المشورة والنصيحة والأمر لغةً واصطلاحاً

وردت في النصوص المسمارية ما يشير إلى المشورة في اللغتين السومرية والأكدية ، فقد جاءَت العلامة المسمارية السومرية (GALGA) وما يقابلها في الأكدية (malāku) بمعنى أشار وتفاوض ، وكذلك ترد المشورة في اللغة الاكدية بـ(milku)[٢]، ومن مترادفات المشورة النصيحة فقد جاءَت بالعلامة المسمارية السومرية (NA.DE5) ويقابلها في الأكدية (aširtu) بمعنى نصيحة وتعليمات وقيادة[٣] ، و (iŝippu) بمعنى ناصح[٤]؛ ومن المفردات التي ارتبطت بالمشورة (amūtu) بمعنى استشارة[٥]؛ والمصطلح السومري ((NAM (TAR) ومرادفه باللغة الأكدية (ŝimtu) بمعنى وصية[٦].

وفي اللغة العربية ؛ المشورةُ تعني مشاورته في الأمر واستشرته ، بمعنى ، فلان خير شير أي يصلح للمشاورة ، وشاوره مشاورة ، وشواراً واستشاره طلب المشورةُ ، وأشار يشير إذا ما وجه الرأي[٧].

والتشاور ، بمعنى المشورة والمشورة الاسم من أشار عليه بكذا ، كالشورى جمع مشورات[٨] ، وهي ما ينصح به من رأي وغيره[٩].

---

٢ - رينيه لابات ، قاموس العلامات المسمارية ، تر : البير ابونا وآخرون ، مراجعة وإشراف عامر سليمان ، منشورات المجمع العلمي ، (بغداد : ٢٠٠٤) ، ص١٣١.

٣ - عامر سليمان وآخرون ، المعجم الاكدي معجم اللغة الاكدية (البابلية – الآشورية) باللغة العربية والحرف العربي) ، منشورات المجمع العلمي ، (بغداد : ١٩٩٩) ، ج١ ، ص٦٦.

٤ - رينيه لابات ، قاموس العلامات المسمارية ، ص٢١٩.

٥ - المصدر نفسه ، ص٣١٢.

٦ - كلشكوف ، الحياة الروحية في بابل (الإنسان – المصير – الزمن) ، تر : عدنان عاكف حمودي ، دار المدى للثقافة والنشر ، (دمشق : ١٩٩٥) ، ص٣٥.

٧ - محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري ، لسان العرب ، دار صادر للطباعة والنشر ، ط٤ ، (بيروت: ٢٠٠٥) ، ص١٦٠.

٨ - البستاني ، بطرس ، محيط المحيط (قاموس مطول للغة العربية) ، مكتبة لبنان ، (بيروت : ١٩٧٧) ، ص٤٨٨.

٩ - مجمع اللغة العربية ، المعجم الوجيز ، منشورات وزارة التربية والتعليم ، (مصر : ١٩٩٤) ، ص٣٤٥ ؛ كذلك مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، ط٤ ، مكتبة الشروق الدولية ، (مصر : ٢٠٠٤) ، ص٤٩٩.

وفي الاصطلاح أشار عليه بالرأي إذا ما أمره ونصحه ودلهُ على وجوب الصواب[١٠]، والمشورة إلى جانب قوة التفكر والعقل والعلم والحكمة والرويّة والمهنة والرأي من صفات المستشار[١١] ، وقيل وجدت المستشار ناصحاً[١٢]، والنصيحة إخلاص المحبة لغيره في إظهار ما فيه صلاحه[١٣].

وقد وردت لفظة مشورة بمعنى النصح في ترجمات الباحثين و النصوص المسمارية ، على سبيل المثال :

-(الحكيمة ، المطلعة ، عارفة كل شيء ،

ستقدم مشورة تهدي خطانا)[١٤].

-(ووقعت مشورة المرأة على قلبه)[١٥].

-(مشورة قلبك هو نسكو[١٦] **، (رسولك) الشهير)** [١٧].

-(لم يوافق الوزير على مشورة والدته الدنيوية) [١٨].

---

١٠ - جميل صليبا، المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني ، (بيروت : ١٩٨٢) ، ج١ ، ص٨٤.

١١ - جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، معجم مقاليد العلوم ، تحقيق محمد إبراهيم عبادة ، مكتبة الآداب ، (القاهرة : ٢٠٠٤) ، ص١٩٧.

١٢ - أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، تحقيق عدنان الدرويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت : ١٩٩٨) ، ص٨٠٩.

١٣ - السيوطي ، معجم مقاليد العلوم ، ص٢٠٩.

١٤ - نائل حنون ، ملحمة جلجامش (ترجمة النص المسماري مع قصة موت جلجامش والتحليل اللغوي للنص الأكدي) ، دار الخريف ، (دمشق : ٢٠٠٦) ، ص١١٤.

١٥ - سامي سعيد الأحمد ، كلكامش ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد : ١٩٩٠) ، ص١٢٧.

١٦ - الإله نسكو إله سومري عُرفَ بكونه وزيراً للإله انليل وفي النصوص الاكدية عُدَ إلهاً للضوء والنار ؛ ادزارد وآخرون ، قاموس الآلهة والأساطير في بلاد الرافدين (السومرية والبابلية) في الحضارة السورية (الأوغاريتية والفينيقية) ، تر : محمد وحيد خياطة ، دار الشرق العربي ، (بيروت : د . ت) ، ص١٦٩.

١٧ - رينيه لابات ، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين ، ت : البير ابونا ووليد الجادر ، مطبعة التعليم العالي ، (بغداد : ١٩٨٨)، ص٧٦.

١٨ - ستيفاني دالي ، أساطير من بلاد ما بين النهرين ، تر : نجوى نصر ، دار جامعة اوكسفورد للنشر ، (ب . ط ، ١٩٩١) ، ص٢٨٢.

والنصيحة هي إرادة الخير للمنصوح له وأصل النصح الخلوص ويقال نَصَحتُ له نصيحتي نُصوحاً أي اخلصتُ وصَدَقتُ[19] والاسم النصيحة والنصيح الناصح وقوم نُصحاء[20].

والإمرةُ من الولاية وأمرتهُ بكذا أمراً والجمع الأوامر والتأمير تولية الإمارة يقال هو أمير مؤمر وتأمر عليهم أي تسلط[21] وأمرته بكذا أمراً والجمع الأوامر[22].

وانطلاقاً من هذا المفهوم اللغوي والاصطلاحي يسعى البحث إلى إثبات ان كان ذلك مبرراً لتنوع المشورة وهل ان المشورة والنصيحة والأمر قد تركت مدلولها الواضح على الإنسان العراقي القديم في اصدار الاحكام والتصرف الصحيح والإصابة في الرأي والابتعاد عن الاستبداد وكذلك بيان موضع المشورات ان كانت صادرة من قبل اشخاص عاديين أو ذوي خبرات خاصة أو متخصصين وكذلك ان كانت المشورة أو النصيحة أو الأمر صادرة بصورة فردية أم جماعية.

---

١٩ - ابن منظور ، لسان العرب ، ص٥٧١.
٢٠ - اسماعيل بن حماد الجوهري ، معجم الصحاح ، ط٣ ، دار المعرفة ، (بيروت : ٢٠٠٨) ، ص١٠٤٤.
٢١ - الجوهري ، معجم الصحاح ، ص ص٥٣ – ٥٤.
٢٢ - ابن منظور ، لسان العرب ، ص٢١٢.

المعنيون بالمشورة والنصيحة والأمر

أولاً : الآلهة :

تصور العراقي القديم للآلهة أنها كما البشر ذات شكل بشري وممارسات بشرية من أكل، وشرب ، ونوم وتناسل ، وتخطيط وعمل ولهم بيوت كبيرة وذوي أسر وللأهواء سبيلاً إلى تصرفاتهم وللضعف مكاناً في تكوينهم[٢٣] ، وهذه الآلهة تتشاور في شتى الأمور كما جاء في اسطورة انزو (Enzo)[٢٤] :

(حينما هدأ الآلهة ، عقدوا مجلساً استشارياً

اجتمعوا كلهم ، ايكيكي آلهة الكون ، وهم مضطربون

توجهوا إلى آنو[٢٥]

سيد العقل الذي يسكن الغور[٢٦].

اجتمعوا كلهم ، ايكيكي ، آلهة الكون ، وهم مضطربون ،

استقدموا إلى آنو ايا الذي يسكن الغور

(وهذا) عرض (على أبيه رأيه) مطولاً :

---

٢٣ - صموئيل نوح كريمر ، الديانة السومرية اللاهوت والطقس والأسطورة (موسوعة تاريخ الأديان) ، ط٢، ت: محمود منقذ الهاشمي ، تحرير فراس السواح ، (دمشق : ٢٠٠٧) ، ج٢ ، ص١٩١.

٢٤ - وجدت لهذه الأسطورة التي عرفت بـ"الطائر زو" نصوص بابلية يعود تاريخها إلى الألف الثاني قبل الميلاد وكذلك أجزاء منها بالسومرية وقد أسند دور البطولة فيها إلى آلهة عدة هم الإله نينورتا والإله ننكرسو وفي ترتيلة للإله مردوخ تم عد هذا الإله بطلاً لها وفي نصها السومري عُدَ البطل لوكالبندا بطلاً لها ؛ ينظر : طه باقر ، مقدمة في أدب العراق القديم ، دار الوراق ، (بغداد : ٢٠١٢٠) ، ص ص١٦٠ – ١٦١ ؛ بينما يرى الاستاذ فاضل عبد الواحد علي أن لا شبيه لأسطورة "انزو" في السومرية وأن ذكره في الأساطير السومرية لا ينم عن معنى الشر الذي أتصف به هذا الطائر في القصة موضوع البحث ؛ سومر اسطورة وملحمة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد : ١٩٩٧) ، ص١٢٦.

٢٥- عُرف عند السومريين بالإله (آن) وعند الاكديين بـ(آنو) ؛ ينظر نيكولاس بوستغيت ، حضارة العراق وآثاره، تر : سمير عبد الرحيم الجلبي ، دار المأمون ، (بغداد : ١٩٩١) ، ص١٢٦ ؛ وآنو يعني السماء ومجده الجزريون بدرجة اعلى من السومريين فوصفوه بـ(آنو العظيم) و(أبو الآلهة) ؛ جان باتيرو ، الديانة عند البابليين، تر ، وليد الجادر ، مركز الانماء الحضاري ، (ب ، ط : ٢٠٠٥) ، ص٥٠.

٢٦ - الغور تعني معبد بالقياس على أن معبد الإله انكي "نغورا" اي منزل الغور ؛ ينظر : ثوركيلد جاكوبسن ، أديان ما بين النهرين (إطلالة عامة) ، (موسوعة تاريخ الأديان) ، تر : محمود منقذ الهاشمي ، تحرير فراس السواح ، ط٢ ، (دمشق : ٢٠٠٧) ، ج٢ ، ص١٦٨.

(أبتِ) سأذهب وأجلب الإله (الذي سيرضى بالقتالِ)،

وأعين في المجلس من سيأسر أنزو،

أجل ، أنا سأذهب وأجلب الإله (الذي سيرضى بالقتالِ)،

وأعين في المجلس من سيأسر انزو)[٢٧].

وهذا النص يدل على معنى وايضاح للجوانب الفكرية والعقائدية الدينية عند العراقي القديم الذي رأى أن الآلهة الكبار تتصرف وفقاً لمبدأ العمل الجمعي الاستشاري.

أن مقدار أيمان العراقيين القدامى بمشورة الآلهة[٢٨] للبشر نلمسه من معرفتنا بأن عدد الآلهة التي اتصفت بأنها آلهة مستشارة بلغ عددها ٣٦ كوكباً في العصر البابلي القديم[٢٩] دعيت بـ"الآلهة المستشارين" ونصف هذا العدد كان مخصصاً لمعرفة ما يحصل بين البشر على سطح الأرض[٣٠].

ومن بين الآلهة التي تُستشار وتعطي المشورة ، الإله (آن/آنو- An–Anu) الذي تعاظم شأنه في عهد ملك لكش[٣١] المدعو كوديا[٣٢]

---

[٢٧] - رينيه لابات ، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين ، ص٨٨.

[٢٨] - كانت منزلة الآلهة تختلف باختلاف أدوارها التي تؤديها فمنزلة إله عن إله تحددها طبيعة مهامه فإله الشمس إله العدل والنور لا يمكن أن يقارن بإله المعول أو قالب الآجر ؛ ينظر : صموئيل نوح كريمر ، الديانة السومرية ، اللاهوت والطقس والأسطورة (موسوعة تاريخ الأديان) ، ط٢ ، تر : محمود منقذ الهاشمي ، تحرير : فراس السواح ، ج٢ ، (دمشق : ٢٠٠٧) ، ص١٨٩.

[٢٩] - دفعت تصورات الإنسان المبهمة عن حقيقة السماء وغموضها عنده للبحث عن آلهة تحاكي رغبته في جذبه وتحقيق ما يرغب الحصول عليه بصورة أكثر عملية ؛ كارين ارمسترونغ ، تاريخ الأسطورة ، تر : وجيه قانصو ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، (بيروت : ٢٠٠٨) ، ص٢٤.

[٣٠] - مرغريت روثن ،علوم البابليين ، تر : يوسف حبي ، دار الرشيد للنشر ، (بغداد : ١٩٨٠) ،ص٩٧.

[٣١] - مدينة لكش وتعرف بقاياها اليوم بـ(تل الهبة) ومركزها الديني كرزو يعرف اليوم بـ(تلو) وهذه المدينة تقع في منتصف المسافة ما بين نهري دجلة والفرات قرب مدينة الشطرة ؛ سيتون لويد ، آثار بلاد الرافدين (من العصر الحجري القديم حتى الاحتلال الفارسي) ، تر : سامي سعيد الأحمد ، دار الرشيد ، (بغداد : ١٩٨٠) ، ص ص١٢٢ – ١٢٣.

[٣٢] - هو ثاني حكام سلالة لكش الثانية ويعتقد إن حكمه بدأ في حدود (٢١٢٠ ق . م) وأستمر لمدة خمس عشرة سنة ؛ ينظر : فاضل عبد الواحد علي ، عن كودية وتفسير رؤياه في النصوص السومرية ، آفاق عربية ، العددان (١١ – ١٢) ، ١٩٩٨ ، ص٥٠.

أواخر الألف الثالث قبل الميلاد ، وبحسب فكر العراقيين القدامى حاز على الرقم السري (٦٠)[٣٣]، وعرف معبده الشهير في مدينة الوركاء[٣٤] بمعبد "اي – انا"[٣٥]، وقد عُدّ هذا الإله لسعته وعمق أغواره بأنه الإله الذي لا يستشير سوى نفسه كما صور في نشيد ارتقاء عشتار[٣٦]:

(أنتَ الإله الفطن الذي لا يستشير غير نفسه

ما قيمة رأينا نحن

إلى المرأة الفتية عشتار التي امتلكتها

أمنح يدك)[٣٧].

وهذا يدل على أن صفات هذا الإله التكوينية السعة ، والعمق ، تؤهله على تقديم المشورة لمن يطلبها سواء كان للآلهة أم البشر ، وأن اوامر هذا الإله كانت سائدة ومطاعة من قبل الآلهة والبشر على حد سواء ، وأن هذا الإله بحسب النص اعلاه كان أقرب إلى اصدار الاوامر منه إلى إصدار المشورة التي تحتمل النقض أو الرفض.

---

[٣٣] - استبق السومريون البابليون باختراعهم النظام الستيني وهو ناشئ عن طريقة العد بالأصابع فكان الرقم (٦٠) أعلى وحدة حسابية ؛ ينظر : مرغريت روثن ، علوم البابليين ، ص١١٤ ؛ وكانت الأرقام الحسابية أحدى سبل ابراز مظاهر عظمة الآلهة فأعطيَ لكل إله الرقم الدال على منزلته بدءاً بالرقم (٦٠) وهو أعلى رقم في النظام الستيني الذي توصل إليه العراقيون القدامى وقد منح للإله آنو ؛ ينظر : جان باتيرو ، الديانة عند البابليين، ص٩٠.

[٣٤] - يعود تأسيس الوركاء إلى الألف الخامس قبل الميلاد تأريخ أول عهود السكنى في جنوب العراق ؛ ينظر : فرج بصمجي ، الوركاء ، مطبعة الرابطة ، (بغداد : ١٩٦٠) ، ص٥.

[٣٥] - ويعني هذا الاسم معبد السماء ؛ سامي سعيد الأحمد ، المعتقدات الدينية في العراق القديم ، الموسوعة التاريخية الميسرة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد : ١٩٨١) ، ص٢٠ ؛ وهناك رأي بأن معبد (اي – انا) هو معبد الإلهة إنانا (عشتار) الذي شيد في وسط القسم الشرقي من مدينة الوركاء ؛ فرج بصمجي ، الوركاء ، ص٨.

[٣٦] - ارتقاء عشتار أو "ارتفاع عشتار" نشيد ثنائي اللغة سومري أكدي يعود آخر نص مدون لها إلى عهد حكم الملك نبوخذنصر الأول (١١٤٦ – ١١٢٣ ق . م) ؛ قاسم الشواف ، ديوان الأساطير ، الحضارة والسلطة ، دار الساقي ، (بيروت : ١٩٩٩) ، ج٣ ، ص٢٨٤.

[٣٧] - المصدر نفسه ، ص٢٨٥.

ومن الآلهة التي عُرِفت بإصدار الأوامر وإسداء المشورة ، الإله (أنليل– Anlil)[٣٨] الذي كان لهيبته أثرٌ في أن تكون مدينة "نُفّر"[٣٩] هي الأقدس بين مدن العراق ، وقد اتصف هذا الإله بجملة من الصفات التي من خلالها يمكن الاستدلال على أنه قادر على إصدار الاوامر ومنح المشورة والنصيحة ، منها أنه "ملك السماء والأرض" و"ملك جميع البلدان"[٤٠] ، وهي بذلك تلزم القول بقدرته على إبداء المشورة ، لما يعنيه هذا اللقب من معاني القوة والتسلط وبالدرجة الأساس الصدارة ، التي توجب على من هم أدنى منه الرجوع إليه استرشاداً بنصحه وأوامره ونواهيه.

ومما يؤكد أن الإله انليل كان معنياً بإبداء المشورة ما تطالعنا به النصوص الأسطورية منها ما جاء في أسطورة إله العاصفة انزو[٤١]:

("انليل" أبو الآلهة ، والمشير عليهم ، خدره (الخوف)

لقد جردت الحرمات من بهائها الذي يبعث الرعب

آلهة البلاد صاروا يروحون ويجيئون بحثاً عن النصيحة)[٤٢].

---

٣٨ - اسمه يعني "سيد الريح العاصفة" ؛ جان باتيرو ، الديانة عند البابليين ، ص٥٠ ؛ وامتلك زعامة مجمع الآلهة على الرغم من اعتقاد السومريين بأن الإله آنو هو من يرأسه وبقيت أسباب إقرار زعامة أنليل لهذا المجمع مجهولة ؛ كريمر ، الديانة السومرية اللاهوت والطقس والأسطورة (موسوعة تاريخ الاديان) ، ج٢ ، ص١٩٣.

٣٩ - "نُفّر" تسمية عربية وأصلها "نيبور" في اللغة السومرية تقع حوالي ٣٥ كم شمالي شرقي مدينة الديوانية واتصفت هذه المدينة بقدسيتها لوجود معبد الإله انليل "اي كور" فيها إلى جانب اتصافها بعدم قيام سلالة ملكية فيها لتبقى خاضعة للملوك الأقوياء في السلالات الأخرى الوركاء ولكش وأور وتتابع على حكمها السومريين والبابليين والكشيين والآشوريين ؛ ينظر : فرج بصمجي ، نُفّر (نيبور القديمة) ، مطبعة الرابطة ، (بغداد : ١٩٦٠) ، ص ص٥- ٧.

٤٠ - خليل سعيد ، مطبعة النجاح الجديدة ، (الدار البيضاء : ١٩٨٤) ، معالم من حضارة وادي الرافدين ، ص ص٨١ – ٨٢.

٤١ - وجدت لهذه الأسطورة التي عرفت بـ "الطائر زو" نصوص بابلية يعود تاريخها إلى الألف الثاني قبل الميلاد وكذلك أجزاء منها بالسومرية وقد أسند دور البطولة فيها إلى آلهة عدة هم الإله نينورتا والإله ننكرسو وفي ترتيلة للإله مردوخ تم عد هذا الإله بطلاً لها وفي نصها السومري عُدّ البطل لوكالبندا بطلاً لها ؛ ينظر : طه باقر ، مقدمة في أدب العراق القديم ، ص ص١٦٠ – ١٦١ ؛ بينما يرى الأستاذ فاضل عبد الواحد علي أن لا شبيه لأسطورة "انزو" في السومرية وأن ذكره في الأساطير السومرية لا ينم عن معنى الشر الذي أتصف به هذا الطائر في القصة موضوع البحث ؛ سومر أسطورة وملحمة ، ص١٢٦.

٤٢ - الكسندر هايدل ، سفر التكوين البابلي قصة الخليقة ملحمة حينما في الاعالي ، تر : سعيد الغانمي ، منشورات الجمل ، (بغداد : ٢٠٠٧)، ص٢٠١.

ونرى مقدار وأهمية مشورة هذا الإله في نص الأسطورة ، بدلالة أن الآلهة تذهب وتجيء بحثاً عن نصيحته كما نستشف بوضوح من ملحمة (كلكامش–Gilgameš)[٤٣] ما يشير إلى أن هذا الإله (انليل) كان مستشاراً للآلهة ، ويهتدون بنير نصائحه بالقول :

(أن الآلـهة العظام قد حملتهم قلوبهم (آنذاك) على إحداث الطوفان[٤٤]

وكان معهم أبوهم "آنو"

و"انليل" ، البطل مستشارهم)[٤٥].

وأمره بأحداث الطوفان إلى جانب صفة البطولة تشير إلى عظيم قدرته على إصدار القرارات التي نالت رضا واحترام الآلهة استنادا إلى ما جاء في مطلع النص اعلاه من انقياد الآلهة لأمره بأحداث الطوفان.

والإله الثالث الذي أتصف بالمشورة والامر هو الإله (انكي – ايا–Anki–Aia)[٤٦] ، الذي عُرف باسم انكي عند السومريين ، وعند الجزريين[٤٧] باسم ايا[٤٨] ؛ وقد حل في نهاية الإلف

---

٤٣ - يرقى زمن تدوين ملحمة كلكامش إلى أواخر الألف الثالث أو أوائل الألف الثاني قبل الميلاد وقد قام بجمعها ايضاً "سين – ليقي – اونني" في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد وكانت أدباً بابلياً صرفاً على الرغم من أصلها السومري ؛ ينظر : طه باقر ، مقدمة في أدب العراق القديم ، ص ص١٢٨ – ١٢٩؛ وهناك رأي أن كلكامش تم الحاقهُ بالملحمة التي حملت أسمه وأنها أقدم منه عهداً ؛ ينظر إ . م . دياكونوف ، ب . س . ترافيموف ، جماليات ملحمة كلكامش ، تر : عزيز حداد ، مكتبة الصياد ، (بغداد : ١٩٧٣) ، ص١١.

٤٤ - استناداً إلى الفحوصات التي أجريت على التربة في كيش والوركاء وشروباك ولكش تم تحديد المدة الواقعة ما بين دور جمدة نصر وعصر فجر السلالات الاول زمناً لوقوعه وأرجعه الأستاذ وولي إلى دور العبيد ؛ ينظر : حسين احمد سلمان ، كتابة التاريخ في وادي الرافدين في ضوء النصوص المسمارية ، مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي ، (بغداد : ٢٠٠٩) ، ص٢٣٤؛ ودلت التنقيبات في مدينة شروباك عن وجود آثار الطوفان فيها ؛ ينظر : ماكس مالوان ، مذكرات مالوان ، تر : سمير عبد الرحيم الجلبي ، دار المأمون ، (بغداد: ١٩٨٧) ، ص٥٠.

٤٥ - طه باقر ، ملحمة كلكامش ، دار الحرية للطباعة ، ط٤ ، (بغداد : ١٩٨٠) ، ص١٥١.

٤٦- أسم "انكي" يعني سيد الأرض أما تسمية "ايا" فتعني بيت الماء ؛ ينظر : هاري ساكز ، عظمة بابل ، تر : عامر سليمان ، ط٣ ، دار الكتب للطباعة والنشر ، (الموصل : ١٩٧٩) ، ص٣٦٩.

٤٧ - عُرف الجزريين بالساميين أيضاً استنادا إلى المتكلمين باللغات السامية بحسب ما أطلقه عليهم العالم النمساوي شلوتزر من مصطلح ليشمل بهِ كل الناطقين باللغات العربية والعبرية والآرامية والكنعانية وعدد من اللغات الأخرى في الشرق الأدنى على أساس أن المتكلمين بها تعود أصولهم إلى جد واحد هو سام بن نوح ؛ ينظر : عامر سليمان ، اللغة الأكدية (البابلية – الآشورية) ، الدار العربية للموسوعات ، ط٢ ، (بيروت : ٢٠٠٥) ، ص ص٦٣ – ٦٤.

٤٨ - جان باتيرو ، الديانة عند البابليين ، ص٥١.

الثالث قبل الميلاد عضواً في مجمع الآلهة السومرية[٤٩] ؛ كان لمعرفته بكل شيء على الأرض سبباً بأن يُعد ممن يستشيره البشر ويساعدهم[٥٠] ، وارتبطت بهذا الإله أعمال منها قراءة الفأل[٥١] ولهذا نرى أنه كان موضع استشارة البشر له[٥٢]، ، ومن خلال ما تقدم نرى أن الفكر العراقي القديم قاد إلى تصورات خارقة عن الماء من بينها اتصافه بالعمق الفكري والحكمة والمعرفة[٥٣] وهذه مميزات تعين صاحبها على إبداء المشورة واسداء الاوامر ، وكان من أجمل ما اختزنته ذاكرة العراقي القديم عن الإله (انكي – ايا) صنيع هذا الإله مع البشر في قصة الطوفان[٥٤] ، فجاء في ملحمة كلكامش ضمن خطاب ينص على اوامر تعين من وجهت إليه على الخلاص قد وجهها هذا الإله إلى بطل الطوفان (اوتو – نَبشتم–AutanpŠtum)[٥٥] :

(يا كوخ ! يا كوخ القصب[٥٦] ! يا جدار ، يا جدار !

أسمع يا كوخ القصب وأفهم يا حائط

---

٤٩ - صموئيل نوح كريمر ، الأساطير السومرية ، تر : يوسف داود عبد القادر ، مطبعة المعارف ، (بغداد : ١٩٧١) ، ص١٢٥.

٥٠ - ايفيلين كلينكل – براندت ، رحلة إلى بابل القديمة ، تر : زهدي الداودي ، دار المدى للثقافة والنشر ، (بغداد: ٢٠١٠)، ص١٠٤.

٥١ - سامي سعيد الأحمد ، المعتقدات الدينية في العراق القديم ، ص٢٣.

٥٢ - ايفيلين كلينكل – براندت ، رحلة الى بابل القديمة ، ص٨٨

٥٣ - عادل جاسم البياتي ، الرافدان وأثرهما في أدب المياه وقصص الطوفان ، مجلة كلية آداب المستنصرية ، العدد ٨ ، ١٩٨٤، ص١٤٥.

٥٤ - هناك خمسة روايات عن الطوفان هُن على التوالي السومرية والبابلية القديمة والبابلية الوسيطة وروايتين من العهد الآشوري الحديث إلى جانب روايات أخرى غير مكتملة لتهشمها ؛ ينظر : نائل حنون ، عقائد الحياة والخصب في الحضارة العراقية القديمة ، دار الفارس للنشر والتوزيع ، (عمان : ٢٠٠٢) ، ص٥٤.

٥٥ - من المحتمل أن يكون أسمه بمعنى وجد الحياة ؛ طه باقر ، مقدمة في أدب العراق القديم ، هامش رقم (١)، ص١٤٣.

٥٦ - كوخ القصب في هذا الموضع معناه بيت اوتونبشتم ؛ فؤاد جميل ، الطوفان في المصادر السومرية ، البابلية، الآشورية ، والعبرانية ، سومر ، المجلد ٢٨ ، (١٩٧٢) ، ص٩٤.

أيها الرجل "الشروباكي"[٥٧] يا ابن "اوبار – توتو"

قوض البيت وأبن لك فلكاً (سفينة)

تخلَ عن مالك وأنشد النجاة)[٥٨].

والنص إلى جانب كونه يكشف عن وجود معرفة أكيدة لدى هذا الإله بخطط الآلهة [٥٩] ؛ يُسفر أيضاً عن دلالة أكيدة بعظيم ما يصدر عن هذا الإله من مشورة تقود إلى خلاص الإنسان من الهلاك ، وهو بذلك إله صاحب قرار أو قرارات جُلها أو أقرب ما تكون في صالح البشر.

ومن الآلهة الأخرى التي اختصت بالاستشارة طلباً للمشورة الإلهين (اوتو/شمش--Utu) šamš[٦٠] و(أدد –Adad) ، ولطبيعة مدلولهما أثراً في ذلك ؛ فالإله شمش وصف بأنه "سيد الحقيقة والعدالة"[٦١] ، من قبل السومريين والبابليين على حد سواء[٦٢] ، وبرحلته عبر السماوات يتبدد الظلام لتتكشف له أفعال الإنسان صغيرها وكبيرها[٦٣] ، وهو عدوّ لكل خطاء ظالم[٦٤] ، أما الإله الآموري ادد فكان بحسب الفكر العراقي القديم إلهاً للجو ومن مظاهره البرق والرعد[٦٥]؛

---

٥٧ - نسبة إلى مدينة شروباك ، وهي مدينة قديمة تعرف أيضاً بتسمية "تل فارة" وتقع جنوب شرقي مدينة الديوانية بحوالي ٦٤ كم ؛ ينظر : طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، دار الوراق ، (لندن : ٢٠٠٩) ، ج١ ، ص٢٩٨.

٥٨ - طه باقر ، ملحمة كلكامش ، ص١٥١.

٥٩ - جفري بارندر ، المعتقدات الدينية لدى الشعوب (بلاد ما بين النهرين) ، تر : إمام عبد الفتاح إمام ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، العدد ١٧٣ ، (الكويت : ١٩٩٣) ، ص١٤.

٦٠ - الإله شمش إشارةً إلى كوكب الشمس وقد عُرف لدى السومريين بإسم أوتو وكان إلهاً للحرب في حين أبهرت نور أشعته الجزريين فعدوه رمزاً للحياة ؛ جان باتيرو ، الديانة عند البابليين ، ص٥٣.

٦١ - المصدر نفسه ، ص١١٩ ، وينظر : فوزي رشيد ، الديانة ، المعتقدات الدينية ، حضارة العراق ، ج١ ، ص ص١٥٨ ــ ١٥٩.

٦٢ - فاضل عبد الواحد علي وعامر سليمان ، عادات وتقاليد الشعوب القديمة ، دار الكتب للطباعة والنشر ، (الموصل : ١٩٧٩) ، ص١١٢.

٦٣ - هاري ساكز ، عظمة بابل ، ص٣٧١.

٦٤ - هاري ساكز ، الحياة اليومية في العراق القديم (بلاد بابل وآشور) ، تر : كاظم سعد الدين ، دار المأمون ، (بغداد : ٢٠١٠) ، ص٣١٧.

٦٥ - هاري ساكز ، عظمة بابل ، ص٣٨٩.

ومن صفتي كلا الإلهين (اوتو/شمش) وادد المتمثلة بانبعاث النور وكشف الظلمة والاطلاع على مجريات الأمور نقف على سر عدهما إلهين للعرافة متصفين بتقديم المشورة فانكشاف ما يجري أمامهما يتيح لهما أبداء ما يلزم من نصح وإرشاد.

ويرى أحد الباحثين بأن صفات الإله ادد الألتماعة البراقة القوية الوقادة في الحياة وفي الذهن بما يحمله من صفات العراف والعرافة[٦٦] ، هي ما جعلته إله للعرافة.

ويمكن القول إن إسهام الإله ادد بنوره هي من جعلته يتصف بالعرافة ، لأن الضوء المنبعث هو سر الصفة التي حملها إياه للإنسان بما يتفق مع الصفات العقلية التي تمكنه من إدراك الغيب التي تمكنه من أبداء النصح والإرشاد والتوجيه.

ولم يقتصر ارتباط إدراك الغيب بالإله ادد ، وإنما نطالع عن صفات الإله (اوتو/شمش)، بقراءة الغيب وإيصال ما يراه إلى البشر بغية إرشادهم ، وقد اقترن الإلهين بالوظيفة ذاتها[٦٧] ، ويمكن أن نستشف هذا التماثل في قدرة التكهن بالغيب واتصافهم بالاستشارة من النص :

(يا شمش ، سيد الحكم ، ويا ادد ، سيد الاستشارة الحكيمة ،

أوقد لكما بخوراً خشب الأرز النقي هذا)[٦٨].

وفي ترنيمة موجهة إلى الإله شمش نقرأ التالي :

(يا سيدي :

أنت الذي تضيء الظلمات ،

الذي ينير وجه الشمس

إله الرحمة

---

٦٦ - خزعل الماجدي ، بخور الآلهة ، الأهلية ، (عمان : ١٩٩٨) ، ص٢٦٤.

٦٧ - ليو اوبنهايم ، بلاد ما بين النهرين ، تر : سعدي فيضي عبد الرزاق ، دار الرشيد ، (بغداد : ١٩٨١) ، ص٢٤٥.

٦٨ - رينيه لابات ، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين ، ص٣٣٢.

الذي يرد ويزيل الخضوع ، ويحمي الضعيف

إن الآلهة الكبيرة تتلهف خلف ضيائك ،

وكل الـ"آنوناكي" زائغة النظرات أمام وجهك

تقود وترشد كل الرجال كرجل واحد

ويرفعون رؤوسهم بكل رغبة)[٦٩].

وبحسب هذه الآراء يلاحظ أن صفة كلا الإلهين هي نشر العدل بتعينهما الظلم وكشف المفسدين.

فضلاً عما ذكرنا من آلهة ، يأتي ذكر الإله (مردوخ –Mar – Duku) [٧٠] بوصفه من الآلهة التي تأمر وتقدم المشورة وكان المع إله لدى البابليين في عصرهم القديم[٧١]، ولا نغفل بالطبع أن الفكر الأسطوري الذي أتصف بهِ العراقي القديم قد وصّفَ هذا الإله بأوصاف تجعل منه إلهاً مقتدراً في تقديم المشورة وإسداء الأمر[٧٢] وهو بذلك قادر على إعطاء المشورة المتميزة وممن يتصف بقدرة أتخاذ القرار ونفاذه وهذا ما أكدته قصة الخليقة البابلية :

(اساري – الم ذو الأهمية في بيت الشورى ، متميزة مشورته

(بوجوده) لا يتوقع الآلهة أن يكونوا مأخوذين بالخوف)[٧٣].

٦٩ - جان باتيرو ، الديانة عند البابليين ، ص٧٤.

٧٠ - اقتران أسم هذا الإله بمدينة بابل يعود تاريخ أقدم إشارة إليه إلى عام (٢١٠٠ ق . م) ؛ رضا جواد الهاشمي، مردوك عظيم آلهة بابل ، مجلة المورد ، العدد الثالث ، ١٩٨٧ ، ص٤١.

٧١ - جان باتيرو ، الديانة عند البابليين ، ص٥٥ ؛ وكان لدى البابليين يرمز إلى كوكب المشتري ؛ هـ . ج . ولز معالم تاريخ الإنسانية ، تر : عبد العزيز توفيق جاويد ، (ب ، مط ، د ، ت) ، ص٢٠٦؛ وقد اشتهر بمعبده الأرضي في بابل ويدعى "اي – سا - كيلا" وهو الأكبر والأكثر شهرة من بين معابد بابل ؛ روبرت كولديفاي ، معابد بابل وبورسبا ، تر : نوال خورشيد سعيد ، المؤسسة العامة للآثار والتراث ، (بغداد : ١٩٨٥) ، ص٧٩.

٧٢ - عن الأوصاف التي تحلى بها هذا الإله ينظر: فاضل عبد الواحد علي ، سومر اسطورة وملحمة ، ص١٢٠.

٧٣ - نائل حنون ، حينما في العلى قصة الخليقة البابلية ، دار الزمان ، (دمشق : ٢٠٠٦) ، ص٢١١.

إلى جانب الآلهة الذين تم ذكرهم ، كان هناك آلهة آخرين أتصفوا بكونهم آلهة مستشارين ، لهم إسهامهم في إسداء المشورة كالإله نانا –سن–Nanna – Sin)[٧٤] وعنه نقرأ في صلاة ملكية للخسوف :

(يا سن (الإله) منير الـ"ايكور"[٧٥] يسألونك

وتعطي الوحي[٧٦]

والإلهام للآلهة)[٧٧].

ومن النص نستشف قدرة هذا الإله على إيصال وحيه وإلهامه للآلهة الآخرين كونه منيراً في السماء ، وكان لنور الإله سن (القمر)[٧٨] كما هو الحال لنور الشمس والبرق المصاحب للرعد أثراً في صيرورته إلهاً مرشداً وناصحاً وصاحب قرار.

ومن بين الآلهة الأخرى المتصفة بتقديم المشورة نجد الإله (نابو–Nabû)[٧٩] الذي عُدَ إلهاً للحكمة[٨٠] ، وربما كان للمعان هذا الإله في السماء[٨١] كما حال الآلهة الأخرى المتصفة

---

٧٤ - عرف الإله سن بتسمية سين لدى البابليين في حين كان يعرف لدى السومريين باسم ننا ؛ فاضل عبد الواحد علي وعامر سليمان ، عادات وتقاليد الشعوب القديمة ، ص١١١؛ ولمنزلته تلقب بهِ ملوك من الجزريين ودخل على الأسماء السومرية ؛ تقي الدباغ ، الفكر الديني القديم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد : ١٩٩٢)، ص١٢٠.

٧٥ - ايكور معبد الإله انليل في مدينة نُفّر ؛ دروثي مكاي ، مدن العراق القديمة ، تر : يوسف يعقوب مسكوني ، ط٣ ، مطبعة شفيق ، (بغداد : ١٩٦١) ، ص٥٨ ؛ ويُعد معبده في اور أضخم معبد لهذا الإله شيده له الملك اورنمو ؛ شاه محمد علي الصيواني ، اور ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد : ١٩٧٦) ، ص٣١.

٧٦ - الوحي هو التعريف بالشيء خفية وكشف المجهول أو الأعلام بصورة سريعة خاطفة ويراد بهِ عموماً الفهم سواء كان عن طريق الإشارة أو الإلهام أو الكتب ؛ جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج١ ، ص٥٧٠.

٧٧ - خليل سعيد ، معالم من حضارة وادي الرافدين ، ص٢٠٧.

٧٨ - رينيه لابات ، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين ، ص٤٢٦.

٧٩- الإله نابو من بين آلهة الحكمة والمعرفة والفنون في العراق القديم ؛ عبد الله أمين آغا ، مُلاحظات حول مخطط بناية ايزيدا معبد نابو في نمرود تنقيبات الموسم العاشر في نمرود (١٩٧٨) ، مجلد ٤٤ (١٩٨٥ – ١٩٨٦) ، ص٤٤.

٨٠ - جان باتيرو ، الديانة عند البابليين ، ص٥٦.

٨١ - رينيه لابات ، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين ، ص٤٢٧.

بنورها سبباً في عده إلهاً ذي مشورة ؛ ومما يدل على أتصافه بمنح المشورة الحكيمة ما جاء في تعويذة بابلية :

(تعويذة الرب القوي الشهير الذي يعرف كل شيء

الرائع المتجدد ، الكامل ، بكر مردوخ

مستشار الآلهة ... الذي يقبض بثبات على مراكز العبادة ،

الذي يجمع لنفسه كل العبادات ...)[٨٢].

وإلى جانب الآلهة المذكرة كانت هناك إلهات أتصّفن بكونهن مستشارات يُقدمن المشورة والنصيحة لمن يطلبها إلى جانب قدرتهن على إصدار الأوامر ؛ يأتي في طليعة هذه الإلهات الإلهة (نانشة–Nanše) التي عدها الفكر العراقي القديم ابنة للإله انكي[٨٣] ، ونستشف من ذلك ثمة صفات للإله انكي قد تم إلصاقها بالإلهة نانشة من قدرة على قراءة المستقبل وإيصال ذلك إلى البشر لاتخاذ ما يلزم بشأن ذلك فكان معبدها في مدينة نينا[٨٤] مقصد الملوك طلبا للاستشارة[٨٥] ، وعدّها الفكر العراقي القديم إلهة السمك وصيد الأسماك ، وعلى هذا الأساس كان رمزها السمك[٨٦] ، ونحن نتساءل هل كان رمز هذه الإلهة المتمثل بالسمك نتيجة لكون مركزها في جنوب العراق ؟، ولنا على ذلك جواب مفاده أن من الممكن أن يكون رمز هذه الإلهة كونها إلهة جنوبية أي من جنوب بلاد الرافدين إذا ما أخذنا بالحسبان أن العراقي القديم بصورة عامة كان يوّصف آلهته بصفات الظواهر الطبيعية التي أدركها أو المخلوقات التي عرفها واعتاد رؤيتها كالسمك ، أما عن سبب كونها مُفسرة للأحلام فنرى أن لرمز السمك تأثير في ذلك يتمثل بان الأسماك تغوص في اعماق المياه بانسيابية حرة لا يعكرها مانع ، لذا فهذه الإلهة كانت لها القدرة على أن تغوص في أعماق فكر الإنسان لتجد تفسيراً للحلم الذي يراه على اعتبار أن الحلم انعكاس في كثير من الأحيان لطبيعة الإنسان النفسية والذهنية ساعة حصول ظاهرة الحلم.

---

٨٢ - هاري ساكز ، عظمة بابل ، ص٣٦٤.

٨٣ -ثوركيلد جاكوبسن ، أديان ما بين النهرين (إطلالة عامة) (موسوعة تاريخ الأديان) ، ج٢ ، ص١٥٨.

٨٤ - نينا إحدى مدن دويلة لكش وتعرف آثارها باسم "سرغل" تبعد نحو ٤٨ كم شرق مدينة تلو ؛ طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج١ ، ص٣٤٨.

٨٥ -سامي سعيد الأحمد ، العراق القديم ، جامعة بغداد ، (بغداد : ١٩٧٨) ، ج١ ، ص٢٧٤.

٨٦ -سهيل قاشا ، تاريخ الفكر في العراق القديم ، التنوير ، (بيروت : ٢٠١٠) ، ص٢٨١.

إن إدراك المجتمع الامومي للشفافية الروحية إلى جانب رقة الجسد الأنثوي جعل من المرأة قادرة على ان تكون وسيطاً بين عالم البشر والآلهة[٨٧] ، ولعلنا نجد في هذا سبباً في عدّ الإلهة نانشة مفسرةً للأحلام والدال على ذلك ما جاء في قصة تفسيرها لحلم رآه كوديا أنسي لكش مبينةً له الإله الذي أمره ببناء معبده : **(لقد أجابت الانزي أمه نانشي : يا راعي[٨٨]، حلمك سأفسره لك : الرجل ، الذي تبلغ قامته السماء ، وتبلغ قامته الأرض ، الذي كان حسب رأسه ، ألهاً وكان إلى جانبه الطائر الإلهي الامدوكود[٨٩]، على أقدامه أعاصير ، وإلى يمينه ويساره أسد رابض، انه لأخي نينجرسو[٩٠]:هو الذي أمرك لتبني بيته اي _ نينو[٩١])**[٩٢].

ومن الآلهات الأخريات اللائي أتصفن بتقديم المشورة والنصيحة والامر الإلهة (إنانا/عشتار-Inana-Ištar) ، عرفت هذه الإلهة لدى الجزريين بتسمية عشتار وكونها إلهة للحرب عند البابليين والآشوريين[٩٣]، وعُرفت لدى السومريين بأسماء عدة منها إنانا وأنينا أو نينا وكانت العنصر المؤنث الذي يتسيد السماء[٩٤]؛ كانت المشورة أو النصيحة التي اتصفت بها هذه

---

[٨٧] - فراس السواح ، لغز عشتار ، دار علاء الدين ، ط٨ ، (دمشق : ٢٠٠٢) ، ص٣٢.

[٨٨] - وصف الإلهة نانشة لكوديا بالراعي هو ان الملك كان يظهر كراعي حقيقي للحيوانات كما يشير إلى ذلك الأستاذ مورتكات في تفسيره لخاتمين من عصور فجر التاريخ مستنداً في تفسيره إلى شكل تسريحة الرأس التي تؤكد كونه ملكاً وليس إنساناً عادياً ؛ ينظر : انطوان مورتكات ، تموز عقيدة الخلود والتقمص في فن الشرق القديم ، تر : توفيق سليمان ، ب . مط ، (دمشق : ١٩٨٥) ، ص ص١٠٠ ــ ١٠١ .

[٨٩] - الامدوكود طائر النسر برأس الأسد له جناحان ليمثل فوق السحب المطر الذي ينهي الجفاف الذي استمر طويلاً ؛ سيتون لويد ، فن الشرق الأدنى القديم ، تر : محمد درويش ، دار المأمون ، (بغداد : ١٩٨٨) ، ص٩١.

[٩٠] - الإله ننكرسو أخ للإله نينورتا بحسب الفكر العراقي القديم ومعنى أسمه "سيد كرسو" ويجسد هذا الإله العاصفة أو الريح القوية ، ينظر : خزعل الماجدي ، إنجيل سومر ، الأهلية ، (عمان : ١٩٩٨) ، ص١٧٨. وللاستزادة ينظر :

Black, Jeremy. Green, Anthony, Gods , Demons and Symbols of Ancient Mesoptamia An IIlustrated Dictionary, UNIVERSITY OF TEXAS PRESS , AUSTIN,P138.

[٩١] - يعرف هذا المعبد أيضاً بمعبد "الخمسين" ويقع في مدينة كرسو في لكش ؛ دالي ، أساطير من بلاد ما بين النهرين ، ص٣٧٧.

[٩٢] - أنطوان مورتكات ، تاريخ الشرق الأدنى القديم ، تر : توفيق سليمان وآخرون ، (دمشق : ١٩٦٧) ، ص ص١١٢ ــ ١١٣.

[٩٣] - أول من خصها بلقب إلهة الحرب الأكديون ؛ جان باتيرو وآخرون ، الشرق الأدنى الحضارات المبكرة ، تر: عامر سليمان ، دار الكتب للطباعة والنشر ، (الموصل ، ١٩٨٦) ، ص١٢٠.

[٩٤] - جان باتيرو ، الديانة عند البابليين ، ص٥٢.

الإلهة صفة مكتسبة غير تكوينية ؛ بمعنى أنها لم تكن أمراً فطرياً ومما يدل على ذلك ما تضمنته أسطورة "إنانا وانكي"[٩٥] ، التي جاء فيها أن هذه الإلهة تمكنت من رحلة قامت بها إلى أريدو[٩٦] مقر أبيها الإله انكي من الحصول على النواميس الإلهية[٩٧] وكان فن إسداء النصح من بين النواميس المائة التي حصلت عليها الإلهة (إنانا /عشتار)[٩٨] في رحلتها هذه ويُبيّن ذلك بما أقرَ به الإله انكي :

(بإسم سلطاني ! وبإسم الآبسو[٩٩] (مقري) !

إلى إنانا المقدسة ، [إلى أبنتي] ، لأقدمن ،

ولن يحول أحد دون ذلك ،

المجادلة [والنصر وفن إسداء النصح

وفن التهدئة والمحاكمة واتخاذ القرار] !

فتقبلتها إنانا)[١٠٠].

---

٩٥ - دونت أسطورة "إنانا وأنكي" في الثلث الأول من الألف الثاني قبل الميلاد ويمكن إرجاعها إلى نهاية الألف الثالث قبل الميلاد ؛ قاسم الشواف ، ديوان الأساطير (الحضارة والسلطة) ، ج٣ ، ص١٩٤.

٩٦ - تقع أريدو وتعرف أيضاً بـ"أبو شهرين" جنوب غرب أور وعدت ثاني أقدس مدينة في العراق القديم لوجود المعبد الرئيسي للإله انكي فيها ؛ دروثي مكاي ، مدن العراق القديمة ، ص ص٨٩ – ٩٠؛ وينظر :

Safar , Fuad , The others , ERIDU , State Organization of Antiquites and Heritage , (Baghdad 1981) , p30.

٩٧ - كانت النواميس الإلهية تشير إليها الكلمة السومرية "مي" وهي كلمة غامضة إلى حد ما ولكن يمكن عدها أنها إشارة إلى مفهومي الأحكام والقواعد الخاصة بالدواخل الكونية أو الحضارية ؛ صموئيل نوح كريمر ، السومريون (تاريخهم حضارتهم وخصائصهم) ، تر : فيصل الوائلي ، وكالة المطبوعات ، (الكويت : ١٩٧٣)، ص١٥٣ ؛ وينظر :

Brandon , S .G . F ,Creation Legends Of The ANE , S. G, F , (London : 1963) ,P79.

٩٨ - صموئيل نوح كريمر ، الديانة السومرية (موسوعة تاريخ الأديان) ، ج٢ ، ص١٥٤.

٩٩ - "الابسو" المياه العذبة و"تيامة" المياه المالحة أصل الإنسان ومادته الأولى ومنهما نسل الآلهة جميعا ؛ الكسندر هايدل ، سفر التكوين البابلي ، ص ص ١٣٣ – ١٣٤. والابسو أيضا بيت الإله ايا العميق. ينظر عبد الحميد يونس ، معجم الفولكلور ، ب . مط ، (القاهرة : ١٩٨٢) ، ص٧ ؛ وللمزيد ينظر :

Jordan , Michael , GODS AND GODDESSES , No 2 , Facts On File , (New York : 2004) , p26.

١٠٠ - قاسم الشواف ، ديوان الأساطير (الحضارة والسلطة) ، ج٣ ، ص٢٠٢.

ونلحظ أن النص عبر عن النصح بأنه فن ، وبهذا فهو أمر غير متاح لكل امرئ أن لم يكن بمواصفات معينة ، ومن ذلك نرى أن منزلة الإلهة (إنانا/عشتار) الرفيع هو ما أجاز لها تبادل المشورة مع سيدها الإله آنو كما جاء في أحدى الترانيم البابلية :

(هي التي يعبدها الرجال والنساء حق عبادة

كلمتها مطاعة في مجلس الآلهة ، أنها العليا

وهي التي تسندهم أمام ملكهم آنو

تركن إلى العقل والحكمة

وتتبادل المشورة مع سيدها)[١٠١].

على أن لصفتها الحربية مكاناً وحضوراً بارزين في طبيعة ونوعية المشورة أو النصيحة التي تسديها ، وهي في الأغلب كانت تصب في هذا الاتجاه :

(الحروب (و) الهجمات – أنتِ تجيبين عن تساؤلات وسطاء الوحي بشأنها ،

في وسطهم ، أنتِ التي لستِ طير – "ارابو"[١٠٢] **، تجيبين (؟) بجواب لا يرضي (؟)، وتفتلين الخيط المستقيم)**[١٠٣].

إن عّد العراقي القديم للإلهة عشتار إلهة للحرب ، ومن ثم تبرير طلب مشورتها في هذا الجانب قد قيل فيه عدة أراء منها : إن قلب عشتار كان عصياً لا يمكن الوصول إليه إلا بخوض منازلات عنيفة لذا جاء وصفها بإلهة الحب والحرب في آن معاً[١٠٤] ، ويشير الرأي الآخر إلى

---

[١٠١] - فاضل عبد الواحد علي ، عشتار ومأساة تموز ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط٢ ، (بغداد : ١٩٨٦) ، ص٤٦.

[١٠٢] - طائر الـ"ارابو" يعتقد أنه طائر السمان وكان لحمه من بين القرابين التي تقدم بها الملك الآشوري آشور ناصر بال الثاني (٨٨٣ – ٨٥٩ ق . م) ؛ سجى مؤيد عبد اللطيف ، الحيوان في أدب العراق القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (بغداد : ١٩٩٧) ، ص١٩٠.

[١٠٣] - كريمر ، السومريون ، ص٢٥٣.

[١٠٤] - فوزي رشيد ، من هم السومريون ، آفاق عربية ، العدد ١٢ ، ١٩٨١ ، ص٨٦.

أن (إنانا/عشتار) بكونها إلهة للحرب لم يكن له ما يبرره كالقدرة على التنبؤ أو المقدرة العسكرية، وان ذلك لا يتعدى عن كونها أنثى والجيش يفتقد إلى هذا العنصر مما أعطى دفعا لهم لبذل الجهد المطلوب في المعركة وأنها باعثهم بالقسوة على الأعداء لتطرفها المعهود بالحب والغضب[١٠٥] ، وهناك رأي ثالث يشير إلى أن سبب نعتها إلهة للحرب يعود إلى أن الناس في المناطق الواقعة إلى الشمال من بغداد كانت في سني انحباس المطر وحلول الجفاف تتقاتل فيما بينها للظفر بالغذاء ، وان ذلك يعود إلى اختفاء الإلهة إنانا وكأن هذا الغياب دليل إرادتها بوقوع الحرب[١٠٦]؛ أما الرأي الذي نراه أقرب إلى إسناد وظيفة الحرب للإلهة (إنانا/عشتار) راجع إلى ان لمعان نجمها قبل شروق الشمس بساعات لا تتعدى الثلاثة كان إيذاناً للجيوش سواء كانت غازية أم محررة ، بالانطلاق لتحقيق هدفها لأنه الوقت الملائم لضمان عنصر المباغتة المهم في الحسابات العسكرية[١٠٧] ، ومن هنا يتجلى دور هذه الإلهة في كونها من يأمر بانطلاق هذه الجيوش ، ومن بين الإلهات اللاتي أتصفن بتقديم النصح الإلهة السومرية (ننسون –Ninsun) [١٠٨] التي قامت بدور الناصح والمرشد للملك كلكامش في ملحمته المشهورة[١٠٩].

إن قدرات الآلهة وميزاتها التي تفوق البشر حتماً لم تدرء عن الآلهة مواقف تجعلهم منذهلين غير قادرين على التصرف بل قد تفقد الآلهة إيمانها بالنصح والمشورة ، فنطالع في نص من أسطورة انزو:

(أما أبوهم ومستشارهم انليل فصار كالأبكم لشدة ذهوله

لأنه (انزو) سلب القاعة بهاءها

---

١٠٥ - نائل حنون ، شخصية الإلهة الأم ودور الآلهة "إنانا . عشتار" في النصوص السومرية والاكدية ، سومر ، المجلد ٣٤ ، ١٩٧٨ ، ص ص٣٥ – ٣٦.

١٠٦ - راجحة خضر عباس النعيمي ، الأعياد في حضارة بلاد وادي الرافدين ، دار صفحات ، (دمشق : ٢٠١١)، ص ص ١٤٣ – ١٤٤.

١٠٧ - وداد جاسم الجوراني ، الرحلة الى الفردوس والجحيم في أساطير العراق القديم ، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد : ١٩٩٨) ، ص١١٣.

١٠٨ - هي والدة كلكامش التي حملت به من ملك الوركاء لوكالبندا ؛ ينظر : طه باقر ، ملحمة كلكامش ، ص٤٩.

١٠٩ - ادزارد وآخرون ، قاموس الآلهة والاساطير ، ص١٧٢.

فراح آلهة البلاد يبحثون عن حل في كل مكان)[١١٠].

ثانياً : الملوك

سادت نظرة التقديس فكر العراقيين القدامى نحو الملكية ، وذلك راجع إلى أن الآلهة فوضت من ينوب عنها من بين البشر للحكم في الأرض ، فكان التاج والصولجان من بين هبات الآلهة للبشر[١١١] ، والملك كان على هذا الأساس ممثلاً للآلهة ومندوب البشر عندها[١١٢] ، وجاء في جداول أثبات الملوك السومرية : **(بعد أن هبطت الملكية من السماء ، أصبحت "أريدو" (مقر) الملكية)**[١١٣] ، مما يؤكد شرعية حكمه ، وأمر الملكية هذا دفع بالملك إلى استشارة الآلهة قبل أقدامه على فعل أي شيء ، وكانت استشارة الآلهة من قبل الملوك أحدى مهامهم الدينية البارزة[١١٤] ، لذا عُدَ وفاة الملك انقطاعاً لصلة الوصل بين الآلهة والبشر[١١٥] ، وأن شرعية حكمه

التي أكسبتها أياه الآلهة ، وإرجاع تصرفاته على إنها نتاج استشارته الآلهة ، ومنح كل إله صفة من صفاته إليه ، لابد وأنها أمور أهلت الملك لئن يكون قادراً على إسداء النصح والإرشاد فنطالع عن كلكامش[١١٦] في ملحمته :

---

١١٠ -فاضل عبد الواحد علي ، سومر أسطورة وملحمة ، ص١٢٨.

١١١ - عامر سليمان ، العراق في التاريخ القديم - موجز التاريخ السياسي ، دار الكتب للطباعة والنشر ، (الموصل: ١٩٩٣) ، ج١ ، ص١٤١.

١١٢ - اندريه ايمار وجانيت اوبوايه ، الشرق واليونان القديمة ، تر : فريد م . داغر وفؤاد ج . أبو ريحان ، منشورات عويدات ، (بيروت : ١٩٦٤) ، ص١٤٢.

١١٣ - كريمر ، السومريون ، ٤٧٣؛ وعن أهمية هذا النزول لدى السومريين ينظر :

Lammbert , W . G , Babylonian Wisdom Literature , CP , (Oxford : 1960) , p17.

١١٤ - عامر حسن فياض وعلي عباس مراد ، إشكالية السلطة في تأملات العقل الشرقي القديم والإسلامي الوسيط، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد : ٢٠٠٥) ، ص٧٣.

١١٥ - سامي سعيد الأحمد ، السومريون وتراثهم الحضاري ، منشورات الجمعية التاريخية العراقية ، (بغداد : ١٩٧٥) ، ص١٢٩.

١١٦ - أُختلف في تحديد نسب كلكامش إلا أن المتفق عليه أنه عاش ما بين (٢٨٠٠ و ٢٥٠٠ ق . م) ؛ ينظر : دالي، أساطير من بلاد ما بين النهرين ، ص٦٦.

(هو الذي رأى كل شيء فغني بذكره يا بلادي

وهو الذي عرف جميع الأشياء وأفاد من عبرها

وهو الحكيم العارف بكل شيء

لقد أبصر الأسوار وكشف عن الخفايا المكتومة

وجاء بأنباء ما قبل الطوفان)[١١٧].

فهنا نلاحظ أن من أتصف برؤية كل شيء وكان حكيماً حري أن يستشار وأن تؤخذ مشورته على أنها أمر ، ثم أن القول بإتيانه بكل ما حصل قبل الطوفان دليل على أنه قد خبر التجارب التي مرت واستخلص منها العبر ، وجاءت مشورته لصاحبه انكيدو في ذات الملحمة لتدلنا على عظيم قدراته في النصح والتوجيه الذي يقود إلى بر الأمان حينما أوجز لأنكيدو كيفية القضاء على الثور السماوي الذي وضعه الإله آنو بيد أبنته (إنانا /عشتار) لتقضي به على كلكامش عقب رفضه الزواج منها :

(ينبغي أن نقسم العمل فيما بيننا

أنا أمسك بالثور من ذيله

وينبغي أن يكون طعن السيف ما بين السنام والقرنين)[١١٨].

أن التوظيف السياسي والعسكري في هذا النص يظهر مواهب كلكامش القيادية ومن بينها إسداء النصح والتوجيهات اللازمة لتجاوز أزمة هذا الثور السماوي ، وفي نص آخر نقرأ عن أسلوب مغاير لإظهار منزلة الملك إذ نقرأ في وصف الملك إياناتم–Eannatum) [١١٩] لنفسه :

[١١٧] - حسين احمد سلمان ، كتابة التاريخ في وادي الرافدين في ضوء النصوص المسمارية ، ص٦٥.

[١١٨] - طه باقر ، ملحمة كلكامش ، ص١١٤.

[١١٩] - خامس ملوك سلالة لكش الأولى (٢٥٥٠ – ٢٣٧٠ ق . م) وأول من تلقب بلقب ملك كيش ؛ ينظر : رجاء كاظم عجيل العكيلي ، سلالة لجش الأولى (٢٥٥٠ – ٢٣٧٠ ق . م) والثانية (٢٢٥٠ – ٢١١٤ ق . م) دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، ص٤٧.

(لـ "تينجرسو" –"أياناتم" ، انسي "لكش" ، الذي أعلن اسمه الإله "انليل" ، والذي وهبه الإله "تينجرسو" القوة ، ومن اختارته الإلهة "تانشة" في قلـ(بها) ، الذي كانت تغذيه الإلهة "تينخرساك" دائما بلبنـ(نها) والذي سمته الإلهة "إنانا" بإسم حسن ، والذي وهبه الإله "انكي" الفهم)[١٢٠].

فحري بالشعب الذي يكون ملكه مسمى من قبل إله لشغل هذا المنصب ، وإله آخر منحه القوة ، وأحبته إلهة أخرى من كل قلبها ، وأرضعته أخرى من لبنها وأعطته رابعة اسماً حسناً ، وخصه إله بالفهم ، فواجب أن تطاع أوامره وتحترم مشورته.

وأن من صفات الملك الكمال لأن كل إله قد بادر إلى منحه صفة من صفاته[١٢١] ومن بينها صفة ابداء الرأي وهذا ما نستشفه من نص سطره الملك البابلي حمورابي "مسلة حمورابي"[١٢٢] إذ جاء في مقدمتها :

(أنا حمورابي ، الملك الكامل ، لم أكن مهملاً أو مزعجاً لذوي الرؤوس السود[١٢٣]، الذين قدمهم لي الإله انليل وأودعني مهمة حكمهم الإله مردوخ ، لقد بحثت لهم عن أماكن أمينة ، وأعنتهم على حل مشاكلهم القاسية ، وجعلت النور يشرق عليهم ، وبالسلاح الفتاك الذي وهبني إياه الإله زبابا والإلهة عشتار ، وبالرأي الذي هداني إليه الإله انكي ، وبالقدرة التي

---

١٢٠ - كريمر ، السومريون ، ص٤٤٢.

١٢١ - مريم عمران موسى ، الفكر الديني عند السومريين في ضوء المصادر المسمارية ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، (جامعة بغداد : ١٩٩٦)، ص٢٢٨.

١٢٢ - ضمت المسلة ٢٨٢ مادة قانونية ؛ نائل حنون ، شريعة حمورابي (ترجمة النص المسماري مع الشروحات اللغوية القواعد اللغوية مقدمة الشريعة المواد القانونية) ، بيت الحكمة ، (بغداد : ٢٠٠٣) ، ج١ ، ص١٥ ؛ وتعد قوانينه التي كتبت بالخط المسماري واللغة البابلية الأولى من نوعها تنظيماً وشمولية ؛ بهيجة خليل إسماعيل ، مسلة حمورابي ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد : ١٩٨٠) ، ص ص٥ – ٦.

١٢٣ - هناك خلاف بشأن ما إذا كان هذا التعبير معني به البشرية ككل أم الشعب السومري فعلى سبيل المثال نرى أن الأستاذ نائل حنون يشير إلى أن المقصود بصفة الرؤوس السوداء التي ترد في الأسطورة هم السومريون= لأنها صفة خاصة بهم ؛ ينظر : عقائد الحياة والخصب في الحضارة العراقية القديمة ، ص٦٣؛ أما الأستاذ فاضل عبد الواحد علي فيذهب إلى أن المقصود بالرؤوس السوداء هم البشر قاطبةً ؛ الطوفان في المراجع المسمارية ، مطبعة اوفسيت الإخلاص ، (بغداد : ١٩٧٥) ، هامش (١٣٩) ، ص١١٩.

منحني إياها الإله مردوخ ، استأصلت دابر العدو من الشمال إلى الجنوب ، وأنهيت الحرب وأرحت البلاد)[١٢٤].

والملك كان يبدو مخلوقاً فريد يحتل مركزاً خاصاً ما بين الآلهة والناس وهو بالتالي يجسد العلاقة التي تقوم ما بين العالم الإلهي والعالم الإنساني ، أي بمعنى أن الملك يتميز بطبيعة مضاعفة فهو من جهة ممثل الآلهة بين البشر ، ومن جهة أخرى ممثل البشر بين الآلهة.

ثالثاً : الكهنة العرافون

إن وجود المدن في بلاد الرافدين في أواخر الألف الرابع قبل الميلاد رافقه وجود معبد مركزي في كل منها[١٢٥]، ولأن العرافة هدية إلهية خصت بها الآلهة بعض البشر[١٢٦]، فليس من المعقول أن يكون كائن من يكون قد خصته الآلهة بهذه المنزلة أي منزلة الاتصال بها والإجابة على ما تسأل.

ولضرورات النظم السياسية في عصر دويلات المدن السومرية سُمّي بـ(دويلة المعبد) وبيّنت النصوص الإدارية حجم السخرة لصالح المعبد[١٢٧] ، وكانت المدينة وما عليها ملك الإله[١٢٨] وأن الملك الكاهن هو من يدير هذه المدينة وله حق تأجير الأراضي فيها[١٢٩] ، ولعلمه الكبير بكيفية تقرب الإنسان من إلهه الخالق ، عُدَ الكاهن وسيطاً بين الآلهة والبشر[١٣٠] ، والكاهن

---

١٢٤ - فوزي رشيد ، الملك حمورابي مجدد وحدة البلاد ، الموسوعة الذهبية ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد : ١٩٩١) ، ص٨٢.

١٢٥ - ديفيد وجوان اوتيس ، نشوء الحضارة ، تر : لطفي الخوري ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد : ١٩٨٨) ، ص٢٣٩.

١٢٦ - جيمس هنري برستد ، انتصار الحضارة ، تر : احمد فخري ، مكتبة الانجلو المصرية ، (ب . ط) ، ص١٩٤.

١٢٧ - جان باتيرو وآخرون ، الشرق الأدنى الحضارات المبكرة ، ص٨٧.

١٢٨ - هنري فرانكفورت ، فجر الحضارة في الشرق الأدنى ، تر : ميخائيل الخوري ، دار مكتبة الحياة، (بيروت: ١٩٥٩) ، ص٦٤.

١٢٩ - صموئيل . هـ . هوك ، ديانة بابل وآشور ، تر : نهاد خياطة ، موسوعة تاريخ الأديان ، تحرير فراس السواح ، ط٢ ، دار علاء الدين ، (دمشق : ٢٠٠٧) ، ج٢ ، ص٢٥٨.

١٣٠ - سهيل قاشا ، تاريخ الفكر في العراق القديم ، ص٢٦١.

يستطلع المستقبل بمساعدة جنس من الجن يأتيه بما يسمعه من أخبار[١٣١] ، وكذلك عن طريق الفأل ، والتنبؤات ، وتفسير الأحلام ، التي بوساطتها توصل الآلهة للإنسان ما ترغب به[١٣٢]، وكان الملك يتلقى المشورة من قبل الكهنة الاعتياديين فيما يتعلق بتقديم النذور ، والقيام ببعض الأعمال الطقوسية الاحتفالية[١٣٣] ، وكان للكاهن العراف منزلة كبيرة فهو ملجئ الملك وقائد الجيش وشاغلي مختلف المناصب العليا عند حاجتهم للاستشارة طلباً للمشورة في الأمور المهمة[١٣٤] ، وإن تشييد الأبنية الدينية الضخمة وتعددها كان بفعل جهود استشارية يقدمها هؤلاء الكهنة[١٣٥] وكان الملوك آنذاك يعتمدون كثيراً على الكهنة والعرافين في نقل الخطاب للآلهة مما جعلهم لسان حال الملوك[١٣٦].

وإن عد نصوص الطالع مصدراً تاريخياً[١٣٧] ، يبدو لنا ناشئ في إحدى أشكاله من قرب الكاهن من الملوك ووقوفه حقيقة على ما يجري من أمور التي تتيح له استقراء الفأل بما يتناسب وحقيقة الظروف التي تمر بها المملكة لا حقيقة ما هو عليه نذر الطالع.

وكانت العرافة وسيلة للاتصال بالآلهة[١٣٨] للتعرف على ما تخبأه من أقدار[١٣٩] وهي بذلك أحدى وسائل الحصول على النصيحة بصورة مباشرة بواسطة العراف إذ إن قيام العراف

---

١٣١ - ليث مجيد حسين ، الكاهن في العصر البابلي القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (بغداد : ١٩٩١) ، ص١٤.

١٣٢ - فاضل عبد الواحد علي وعامر سليمان ، عادات وتقاليد الشعوب القديمة ، ص٤٤.

١٣٣ - جورج كونتينيو ، الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور ، تر : سليم طه التكريتي و برهان عبد التكريتي ، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد : ١٩٨٦) ، ص٤٦٣.

١٣٤ - جون اوتس ، بابل تاريخ مصور ، تر : سمير عبد الرحيم الجلبي ، دائرة الآثار والتراث ، (بغداد : ١٩٩٠)، ص٢٦٩.

١٣٥ - علي محمد مهدي ، الملاحم والأساطير في العراق القديم ، آفاق عربية ، العدد ١٢، ص١٠٩.

١٣٦ - حسين سيد نور جلال الأعرجي ، الخطاب السياسي في العراق القديم (٣٠٠٠ - ٥٣٩ ق . م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة واسط : ٢٠٠٥) ، ص٢٦٧.

9- Goetze , Albrecht , Historical Allusions in Old Babylonian Omen Texts , JCS , Vol 1 , No 3 , (USA : 1947) , p265.

١٣٨ - فاضل عبد الواحد علي ، طرق العرافة في النصوص المسمارية ، مجلة كلية الآداب ، العدد ٢٥ ، (بغداد : ١٩٧٩) ، ص٦٩٥.

باطلاع الشخص على الفأل الذي حددته له العرافة يمكنه من العمل بما يساعده على تغيير مشيئة الآلهة لأن المستقبل الذي حددته العرافة لم يكن "المستقبل الحقيقي" إنما هو الآني الواقعي، ومثلما يتراجع الملك عن قراراته تحت ضغط ما ، كانت رحمة الآلهة سبيلاً إلى تغيير نتيجة ما تم التوصل إليه عن طريق الفأل[١٤٠]، وذلك بإقامة الطقوس[١٤١] المناسبة[١٤٢].

رابعاً : مجالس دويلات المدن

كانت مجالس دويلات المدن أو مجالس شورى المدن في حضارة العراق القديم هي الأولى من نوعها في العالم [١٤٣]، وبما أن زيادة أعداد السكان واستقرارهم في بلاد الرافدين[١٤٤] إلى جانب الفعل الاجتماعي هو من أوجد المدن[١٤٥] فلابد وأن يكون هناك ما يتناسب وحجم هذه النظم الإدارية فكان مجلس دويلة المدينة الذي أصبح مجلساً للمدينة في عهود الحكومات المركزية في العراق القديم.

---

١٣٩ - عامر سليمان ، العراق في التاريخ القديم – موجز التاريخ الحضاري ، دار الكتب للطباعة والنشر ، (الموصل : ١٩٩٣) ، ج٢، ص١٢٨.

١٤٠ - جان باتيرو ، بلاد الرافدين الكتابة – العقل – الآلهة ، تر : البير ابونا ، مراجعة وليد الجادر ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد : ١٩٩٠) ، ص٥٠.

١٤١ - كانت واحدة من طقوس التخلص من الفؤول الشريرة والتنبؤات غير الجيدة تدعى "نمبوربو" أو "نامبوربي" وهي طقوس تطهير وإجراءات تعزيم دقيقة ؛ ينظر : باتيرو ، بلاد الرافدين ، ص٣٧٣ ؛ اوتس ، بابل تاريخ مصور ، ص٢٧٠.

١٤٢ - ساكز ، عظمة بابل ، ص٣٥٩.

١٤٣ - طه باقر وآخرون ، تاريخ ايران القديم ، جامعة بغداد ، (بغداد : ١٩٨٠) ، ج١ ، ص ص ١١٢ – ١١٣؛ لقد أشارت الآثار المكتشفة إلى أن عهد الأسرتين الأولى والثانية في مصر شهدت وجود مجلس عرف بإسم "الرؤساء العشرة العظام الجنوبيين" وهو مؤلف من عشرة حكام من القسم القبلي الذي يضم عشرين قسما وهذا المجلس لأنه ممثلا عن القسم القبلي في مصر الذي يضم عشرين قسما كما ذكرنا يوحي إلينا بالاعتقاد انه مخصص لتسيير أمور الأقسام العشرين من قبل حكام الأقسام العشرة الكبار في هذا المجلس وهو بذلك لا = يشبه من حيث المضمون مجالس دويلات المدن التي اشتهر بها تاريخ العراق القديم وسبق فيها العالم المتحضر آنذاك؛ ينظر : جيمس هنري برستد ، تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي ، تر : حسن كمال ، مكتبة مدبولي ، ط٢ ، (القاهرة : ١٩٩٦) ، ص٥٢.

١٤٤ - مارك بيرجيه ، العراق مؤسس الحضارات ، تر : كامل عويد العامري ، آفاق عربية ، العدد (٥ – ٦) ، بغداد : ١٩٩٩) ، ص ص٥٠ – ٥١.

١٤٥ - رالف لنتون ، شجرة الحضارة قصة الإنسان منذ فجر ما قبل التاريخ حتى بداية العصر الحديث ، تر : احمد فخري ، المركز القومي للترجمة ، (القاهرة : ٢٠١٠) ، ج١ ، ص١٩٨.

وكان مجلس دويلة المدينة العام يضم مجلسين أحدهما للمسنين أو الشيوخ ، والآخر للقادرين على حمل السلاح وأرتبط كلا المجلسين المسنين والقادرين على حمل السلاح بعامل مشترك واحد يتمثل بمجلس عام للمواطنين حمل أسم اونكين "Unkin"[١٤٦] وتشير المكتشفات الأثرية إلى أن لفظة "المجلس" GAL–UKKIN –NA[١٤٧] و "الشيوخ"[١٤٨] قد وردت في مدونات العصر الشبيه بالكتابي (٣٥٠٠– ٢٨٠٠ ق . م) وهذا دليل على وجود هذه المؤسسة في بداية تكوين المدن[١٤٩].

وتشير الوثائق المكتشفة إلى أن هذه المجالس حملت تسمية "مجلس الإداريين" وفي أحيان "مجلس الأعيان" وفي مواضع أخرى بإسم المدينة التي تعود إليها هذه الوثائق كـ"مجلس البابليين" و"مجلس الاوركيين"[١٥٠].

وكانت شؤون دويلة المدينة السياسية تدار من قبل مجلس عام وهذا المجلس يسترشد بنصح وتوجيه مجلس الكبار في تصريف الشؤون اليومية[١٥١] ، والمجلس العام ينتخب عضواً من بين أعضائه لإدارة البلاد لمدة زمنية محددة[١٥٢]، والمناقشات في هذا المجلس تتواصل إلى

---

١٤٦ - سامي سعيد الأحمد ، العراق القديم ، جامعة بغداد ، (بغداد : ١٩٧٨) ، ج١ ، ص٣٣٤.

١٤٧ - وردت لفظة المجلس في اللغة السومرية بصيغة (GAL-UKKIN(-NA) ويأتي معنى رئيس المجلس بإضافتها إلى لفظة GAL ليصبح المعنى رئيس المجلس وفي اللغة الاكدية mu erru تعني رئيس المجلس ؛ رينيه لابات ، قاموس العلامات المسمارية ، ص١٥٧؛ ويورد الدكتور فوزي رشيد الجملة السومرية رئيس المجلس بالصورة التالية GAL.UNKIN أي انه يورد لفظة المجلس بصيغة هجائية مختلفة ؛ ينظر : فوزي رشيد، أقدم الكتابات المسمارية المكتشفة في حوض سد حمرين ، دار الكتب للطباعة والنشر ، (الموصل : ١٩٨١) ، ص١٤٩.

١٤٨ - وردت لفظة الشيوخ بصيغتها المفردة شيخ في اللغة السومرية lúŠU-GI وباللغة الاكدية šību ؛ رينيه لابات ، قاموس العلامات المسمارية ، ص١٦٣.

١٤٩ - هنري فرانكفورت ، فجر الحضارة في الشرق الأدنى ، ص ص٨٤ – ٨٥.

١٥٠ - أمل مخائيل بشور ، تاريخ الإمبراطوريات السامية في بابل وآشور ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، (طرابلس : ٢٠٠٨) ، ص٢١٩.

١٥١ - ثوركيلد جاكوبسن وآخرون ، ما قبل الفلسفة ، ص١٤٩.

152 - FRANKFORT , HENRI , Kingship and the Gods (a study of Ancient Near Eastern Religion as the Integration of Society and Nature) , KG , The University of Chicago press , (Chicago : 1978) ,p215.

أن يتم تحقيق الإجماع الكلي على رأي ما[١٥٣].

وعرف أول مجلس شورى في بلاد الرافدين ، وموعد انعقاده في الربع الأول من الألف الثالث قبل الميلاد[١٥٤]، وكان برلماناً يضم مجلسي المدينة : الأعيان ، ويمثل الشيوخ ، والنواب ، ويمثل القادرين على حمل السلاح اللذين نسمع عن انعقادهما منذ مطلع الألف الثالث قبل الميلاد للاختيار ما بين السلم أو الحرب ، ويعد أول برلمان عرف في التاريخ[١٥٥]، وكانت أحداث حاكم الوركاء كلكامش ، و(اكا–Aga) [١٥٦] حاكم كيش (٢٦٨٠ ق . م) هي من كشفت عن أقدم مجلس شيوخ سومري[١٥٧] .

وقد وصف أعضاء مجلس المسنين في مدينة الوركاء بأنهم مستشارون وكانوا يمثلون كبار الأسر الموجودة ، وقد أستشار كلكامش هذا المجلس بشأن حربه مع اكا حاكم كيش– Kišh طالباً مشورته ، وعند رفضه الحرب ، التجأ إلى عقد مجلس عام يضم جميع المواطنين من الذكور ما اتاح له الحصول على الموافقة[١٥٨] ، كما في نص الملحمة الآتي :

(إلى اوروك أوفد آكا ، ابن اينمرباراكيسي[١٥٩]

من كيش ، رسلا إلى كلكامش

---

١٥٣ - هنري فرانكفورت ، فجر الحضارة في الشرق الأدنى ، ص ص ٨٥ – ٨٦.

١٥٤ - ميخائيل مسعود ، سجيع الجبيلي ، الحضارات بين الصراع والحوار ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، (طرابلس: ٢٠٠٩) ، ص٤٢.

١٥٥ - كريمر ، من ألواح سومر ، تر : طه باقر ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، (القاهرة : ١٩٥٧) ، ص ص٨١ – ٨٢.

١٥٦ - "اكا" الملك الأخير لسلالة كيش الأولى وحكم إلى جانب كلكامش في عصر فجر السلالات الثانية ؛ ينظر : طه باقر ، مقدمة في أدب العراق القديم ، ص١٥٥.

١٥٧ - فيصل عبد الله وعيد مرعي ، المدخل إلى تاريخ الحضارة ، جامعة دمشق (دمشق : ٢٠٠٨) ، ص٢٤٨.

١٥٨ - هاري ساكز ، عظمة بابل ، ص٥٩.

١٥٩ - "اينمرباراكيسي" احد ملوك كيش بعد الطوفان وحكم بحسب إثبات الملوك السومرية ٩٠٠ سنة كملك ؛ ينظر : كريمر ، السومريون ، ص٤٧٤؛ وهذا الملك شخصية تاريخية ورد عن حملته على بلاد عيلام نص يوثقها وقد أسندت إليه كتابات (تميل) بنائه لمعبد إله القمر سن في مدينة نفر والذي أسهم ابنه اكا فيما بعد في عملية ترميمه ؛ ينظر : سامي سعيد الأحمد ، العراق القديم ، ج١ ، ص٢٤٥.

وأمام قدماء مدينته ،

عرض كلكامش القضية هكذا :

"لكي ننتهي مع مشكلة مأخذ الصلصال

لكي ننتهي مع مأخذ صلصال البلد ،

لكي ننتهي مع مأخذ الصلصال المفضل في البلاد ،

لكي ننتهي مع استخراج الصلصال ، الذي

يتم قياسه بواسطة الخيط

كلا ! علينا الا نخضع لمعبد كيش

ولنضرب بسلاحنا !")[١٦٠].

وتظهر استشارة مجلسي الشيوخ والمحاربين في عصر فجر السلالات الثانية بما يؤكد عدم قيام الملوك بنشاط حكومي دون حصول اتفاق بالرأي ما بينه وبين المجلسين[١٦١].

وكان من مهام كلا المجلسين إعلان الحرب ، وتنفيذ عقوبة الاعدام ، ودراسة الدعاوى القضائية المهمة ، فيما اختص مجلس المسنين بتولي زمام الحكم كما حصل مع كلكامش ، الذي نقل صلاحياته إلى مجلس المسنين عند سفره إلى غابة الأرز[١٦٢] ، كما مبين في نص من ملحمة كلكامش :

(في مجلسنا ، (لقد سلمنا إليك الملك) ،

---

[١٦٠] - قاسم الشواف ، ديوان الأساطير ، (الموت والبعث والحياة الأبدية) ، دار الساقي ، (بيروت : ٢٠٠١) ج٤ ، ص٤٨٣.

[١٦١] - ساكز ، البابليون ، ص٥٦.

[١٦٢] - سامي سعيد الأحمد ، الإدارة ونظام الحكم ، حضارة العراق، دار الحرية للطباعة ، (بغداد : ١٩٨٥) ، ج٢، ص٢١.

لدى عودتك ، (ستسلم إلينا الملك ثانية)[١٦٣].

ويظهر أن المجلس العام كان يبادر إلى انتخاب أحد أعضائه ليكون مسؤولاً عن إدارة المدينة تحت مسمى اين– E.N أي السيد[١٦٤].

أن القول بتسلم مجلس دويلة المدينة التوجيهات من قبل الحاكم[١٦٥] كان على ما يبدو نتيجة؛ انفصام القيود التي كان يضعها مجلس دويلة المدينة عليه منذ أواخر عصر فجر السلالات[١٦٦] ، في حين كان معنى لوكال–Lugal الشخص الذي يقود الدويلة بتفويض من المجلس[١٦٧]، وبالرجوع إلى الفكر الأسطوري نجد أن سلطة انليل كانت مقيدة على الرغم من كونه رئيساً لمجمع الآلهة السومري[١٦٨] ، ونرى أن التعارض بين هذه الآراء يتمثل بان مجالس دويلات المدن قد افتقدت منزلتها مع ظهور السلطات المركزية بدءاً بالاكديين (٢٣٧١ – ٢١٦٠ ق . م) ولم تعد حتى التسمية "مجالس دويلات المدن" مناسبة لان البلاد قد توحدت تحت نظام واحد.

أن سيطرة القصر في عهود الحكومات الاكدية والبابلية والآشورية على السلطتين السياسية والعسكرية لم يلغِ وجود المجالس الاستشارية والهيئات الاجتماعية والإدارية التي كان لها إسهامها الاستشاري في صنع القرار[١٦٩] ، إلا أننا لا نستطيع القول إن لهذه المجالس رأي ملزم للملوك الذين أطلق بعضهم على نفسه ألقاب فائقة تضاهي في مكنونها ما للآلهة من قدرات مثل "ملك الجهات الأربع" ، أو عمدوا إلى ممارسة السلطة المطلقة.

---

١٦٣ - لابات ، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين ، ص١٩٤.

١٦٤ - عامر سليمان ، العراق في التاريخ القديم - موجز التاريخ السياسي ، ج١ ، ص١٣٩.

١٦٥ - جان باتيرو وآخرون ، الشرق الأدنى الحضارات المبكرة ، ص٩٠.

١٦٦ - عامر سليمان وأحمد مالك الفتيان ، محاضرات في التاريخ القديم ، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، (الموصل : ١٩٧٨) ، ص٨٥.

١٦٧ - ساكز ، البابليون ، ص٨٢.

١٦٨ - كريمر ، السومريون ، ص١٩٤.

١٦٩ - علي محمد مهدي ، الملاحم والأساطير في العراق القديم ، ص١٠٦.

خامساً : مستشارون آخرون

لم يقتصر تقديم المشورة على الرموز والعناوين التي تعرفنا عليها من آلهة وملوك وكهنة عرافون ومجالس دويلات مدن ، بل نرى أن تقديم المشورة كان ممكنا من قبل أشخاص عاديين منفردين كانوا ، أو ضمن تنظيم معين وإن المشورة كانت حاضرة أيضاً بين الصناع الذين بادر كلكامش إلى توجيه أوامره إليهم بصنع نوع من السلاح على خلفية الرغبة التي تولدت لديه بالسفر إلى غابة الأرز ، وهنا نلحظ أن مسألة التشاور بين الحدادين استلزمت عقد مجلس بغية التوصل إلى صنع نوع السلاح الذي أمر بهِ كلكامش ، وهنا لابد أن يكون التشاور من اجل تبادل الخبرات الشخصية بين هؤلاء الصناع من اجل ضمان الوصول إلى شكل السلاح المطلوب من قبل سيدهم : **(عقد الصناع مجلساً وتبادلوا الآراء)**[١٧٠].

ومن رسالة أرسلها شخص إلى آخر أثناء الغزو الكوتي[١٧١] للعراق ، نستشف من خلالها: أولاً ، أن الامر ممكن أن يصدر من قبل أرباب العمل أو مالكي الأراضي ، وثانياً ، أن طبيعة الاوامر والتوجيهات التي سادت هذا العصر تأثرت بالوضع السياسي المصاحب للغزوات التي تعرضت لها البلاد ، وهذا ما يؤكده النص التالي كما يفهم من سياقه العام :

(احرث حقلك واحرس ماشيتك ، وقبل كل شيء لا تقل

لي إن الكوتيين من حولي وأنني لا استطيع حرث

الحقل ... وإذا ما حاول الكوتيون الهجوم عليك فاجلب

الماشية إلى المدينة ، لأنه عندما اخذ رجال من الكوتيين

الماشية مني في السابق فإني لم استطع النطق بكلمة

---

١٧٠ - لابات ، المعتقدات الدينية ، ص١٨٤.

١٧١ - الكوتيون هي اقوام متخلفة قدمت الى العراق من الجهات الشرقية للبلاد وبالتحديد من منطقة جبال زاكروس واستمر حكمهم للبلاد لأكثر من قرن (٢٢٣٠ – ٢١٢٠ ق . م) ؛ ينظر : فاضل عبد الواحد علي ، صراع السومريين والاكديين مع الأقوام الشرقية والشمالية الشرقية المجاورة لبلاد وادي الرافدين (٢٥٠٠ – ٢٠٠٠ ق. م) ، الصراع العراقي الفارسي ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد : ١٩٨٣) ، ص ص ٣٨ – ٤٠ ؛ وينظر نفس المؤلف ، السومريون والاكديون (العراق في التاريخ) ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد : ١٩٨٣) ، ص٧٨.

واحدة ... والآن فإني اقسم بحياة الملك شاركاليشاري[١٧٢] إنه

إذا ما اخذ رجال الكوتيين الماشية ولم تستطع أن تدفع لي

من جيبك الخاص فإني لن ادفع لك ثمنه عندما آتي إلى

المدينة . والآن أرجوك ان تحرس الماشية)[١٧٣].

ومن خلال ما جاء في هذا الفصل نتوصل إلى أن المشورة والنصيحة والأمر قد عهدها الفكر العراقي القديم وأن الاساليب التي تم اتباعها لتحقيق مدلولاتها رجحت كفة الاعلى إلى ما دونه منزلة سواء كانت فيما بين الآلهة والآلهة أو الملوك تجاه بعضهم وكذلك من الآلهة إلى البشر ومن الملوك إلى البشر أما الآليات فكانت أقرب ما يكون إلى حالة سوق المشورة أو النصح أو الامر بصورة مباشرة مع مراعاة استثناء حالات المشورة او النصيحة او الامر الصادرة عن الآلهة التي كانت تتم وفق اساليب معينة عرفها إنسان ذلك الزمان كالعرافة.

---

[١٧٢] - شاركالي شري (٢٢٥٤ ــ ٢٢٣٠ ق . م) خامس ملوك السلالة الاكدية (٢٣٧١ ــ ٢٢٣٠ ق . م) شهد عهده أحداث كبيرة يأتي في مقدمتها انتصاره على العيلاميين وصد الأقوام الآمورية وأخيراً انتهاء استقلال البلاد على يد الكوتيين ؛ ينظر : طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج١ ، ص ص٤٠٦ ــ ٤٠٧.

[١٧٣] - عامر سليمان ، العراق في التاريخ القديم - موجز التاريخ السياسي ، ج١ ، ص ص١٦٣ ــ ١٦٤.

الفصل الثاني

المشورة والنصيحة والأمر بين الآلهة

المشورة والنصيحة بين الآلهة

أوامر الآلهة للآلهة

المشورة والنصيحة بين الآلهة

عاش العراقي القديم أجواء خصبة في معتقده الديني من حيث سعة افقها ، وقد حاول بلورتها بالاتجاه الذي يخدم فيه مصالحه الذاتية ؛ وكان هذا الأمر عاماً لا يختص بسلوكه فرد من دون آخر فانتقل بذلك إلى حيز التأمل الذهني وبذلك تجلت فيه القدرة على التعبير عن معتقده الديني الجمعي(١٧٤)؛ ومنذ فجر التاريخ جسد السومري الآلهة على هيأة بشر(١٧٥)، وامتازت الآلهة بالذكاء والحلم والحكمة ، ولا يخفى عليهم شيء باطن ولا مستقبل قادم(١٧٦) ، وإلى جانب اتصاف الآلهة بالصفات البشرية كما صورها العراقي القديم في الأساطير(١٧٧)؛ نرى إن للحقائق التاريخية حضوراً في الأساطير(١٧٨)؛ إذ أن هدف الإنسان من وضع الأسطورة كان لقولبة الحقائق التي بحوزته وتشخيص ما هو غير بشري مع إعطاء التفسيرات للظواهر الطبيعية(١٧٩) ومن هذا المنطلق سنحاول عرض ومناقشة أنواع المشورة والنصيحة والامر الصادرة من إله أو آلهة إلى ما يناظرهم من الآلهة ، على أن يتم تشخيص المعنى الحقيقي الذي رمزت إليه المشورة والنصيحة والامر في النصوص التي ترد في هذا الفصل :

---

١٧٤ - فراس السواح ، دين الإنسان ، دار علاء الدين ، ط٤ ، (دمشق : ٢٠٠٢) ، ص٤٧.

١٧٥ - باتيرو ، الديانة عند البابليين ، ص٨٥.

١٧٦ - المصدر نفسه ، ص٨٧.

١٧٧ - خليل سعيد ، معالم من حضارة وادي الرافدين ، ص٨٠.

١٧٨ - حسين احمد سلمان ، كتابة التاريخ ، ص٦٣.

١٧٩ - علي حسين الجابري ، الحوار الفلسفي بين حضارات الشرق القديمة وحضارة اليونان ، دار آفاق عربية ، (بغداد : ١٩٨٥) ، ص٢٨.

أولاً : المشورة :

من أوجه المشورة في الصراع[١٨٠] بين الآلهة ما أظهرته ملحمة (اتراحاسيس – Atraḫasis) [١٨١] فقد تضمن نص الملحمة مشورة متبادلة بين الآلهة على خلفية التعب والكلل الذي المّ بالآلهة الأيكيكي– Igigi[١٨٢] المكلفين بخدمة الآلهة الانوناكي– Anunna وبناء على مشورة مقدمة من قبل الآلهة العظام الانوناكي الذين بادرَ إلى استشارتهم ؛ أرسل الإله انليل رسوله الإله (نسكو– Nusku) إلى الآلهة المتمردين[١٨٣]، وقد أستطلع رسوله جلية الأمر فأخبره بأنهم سئموا العمل الشاق ، فكانت مشورته إلى الإله آنو :

(أيها النبيل ! احمل معك إلى السماء

سلطتك وخذ معك قوتك

وطالما أن انوناكي في حضرتك

ابعث في طلب (واحد من) الآلهة وأمر بقتله)[١٨٤].

---

١٨٠ - الصراع نزاع بين طرفين ومحاولة كل طرف التغلب على الآخر باستخدام قوته المادية والصراع بين قوتين معنويتين محاولة لسيطرة أحداها على الأخرى ؛جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج١، ص٧٢٥.

١٨١ - هناك عدد من النسخ التي تم العثور عليها التي تتحدث عن هذه الملحمة أقدمها نسخة نور ايا التي عرفت بإسم ناسخها وهي إلى جانب كمالها تمتاز بقدمها إذ تعود إلى الربع الأول من الألف الثاني قبل الميلاد ؛ ينظر : قاسم الشواف ، ديوان الأساطير (الآلهة والبشر) ، ج٢ ، ص٢٢٧ ؛ وقد عرفت الملحمة بتسمية أخرى هي " حينما كان الآلهة بشرا" ؛ ينظر : نائل حنون ، حقيقة السومريين ودراسات أخرى في علم الآثار والنصوص المسمارية ، دار الزمان ، (دمشق : ٢٠٠٧) ، ص ص٥٩ – ٦٠ ؛ واتراحاسيس هو البطل البابلي للملحمة نظير اوتانبشتم بطل الطوفان في ملحمة كلكامش وزيوسدرا بطل الطوفان السومري واتراحاسيس يعني اسمه الفائق الحكمة ؛ ينظر : دالي ، أساطير من بلاد ما بين النهرين ، ص ص٢٢ – ٢٣.

١٨٢ - فاضل عبد الواحد علي ، الطوفان في المراجع المسمارية ، ص٤٥.

١٨٣ - طه باقر ، مقدمة في أدب العراق القديم ، ص٢٢٠.

١٨٤ - فاضل عبد الواحد علي ، الطوفان في المراجع المسمارية ، ص١٣٠.

إلا أن الإله انو رفض هذا الرأي بقول يدل بحسب هذا النص الأدبي على مدى إنسانية العراقيين واحترامهم للقانون فلا عقوبة بلا جرم ، وكذلك قول كلمة الحق حتى وان كان ذلك فيه إنصاف للصغير الشأن تجاه الكبير ذي المنزلة الرفيعة :

(ففتح آنو فاه

وقال مخاطباً إخوته الآلهة :

بماذا نتهمهم ؟

إن عملهم شاق وعناءهم كبير !

إن عملهم (شاق) كل يوم ....

وكان بكاؤهم عالياً حتى كنا نسمع الصوت (من بعيد)[١٨٥].

إن خاتمة الملحمة تقودنا إلى مشورة بخلق الإنسان من دم إله مقتول كما سيتبين لنا لاحقاً.

وفي قصيدة "اكوشايا"[١٨٦] تصور الآلهة وقد اجتمعوا للتشاور بشأن الإلهة عشتار وكيفية الحد من قوتها التي أزعجت معها الموتى في العالم السفلي[١٨٧] ، فكانت مشورة مجمع الآلهة للإله انكي أن يخلق ند لها :

---

١٨٥ - فاضل عبد الواحد علي ، الطوفان في المراجع المسمارية ، ص ص١٣٠ – ١٣١.

١٨٦ - يعود تاريخ القصيدة إلى عهد الملك حمورابي وإنها وضعت بأمر منه ؛ ينظر : لابات ، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين ، ص٢٧٣ ؛ واكوشايا ويعني رقصة إنانا أسم أطلق على الإلهة (إنانا/عشتار) للدلالة على قدرتها تحريك صفوف المعركة كل منها نحو الآخر ؛ ثوركيلد جاكوبسن ؛ أديان ما بين النهرين(موسوعة تاريخ الأديان) ، ج٢ ، ص١٧٦؛ ويوجد رأي مقارب يشير إلى أنه أسم يطلق على الأصوات التي تصاحب المعارك وقد أصبح هذا اسم لعشتار كونه يدل على اللف الدوراني الذي تشير إليه لفظة "جاشو" فكأن بعشتار تصور على أنها تدور وتلف أمام الآلهة لإظهار رجولتها ؛ قاسم الشواف ، ديوان الأساطير (الحضارة والسلطة) ، ج٣ ، هامش رقم (١) ، ص٢٥٩.

(هذه لتكن خطرة

وليكن فكرها مشحوناً بالمناورات ،

أزهى من بستان ،

جسدها ليكن قديراً)(١٨٨).

فكان أن خلق أولاً الإلهة صلتو(١٨٩)؛ وإلى جانب هذه الإلهة بادر إلى خلق إلهة أخرى عرفت بـ"اكوشايا"(١٩٠).

وفي المناظرة السومرية ما بين الراعي والفلاح(١٩١)، كانت ثمة منافسة بين إلهين هما دموزي الراعي وانكيمدو(١٩٢) الفلاح للظفر بقلب الإلهة إنانا ، وفيها تصدر مشورة عن الإله اوتو إله الشمس إلى أخته الإلهة إنانا يقدم لها المشورة للزواج من الراعي لا الفلاح الذي أظهرت له ميلاً:

(أخوها البطل "اوتو" ، المحارب ،

قال "لإنانا" الطاهرة :

---

١٨٧ - كان العالم السفلي هو عالم اللاعودة عالم الأموات وقد صور على أنه نظير السماء وفيه مستقر الأموات إلى الأبد ؛ جان باتيرو ، بلاد الرافدين ، ص٣٦٥.

١٨٨ - لابات ، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين ، ص ص٢٧٧ – ٢٧٨.

١٨٩ - صلتو أو زلطو يعني اسمها الكفاح وقد عدت نظيرة الإلهة عشتار في العنف ؛ هوك ، ديانة بابل وآشور (موسوعة تاريخ الأديان)، ج٢ ، ص٢٤٤.

١٩٠ - لابات ، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين ، ص٢٧٣.

١٩١ - طه باقر ، مقدمة في أدب العراق القديم ، ص٢٠٨؛ ويعود تاريخ هذه المناظرة إلى النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد ؛ نفس المصدر ، ص١٣٩.

١٩٢- انكيمدو إله سومري عُد مسؤولاً عن الري والحقول ؛ ادزارد وآخرون ، قاموس الآلهة والأساطير ، ص١٠٢.

يا أختاه دعي الراعي يتزوجك ،

يا "إنانا" العذراء علام أنتِ راغبة عنه ؟

أن زبده طيب لذيذ ، ولبنه حلو المذاق ،

وأي شيء مسته يد الراعي صار زاهياً)[١٩٣].

وهنا ثمة سؤال يتبادر إلى الذهن ، أيهما أكثر نفعاً للإنسان الفلاح أم الراعي ، وبعبارة أخرى إذا ما افتقدنا إلى الراعي وما تنتجه يداه هل لنا أن نفتقد الفلاح وما ينتجه دونما ضرر ؟ وإذا كان الجواب هو الفلاح ؛ فلِمَ كان اختيار الفكر العراقي القديم للراعي متمثلاً بتفضيل الإله اوتو له ومشورته لأخته باختياره زوجاً لها وهو ما فعلت بالتحديد ؟ ؛ كان ذلك لأن كلا الإلهين انكيمدو (الفلاح) وتموز (الراعي) مكلفين من قبل إلهين آخرين أعلا منهما منزلة هما الإله اشنان إله الفلاح انكيمدو الذي كلفه بشؤون الزراعة ، والإله لخار إله الراعي تموز المكلف برعي الأغنام وجميعهم خاضعين بالمحصلة لسلطة الإله انكي إله الخصوبة [١٩٤]، ويجرد الأستاذ (نائل حنون) الإله دموزي عن كونه بالأصل ذا شأن ملكي ، لذا اختارته الإلهة إنانا زوجاً لها استناداً إلى النص التالي الذي يرد على لسان الإلهة إنانا :

(أجلت نظري بين كل الناس

فأسميت دموزي لإلوهية البلاد

دموزي محبوب انليل

أمي تعزه

١٩٣- كريمر ، من ألواح سومر ، ص ص٢٣١ – ٢٣٢ ؛ المؤلف نفسه ، الأساطير السومرية ، ص١٥٢.

١٩٤ - نائل حنون ، عقائد الحياة والخصب في الحضارة العراقية القديمة ، ص ص ١٣٨ – ١٣٩.

وأبي يعليه)[١٩٥].

وكانت خاتمة المنافسة بين الإله دموزي والإله انكيمدو قد انتهى بفوز الأول بقلب الإلهة إنانا ؛ وفي هذا الموضوع ما يشير إلى أن الإلهة إنانا على الرغم من تمكن الإله دموزي في الفوز بقلبها بمساعدة المشورة المقدمة من الإله اوتو ، إلا أنها بقيت مترددة بشأن نسبه ، وأنها أخبرته بحيرتها من ذلك ، وأن موافقتها الزواج منه جاء تلبية لرغبة أفراد أسرتها أمها وأبيها وأختها وأخيها[١٩٦] ؛ وبذلك نرى مقدار تأثير مشورة أسرة الإلهة إنانا على طبيعة اختيارها لمن يصلح للزواج بها وبالمقابل بادر الإله دوموزي من فوره إلى تهدئة روع حبيبته الإلهة إنانا لئلا تتراجع عن رأيها موجهاً لها كلاماً ينطوي على مشورة :

(أيتها السيدة الشابة لا تبدئي خصاماً ،

اي إنانا ، ليصل كلامنا إلى نهايته ،

اي إنانا ، لا تبدئي خصاماً ،

يا مليكة القصر ، لنتشاور فيما بيننا ،

أبي طيب مثل أبيك ،

اي إنانا ، ليصل كلامنا في هذا إلى نهايته ،

أمي طيبة مثل أمك

يا مليكة القصر ، لنتشاور فيما بيننا

---

[١٩٥] - نائل حنون ، عقائد الحياة والخصب في الحضارة العراقية القديمة ، ص١٤٢.

[١٩٦] - صموئيل نوح كريمر، طقوس الجنس المقدس عند السومريين (إينانا ودوموزي)، تر : نهاد خياطة ، دار علاء الدين ، ط٢ ، (دمشق : ٢٠٠٧) ، ص١٠١.

جشتي نانا طيبة مثل ...،

اي إنانا ، ليصل كلامنا في هذا إلى نهايته ،

أنا طيب مثل اوتو ،

يا مليكة القصر ، لنتشاور فيما بيننا ،

انكي طيب مثل سن ،

اي إنانا ، ليصل كلامنا في هذا إلى نهايته

سرتور(١٩٧) **طيبة مثل ننكال**(١٩٨) **،**

يا مليكة القصر ، لنتشاور فيما بيننا)(١٩٩).

ومن أوجه المشورة في الصراع العنيف بين الآلهة ما جسدته أسطورة أو قصة الخليقة البابلية(٢٠٠) المعنية أصلاً بخلق الكون(٢٠١)؛ والقصة تتحدث عن وجود ثلاث

١٩٧ - الإلهة سرتور أو سرتر أم الإله دموزي ؛ نائل حنون ، شخصية الإلهة الأم ودور الآلهة "إنانا . عشتار" في النصوص السومرية والاكدية ، سومر ، المجلد ٣٤ ، (١٩٧٨) ، ص٣٣.

١٩٨ - الإلهة ننكال أم الإلهة إنانا زوجة الإله ننار ؛ كريمر، طقوس الجنس المقدس عند السومريين ، ص٢٠٢؛ ومعبدها في اور يعود تاريخ تشييده لأول مرة إلى عام ١٧٤٢ ق . م ؛ شاه محمد علي الصيواني ، اور ، ص٣٣.

١٩٩ - كريمر، طقوس الجنس المقدس عند السومريين ، ص١٠٢.

٢٠٠ -قصة الخليقة البابلية وتعرف بـ"إينوما ايليش" عندما في العلا يعود تاريخ تدوينها إلى ما بين ١٥٠٠ – ١٤٠٠ ق . م) ؛ فاضل عبد الواحد علي ، سومر أسطورة وملحمة ، ص١١٨؛ وهناك رأي يشير إلى أن نسخها المكتشفة تعود إلى العصر الآشوري الحديث والبابلي الحديث والمتأخر ؛ نائل حنون ، حقيقة السومريين ، ص٦١؛ ويرى الاستاذ جاكوبسن أن فيها مادة فكرية تعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد ؛ ينظر : ما قبل = الفلسفة الإنسان في مغامراته الفكرية الاولى ، تر : جبرا ابراهيم جبرا ، دار مكتبة الحياة ، (بغداد : ١٩٦٠) ، ص٢٠٠.

٢٠١ - هناك ثمانية نصوص مسمارية تناولت مسألة خلق الكون ؛ عن هذه النصوص ينظر : نائل حنون ، عقائد الحياة والخصب في الحضارة العراقية القديمة ، ص٢٠.

آلهة[٢٠٢](العتيقة) هم آبسو-apsû [٢٠٣]وتيامت Tiamt [٢٠٤]،وممو Mummu [٢٠٥]، قاد تكاثرها إلى وجود آلهة جديدة هي بمثابة الأبناء لآبائهم مما أزعج الأخيرة وأقلق راحتها وقادها إلى شن حرب عليها[٢٠٦]، فكانت الأسطورة بفضل ذلك ساحة لتبادل المشورة في الجانبين السياسي والحربي على حد سواء.

كانت أبرز مشورة تصدرت قصة الخليقة البابلية تلك التي صدرت عن الإلهة تيامت عند حضور كل من ابسو وممو للتباحث بشأن الآلهة الجدد :

(لماذا تريد أن نهدم بأنفسنا

ما نحن صنعناه ؟

نعم ، تصرفاتهم بغيضة جدا ؟ فلنتحل بالصبر والتسامح !)[٢٠٧].

فهذا النص جاءت فيه مشورة عن إلهة عرفت بأنها رمز للشر ؛ وهنا نشير بادئ ذي بدء إلى أن المفكر العراقي القديم حبذ توصيف آلهته بالصفات الايجابية[٢٠٨] ؛

---

٢٠٢ - يرى الاستاذ ساكز أن الآلهة الأولى العتيقة اثنان هما ابسو وتيامة وأن عد ممو الابن كعنصر ثالث إلى جانب ابسو وتيامت لا يمكن إسناده بدليل ؛ ينظر : عظمة بابل ، ص٤٦٤.

٢٠٣ - الإله آبسو ويعرف بـ"ابزو" لدى السومريين هو محيط العالم الأسفل ؛ هوك ، ديانة بابل وآشور (موسوعة تاريخ الأديان) ، ج٢ ، ص٢٣٦؛ وعُدّ بمثابة الماء العذب الكائن تحت الأرض ؛ باتيرو ، بلاد الرافدين ، ص٣٥٩.

٢٠٤ - الإلهة تيامت هي المياه الأولى المالحة ؛ هايدل ، سفر التكوين البابلي ، ص١٧ ؛ وتيامت مشتقة من لفظة (tu'untu) والتي تعني البحر ؛ فاضل عبد الواحد علي ، محاربة قوى الشر دراسة مقارنة بين النصوص المسمارية والتوراة ، مجلة كلية الآداب ، العدد ٢ ، (بغداد : ١٩٨٢) ، ص١٣٢.

٢٠٥ - الإله ممو مستشار ابسو هو الضباب الناشئ عن اختلاط كلا المائين الحلو والمالح ؛ خزعل الماجدي ، إنجيل بابل ، الأهلية للنشر والتوزيع ، (عمان : ١٩٩٨) ، ص١٦ ؛ وهناك رأي بأنه الأمواج الناشئة عن ارتطام المياه بعضها ببعض ؛ فراس السواح ، مغامرة العقل الأولى ، ب . مط ، (ب . ط ، د . ت) ، ص٥٢.

٢٠٦ - فراس السواح ، مغامرة العقل الأولى ، ص ص٥٢ ــ ٥٣.

٢٠٧ - قاسم الشواف ، ديوان الأساطير (الآلهة والبشر) ، ج٢ ، ص١٢٠؛ وينظر : هايدل ، سفر التكوين البابلي ، ص٣٧ ؛ طه باقر ، مقدمة في أدب العراق القديم ، ص ص٩٥ - ٩٦.

كونها إحدى المظاهر الطبيعة الحيوية كالشمس والقمر والأنهار والرياح[٢٠٩] إلا إننا لا نلمس ذلك مع الإلهة تيامت التي عدها الفكر العراقي القديم على الرغم من كونها المنجبة لكثير من الآلهة العظام في الكون بإلهة شريرة[٢١٠]! ، وهذا راجع إلى احد أمرين : الأول ، إنه ناشئ عن كون هذه الإلهة أنثى والعصر البابلي الذي دونت فيه قد سادت فيه الأقوام الجزرية التي تقدس الذكورة تجاه الأنوثة[٢١١]، أما الأمر الثاني، فيتعلق بالطبيعة النفعية التي سادت نظرة العراقي القديم لآلهته تلك النفعية المتمثلة بعبادة كل ما يدر بنفع فهو مقدس والضد هو الصحيح ، وبما إن الإلهة تيامت جسدت المياه المالحة فهي بذلك كانت ذات أضرار كبيرة على الزراعة التي تجسدت بارتفاع ملوحة التربة[٢١٢]، ونصيحة الإلهة تيامت تظهر لنا الأصل الطيب لتيامت ولعل العراقي القديم أراد بذلك أن يقول إن الإنسان بطبيعته وفطرته طيب لكن الظروف التي يمر بها أو يحياها في بيئته تجعله على غير ذلك.

ونرى أن التجاهل التام قد لحق بالإلهة تيامت من قبل الإله ابسو في موضع استشهادنا آنف الذكر بل وعلى الضد من ذلك نرى أن مشورة من هو أدنى منها منزلة متمثلةً بمشورة الإله ممو دفعت بالإله أبسو أن يكيد المكيدة تلو الأخرى للآلهة

---

٢٠٨ - ولاء مهدي محمد حسين ، الجوانب الفلسفية في فكر وادي الرافدين وأثره في العهد القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة بغداد : ١٩٩٩) ، ص١٧.

٢٠٩ - مريم عمران موسى ، الفكر الديني عند السومريين في ضوء المصادر المسمارية ، ، ص٤٣.

٢١٠ - سامي سعيد الأحمد ، الأصول الأولى لأفكار الشر والشيطان ، مطبعة الجامعة ، (بغداد : ١٩٧٠) ، ص٢٠.

٢١١ - خزعل الماجدي ، إنجيل بابل ، الأهلية للنشر والتوزيع ، (عمان ١٩٩٨) ، ص١٩.

٢١٢- في زمن الملك اينتيمينا (٢٤٣٠ – ٢٤٠٠ ق . م) بدأ محصول الحنطة بالتناقص نتيجة ارتفاع ملوحة الارض في جنوب العراق وفي عام (١٧٠٠ ق – م) تخلى سكان جنوب العراق عن زراعة محصول الحنطة بشكل نهائي نتيجة ارتفاع ملوحة التربة ؛ فوزي رشيد ، ابي سن آخر ملوك سلالة اور الثالثة ، الموسوعة الذهبية ، (بغداد : ١٩٩٠) ، ص٣٢ ص٣٤.

الجديدة[٢١٣]:

(آنئذٍ بادر مومو بالكلام

ناصحاً أبسو

ومع أنه لم يكن سوى حاجب

فإنه ناقض رأي مولدته :

"أخمد إذن يا أبي

هذا النشاط الكثير الشغَب

لكي ترتاح نهارا

وفي الليل لكي تنام !"

ابتهج ابسو لسماع ذلك

وانفرجت معالم – وجهه ،

متمثلاً الشر الذي أعده

ضد أبنائه الآلهة)[٢١٤].

وقادت الأحداث المتعاقبة لهذه الأسطورة إلى مواجهة حربية بين الآلهة الجديدة بقيادة (أنكي/ايا) والآلهة العتيقة بقيادة ابسو نتيجة سماع الأخير لنصيحة وزيره ممو بقتال الآلهة الجديدة ، وقد نتج عن هذه المواجهة موت ابسو وسجن ممو

---

٢١٣ - فاضل عبد الواحد علي ، محاربة قوى الشر دراسة مقارنة بين النصوص المسمارية والتوراة ، ص١٣٢.

٢١٤ - قاسم الشواف ، ديوان الأساطير (الآلهة والبشر) ، ج٢ ، ص١٢١.

وزيره ، وليستولي بذلك ايا على مقره[٢١٥]، وبالمقابل كان لتيامت زوجة ابسو والآلهة الذين بمعيتها موقف جديد يتمثل بإعلان الحرب الكبرى ضد قاتل زوجها وآسر وزيره ، وهذا الأمر كان منشأه حنقها على مقتل زوجها أولاً، ونتيجة مشورة تقدم بها الآلهة أتباع أبسو لزوجته تيامت ثانياً:

(أذهبي إلى المعركة وقابليهم!

(...) وأنثريهم في العاصفة !

(حين سمعت) "تئامت" هذا ، طاب لها الكلام

وقالت : فلنصنع العاصفة

(...) والآلهة في خضم الـ(...)

(...دعونا) نشن الحرب ، ضد الآلهة ، دعونا (...)!)[٢١٦].

هال قرار الإلهة تيامت بإعلان الحرب وتسميتها كنكو– Kingu[٢١٧] قائداً لجيشها ، فسارع الإله (انكي/ايا) إلى استشارة والده الإله انشار بخصوص ما هم فاعلون تجاه إرادة الآلهة الآباء فكان جوابه :

(أنى لنا أن نجد نداً أفضل منك ؟

[ألست أنتَ (؟)]

---

٢١٥ - عن مضمون المواجهة بين ابسو وايا مراجعة النص في : قاسم الشواف ، ديوان الأساطير ، ج٢ ، ص ص١٢٢ – ١٢٣ ؛ كذلك : فاضل عبد الواحد علي ، محاربة قوى الشر دراسة مقارنة بين النصوص المسمارية والتوراة ، ص١٣٢.

٢١٦ - هايدل ، سفر التكوين البابلي ، ص٤١.

٢١٧ - كنكو أحد الآلهة التي تعرف بالعتيقة ؛ فوزي رشيد ، الفكر عبر التاريخ ، سينا للنشر ، (القاهرة : ١٩٩٥) ، ص١٥٣.

الذي تتفوه بالحكمة ،

[مستشار الآ]لهة

نوديمود[٢١٨]؟)[٢١٩].

ان عزوف بعض الآلهة عن الأخذ بالمشورة التي تدعوهم إلى منازلة آلهة أخرى كما حصل في قصة الخليقة البابلية ، ربما أُريد به أحد أمرين أو كلاهما معاً :

١-إسباغ كاتب النص نوع من الترقب والانتظار لنتائج الأحداث، وعدم كشفها بالمباشر بما يخل بالمتعة القصصية.

٢-محاولة لتغليب إله تجاه إله أو آلهة أخرى في تصوير جسامة وهول المشكلة التي ينفرد بقبول التصدي لها هذا الإله من دون غيره من الآلهة.

كانت النتيجة التي أسفر عنها القتال الذي دار بين مردوخ وتيامت هي صدى لمشورة الإله (انكي/ايا) لمردوخ بقبول منازلتها وقد وافق الأخير على ذلك شريطة منحه صلاحيات واسعة تضاهي صلاحيات ما يمتلكه مجلس الآلهة بأكمله من صلاحيات[٢٢٠] ، وقد أسفرت عن هذه المنازلة نتائج مهمة هي :

١-قتل تيامت وقائد جيوشها كنكو.

٢-انتزاع ألواح القدر التي بحوزة كنكو.

---

[٢١٨] - نوديمود من ألقاب الإله انكي (ايا) والد الإله مردوخ ؛ قاسم الشواف ، ديوان الأساطير (الآلهة والبشر) ، ج٢ ، هامش رقم (٢) ، ص١٦٧.

[٢١٩] - قاسم الشواف ، ديوان الأساطير (الآلهة والبشر) ، ج٢، ص ص١٣٦ – ١٣٧.

[٢٢٠] - صموئيل . هـ . هوك ، الأساطير في بلاد ما بين النهرين ، ت : يوسف داود عبد القادر ، دار الجمهورية، (بغداد : ١٩٦٨) ، ص٣٤.

٣-شطر جسم تيامت ليخلق السماء والأرض.

٤-خلق الإنسان من دم كنكو

٥-إعلان أسماء مردوخ الخمسين[٢٢١].

٦-تشييد معبده ايسا- كيلا في بابل[٢٢٢].

ومن المؤكد أن القصة بالدرجة الأساس وضعت لتمجيد الإله مردوخ ومدينته بابل[٢٢٣] ، وهي تظهر أيضاً إنوما إيلش – enûma êlish تعاقب الفصول وعلاقتها بفيضان دجلة والفرات، فالشتاء كان يرمز للعماء المائي ، والربيع لخلق السماء والأرض ، وظهور مردوخ في هذا الفصل يشير إلى عودة الحياة والنظام[٢٢٤]، ومع هذا نلحظ إن الأسطورة تعالج موضوع هام هو الانتقال من سقي المزروعات بالاعتماد على الأمطار إلى السقي بالاعتماد على مياه الأنهار، لتذبذب سقوط الأمطار في جنوب العراق ، وأن الهجوم المعاكس الذي تم شنه من قبل الآلهة الآباء فكان يرمز إلى الآفات الزراعية التي مصدرها والوسط الناقل لها مياه الأنهار بما فيها ارتفاع ملوحة التربة.

---

٢٢١ - هوك ، الأساطير في بلاد ما بين النهرين ، تر : يوسف داود عبد القادر ، دار الجمهورية ، (بغداد : ١٩٦٨) ، ص ص٣٥ – ٣٦.

٢٢٢ - ديكانوف ي . م ، وآخرون ، تاريخ الشرق القديم (نشوء المجتمعات الطبقية القديمة والمواطن الأولى للحضارات العبودية) ، تر : محمد العلامي ، دار الفكر ، (عمان : ٢٠١٢) ، ص٥٢١.

٢٢٣ - صموئيل نوح كريمر ، أساطير العالم القديم (أساطير سومر وأكاد) ، تر : احمد عبد الحميد يوسف ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (القاهرة : ١٩٧٤) ، ص٩٨.

٢٢٤ - هايدل ، سفر التكوين البابلي ، ص١٣٩.

ثانياً : النصيحة

على الرغم من أن الكذب مما تكرهه الآلهة[٢٢٥]؛ وجدنا نصيحة صادرة عن إله تدل على إباحة خصلة الكذب الممقوتة متمثلة بمشورة الإله (دموزي/تموز– Dumuzi/Tammuz) لحبيبته الإلهة (إنانا/عشتار) عند لقائهما معا وتسببه في تأخرها ليلاً كما جاء في مقطع من قصيدة[٢٢٦]:

(سوف أُلقنك (ما سوف تقولين) سوف أُلقنك ،

سوف أُلقنك كيف تكذب النساء !

(قولي لها) "صديقتي كانت تمرح معي في الساحة

رقصت حولي على وقع الطبلة

وغنت لي الأناشيد الأكثر عذوبة !

وهكذا أمضيت الوقت أتذوق حلاوة اللذة!")[٢٢٧].

وبذلك أعطى العراقي القديم لنفسه مسوغاً لوصف إلهه بالكذب كما هو في حالة الإله (دموزي/تموز) مقابل إيجاد المبرر لسهر الإلهة (إنانا/عشتار) أي كوكب الزهرة إلى ساعات الصباح الأولى وهذا نابع من حقيقة توصيف الآلهة بصفات بشرية ؛ فالآلهة التي ابتكرتها العقلية العراقية القديمة على الرغم من تفوقها الذاتي تجسد

---

٢٢٥ - بديعة أمين ، في المعنى والرؤيا ، دار الحرية ، (بغداد : ١٩٧٩) ، ص١٧٩.

٢٢٦ - يعود تاريخها إلى العصر السومري ؛ فاضل عبد الواحد علي ، سومر أسطورة وملحمة ، ص١١١.

٢٢٧ - قاسم الشواف ، ديوان الأساطير ، ج١ ، ص١١٧ ؛ كذلك : طه باقر ، مقدمة في أدب العراق القديم ، ص٢٤٣.

الجوانب الطبيعية البشرية فمنها الخيرة ومنها الشريرة[٢٢٨] ، وبطبيعة الحال لم تكن معصومة من الخطأ[٢٢٩].

من جهة أخرى أظهرت قصة زواج الإله مارتو–Martu[٢٣٠]الجزري الآموري–Amurru[٢٣١] من ابنة نمشدا– Numuŝda الإله الحامي لمدينة كازالو[٢٣٢] عند حضوره وزوجته لمهرجانات أقيمت في مدينة نيناب[٢٣٣] صورة من صور التنافس[٢٣٤] بين الآلهة الذي بلغ حد سلوك النفاق لتحقيق الغايات إذ قدم احد أقارب ابنة الإله نمشدا نصحاً لها أملاً في زواجه هو منها :

(لقد تناول لحماً لم يطبخ

وطوال عمره لم يملك داراً

---

٢٢٨ - جورج رو ، العراق القديم ، ص١٣٠.

٢٢٩ - وداد جاسم الجوراني ، الرحلة إلى الفردوس والجحيم في أساطير العراق القديم ، ص٨٦.

٢٣٠ - يعود تاريخ هذه القصة الأسطورية إلى الثلث الأول من الألف الثاني قبل الميلاد ؛ قاسم الشواف ، ديوان الأساطير الحضارة والسلطة ، ج٣ ، ص٢٤؛ وتسمية "مارتو" هو ما أطلقه السومريون على هذا الإله من تسمية في حين عرف لدى الاكديين بـ"آمورو" وكلا التسميتين تعنيان الإشارة إلى إله الأقوام الامورية الغربيين؛ ينظر : جان باتيرو ، الديانة عند البابليين ، ص٥٨. ومارتو تسمية اشتقت من أصل جغرافي كونها قبائل تسكن غرب بلاد الرافدين ؛ جيهان عزت محمد ، أخبار مملكة امورو في النصوص الاكدية ، المديرية العامة للآثار والمتاحف ، (دمشق : ٢٠١١) ، ص٢١.

٢٣١ - تقع مواطن الآموريين إلى الغرب والشمال الغربي من بلاد بابل وهم من القبائل شبه البدوية وأطلق عليهم أهل بابل (ديدانم) أو (ديدنم) وتلفظ أيضاً تيدنم وهو لفظ جزري يعني البدو وعند السومريين عُرفوا بالعلامتين (مارتو) ولعله يلفظ (مارو) بمقابل اللفظ الجزري (أمارو) ؛ ساكز ، البابليون ، ص١٣٦.

٢٣٢ - تقع بين نهر الارختو أي نهر الحلة الحالي ونهر الابكللوتوم أي نهر الهندية وربما تكون هذه المدينة هي سدة الهندية الحالية ؛ سامي سعيد الأحمد ، العراق القديم ، جامعة بغداد ، (بغداد : ١٩٨٣) ، ج٢ ، ص٢٤ ؛ وكازالو كانت مركزاً لعبادة الإله الثانوي نمشدا ؛ خزعل الماجدي ، أنجيل سومر ، ص٢٦٤.

٢٣٣ - تقع جنوب بابل ؛ ينظر : قاسم الشواف ، ديوان الأساطير (الحضارة والسلطة) ، ج٣ ، هامش رقم (٣) ، ص٢٣.

٢٣٤ - التنافس في الأمر الرغبة في الحصول عليه دون أن يكون تنظيم هذا التنافس أمر ملزم وهو من الناحية الاجتماعية الميل لاحتلال أحدهم مكان الآخر ؛ ينظر : جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج١ ، ص٣٤٨.

وحينما يموت ، سترمى جثته ولا تدفن

إيه يا ..... لماذا تريدين الزواج من (مارتو) ؟)[٢٣٥].

لكنها ترفض نصحه هذا ويتم الزواج ، مما يشير إلى أن اندماج البدو بالسكان الأصليين لدى استقرارهم تم بصورة سلمية[٢٣٦] ، ونرى أن رغبة الاموريين كانت في ترك حياة البداوة المتصفة بالتنقل الدائم والتوجه نحو الاستقرار ، وهذا ما نلمسه في النصح المقدم من قبل والدة الإله مارتو التي نصحت ولدها بإتباع ما أقدم عليه أقرانه من اتخاذ الاستقرار نمطاً للحياة ، وما تبعها من حفر آبار المياه دلالة أكيدة على التوطن واتخاذ الزراعة سبيلا للإنتاج[٢٣٧]، وأن حقيقة وجود هذه الهجرات تؤكده حقيقة وجود آلهة ذات مسميات جزرية في بلاد سومر[٢٣٨] في الألف الثالث قبل الميلاد وهذا راجع إلى وجود هجرات سكانية بقيت متواصلة نحو جنوب العراق ويدل على وجود هؤلاء الجزريين كثرة الكلمات المستعارة في اللغة السومرية عن لهجات سامية[٢٣٩].

ومن أوجه النصح الاخرى تسببت نصيحة إله لآخر بحصول صراع بين إله ومخلوق من العفاريت وهذا ما تضمنته أسطورة "انزو وسرقة ألواح

٢٣٥ - كريمر ، الأساطير السومرية ، ص ١٥١.

٢٣٦ - ساكز ، البابليون ، ص١٣٩.

٢٣٧ - عن نص نصيحة والدة الإله مارتو لولدها ينظر : قاسم الشواف ، ديوان الأساطير (الحضارة والسلطة) ، ج٣ ، ص ص٢٧ – ٢٨.

٢٣٨ - سومر هو الأسم الذي يطلق على المنطقة الممتدة من مدينة الديوانية إلى سوق الشيوخ في مدينة الناصرية جنوب العراق في حين المنطقة الممتدة من جنوب بغداد وحتى مدينة الديوانية قد دعيت بأكد ؛ فوزي رشيد ، أبي سن ، ص١٥ ؛ وهي بذلك أقصى بلاد الرافدين ؛ كلين دانيال ، موسوعة علم الآثار ، تر : ليون يوسف ، دار المأمون ، (بغداد : ١٩٩٠) ، ج٢ ، ص٣٤٣.

٢٣٩ - كريمر ، السومريون ، ص٥٦.

القدر "[٢٤٠] فاللوح الأول[٢٤١] من الأسطورة يطالعنا بنصح مقدم من الإله (انكي/ايا) للإله انليل يحثه فيه على اصطفاء الطائر انزو خادماً أو مساعداً له :

(وبعد أن تفحص أنزو [...] :

(قال) يجب أن يكون في خدمتك بشكل دائم

وفي حَرَمك لكي

يغلق باب قدس – الأقداس[٢٤٢] !)[٢٤٣].

وكانت نصيحة الإله (انكي/ايا) قد حظيت بموافقة الإله انليل كما مبين في النص : **(قَبل الإله عندئذٍ ، ما أقترحه عليه ايا)**[٢٤٤] ؛ ونصيحة الإله (انكي/ايا) تدعونا للتساؤل فيما إذا كان هذا الإله قد تعمد في مشورته الإسهام في ضياع ألواح القدر من بين يدي الإله انليل ؟ وهذا يقودنا إلى سؤال آخر مفاده :هل التعمد سيعد خطيئة قصدية [٢٤٥] يحاسب أو يعاقب عليها ؟ والجواب على ذلك يظهره لنا الجو العام للأسطورة الذي يشير بالمحصلة إلى عودة ألواح القدر للإله انليل ولو كان من

[٢٤٠] - للأسطورة نسختان أحداها سومرية تعود إلى ما قبل منتصف الألف الثاني قبل الميلاد والأخرى بابلية تعود إلى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد ؛ قاسم الشواف ، ديوان الأساطير ، ج٢ ، ص٣١٢؛ وهذه الأسطورة هي ثاني نتاج أدبي بعد قصة الخليقة البابلية التي يكون محورها الحصول على ألواح القدر ؛ دالي ، أساطير من بلاد ما بين النهرين ، ص٢٧٧.

[٢٤١] - تتألف الأسطورة من ثلاثة ألواح ؛ ينظر : لابات ، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين ، ص٨٣ وما بعدها.

[٢٤٢] - في المعابد قدس الأقداس تشير إلى معنى حجرة الهيكل حيث تمثال الإله وهي أقدس مكان في المعبد ؛ طه باقر ، معابد العراق القديم ، سومر ، المجلد ٣ ، (بغداد : ١٩٤٧) ، ص٢٧.

[٢٤٣] - قاسم الشواف ، ديوان الأساطير ، ج٢ ، ص٣١٨.

[٢٤٤] - المصدر نفسه ، ص٣١٩.

[٢٤٥] - الخطايا القصدية هي "خطايا ضد القريب والدولة" وغير القصدية "التي تمس المفهوم السحري للنجاسة والذي هو مفهوم ديني في الوقت ذاته" ينظر : جورج بوييه شمار ، المسؤولية الجزائية في الآداب الآشورية والبابلية ، تر : سليم الصويص ، دار الرشيد للنشر ، (بغداد : ١٩٨١) ، ص٢٩١.

حصل عليها الإله (انكي/ايا) لقلنا أنه تخطيط مسبق من قبله ليحصل هو عليها ؛ ونرى أن الإله (انكي/ايا) كان غير محظوظ أو صائب في بعض نصائحه وإرشاداته وهذه ليست المرة الوحيدة ، ففي مشورة أسداها هذا الإله لم يحسم أمر ما إذا كان متعمداً أم لا نتائجها السلبية ، إذ وجه فيها لبطل قصة ادبا–Adapa [٢٤٦] النصح بعدم تناول الخبز والماء الذي يقدمه له الإله آنو ، وكان التزام هذا الرجل بهذه المشورة قد أضاع عليه فرصة الخلود الأبدي ؛ أما فيما يتعلق بالسؤال الثاني القائل هل كان الإله (انكي/ايا) سيتعرض للعقاب أم لا في حال ثبوت خطيئة إلحاق الأذى بالآلهة أن كان تعمد إيصال انزو إلى موقع يسهل عليه سرقة ألواح القدر ؟ فنرى أنه كان أمراً ممكناً في ظل الصفات البشرية التي اتصفت بها الآلهة في الفكر الرافديني القديم والنتائج التي تترتب عليها من ثواب وعقاب[٢٤٧].

في جانب آخر من الأسطورة نرى عدم الأخذ بالنصح قد تجلى بصورة امتناع آلهة عن الأخذ بمشورة آلهة أخرى ، على سبيل المثال المشورة التي قدمها الإله آنو إلى الإله أدد حينما قرر مجلس الآلهة انتخاب من يصرع الطائر انزو ويعيد ألواح القدر :

(توجه إليه رئيس المجلس (قائلاً) :

أدد ، يا ذا القوة الفائقة ! أي أدد الرهيب !

لا ترفض هذه المعركة !

---

٢٤٦ - أقدم ألواح هذه القصة يعود إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد وقد عثر عليه في تل العمارنة في مصر ؛ فاضل عبد الواحد علي ، سومر أسطورة وملحمة ، ص٢٤٠.

٢٤٧ - عن عقاب الآلهة للآلهة ينظر : علي فاضل نهير ، العقاب والثواب عند الآلهة في العراق القديم من الالف الثالث حتى نهاية الالف الثاني قبل الميلاد ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة واسط : ٢٠١٢) ، ص٤١، وما بعدها.

أذهب وأصعق أنزو بسلاحك

لن يكون لك مثيل بين الآلهةً إخوتك

وسوف تخصص لك ، مبنيةً وفق ما يجب

الهياكل لتكريمك

وفي العالم أجمع سوف تقيم لنفسك المحاريب :

وسوف يكون لك محراب حتى في الأيكور!

وهكذا سوف تتمتع أمام الآلهة

بالمجد وبالقدرة الكلية!)[٢٤٨].

وهذه النصائح قد تكررت مع الإلهين جيرو وشارا[٢٤٩] ؛ فكان جواب الإلهين كما حصل مع سابقهم الإله أدد بالرفض المطلق.

وبالعودة إلى منازلة الطائر انزو ، فقد أنتاب اليأس جميع الآلهة من أيجاد البطل القادر على منازلته وهو من قاد الإله (انكي/ايا) إلى تقديم نصيحة حظيت بموافقتهم تقضي بإعلاء شأن الإلهة مامي – Mami مقابل حثها لولدها الإله نينورتا – Ninurta بمنازلة الطائر انزو :

(يجب استدعاء سيدة الآلهة[٢٥٠] وكبيرتهم ،

٢٤٨ - قاسم الشواف ، ديوان الأساطير ، ج٢ ، ص٣٢١.

٢٤٩ - عرف عن جيرو بأنه ابن الإلهة آنونيت وعن شارا بأنه ابن الإلهة عشتار ؛ ينظر : قاسم الشواف ، ديوان الأساطير ، ج٢ ، ص ص٣٢٢ – ٣٢٣.

٢٥٠ - سيدة الآلهة هي الإلهة ننماخ التي عرفت بألقاب عدة منها الملكة الموقرة ، والسيدة التي تقرر المصائر ، والسيدة التي تتخذ القرارات بشان السماء والأرض ؛ جاكوبسن وآخرون ، ما قبل الفلسفة ، ص ص١٧٠ – ١٧١.

الخبيرة ومستشارة إخوتها الآلهة ،

لإعلان سموها على الجميع في المجلس ،

وعلى جميع الآلهة المجتمعين هنا ، تحيتها بإجلال

وعند ذلك سوف أبلغها ما أضمرته!)[٢٥١].

إن نصيحة الإله (انكي/ايا) للآلهة بشأن الإلهة ننماخ تضعنا أمام مفهومين جديدين عن النصيحة ، الأول : يتمثل بظاهرة توسط إله لدى إله آخر وهو بدوره يظهر لا محالة واقع مجالس دويلات المدن وطبيعة المفاهيم التي تقوم عليها لكون مجلس الآلهة انعكاس لما موجود على الأرض ؛ أما المفهوم الثاني فيتمثل بإظهار تأثير العنصر الإلهي الأنثوي ، وهذا انعكاس آخر لما هو عليه الحال على الأرض وبصورة أدق في مجالس دويلات المدن[٢٥٢].

وتظهر النصيحة بعد الانتهاء من مرحلة اختيار الإله نينورتا ولحين تحقيقه النصر على الطائر انزو قدرات الإله (انكي/ايا) في الجانب الحربي والتي كان لها أبلغ التأثير في تحقيق النصر النهائي بدلالة ما تضمنه النص الآتي :

(لدى سماع البطل نينورتا هذه الرسالة

من طرف "أبيه" إيا ، الأمير (؟)

ملأت الشجاعة قلبه ، وكمحارب باسل

---

[٢٥١] - قاسم الشواف ، <u>ديوان الأساطير</u> ، ج٢ ، ص٣٢٦.

[٢٥٢] - يرجح الأستاذ جاكوبسن أن لا يكون للنساء تمثيل في مجلس الشعب ؛ جاكوبسن وآخرون ، ما قبل الفلسفة، ص١٥٨؛ ورأي معاضد له يشير إلى أن دور المرأة انقضى بصيرورة القرى مدناً ذات أبنية إدارية ؛ ساكز ، <u>البابليون</u> ، ص٧٩.

تقدم من جديد نحو الجبل

فلجم المقتحمات – السبع[٢٥٣] ،

لجم الرياح – السبع – الشريرة[٢٥٤]،

ولجم الدوامات – السبع – حاملات الغبار)[٢٥٥].

وكان إعلاء شأن الإله نينورتا وشيوع عبادته في مناطق مختلفة وبأسماء عدة[٢٥٦] ما كانت لتتحقق له لولا نصائح وإرشادات الإله (انكي/ايا).

[٢٥٣] - كان استعمال العدد (٧) يراد به التعبير عن كثرة الشيء ؛ خزعل الماجدي ، بخور الآلهة ، ص١٩١.

[٢٥٤] - كانت الرياح مما يقلق بال العراقي القديم كإحدى ما تضمره البيئة من شرور تجاهه ؛ سامي سعيد الأحمد ، الأصول الأولى لأفكار الشر والشيطان ، ص١٨.

[٢٥٥] - قاسم الشواف ، ديوان الأساطير ، ج٢ ، ص ص٣٣٥ – ٣٣٦.

[٢٥٦] - فراس السواح ، مدخل إلى نصوص الشرق القديم ، دار علاء الدين ، (دمشق : ٢٠٠٦) ، ص١٧٦.

الأمر بين الآلهة

كان الكون من صنع الآلهة وتدبيرهم[٢٥٧] ، وقد أقتضى وجود هذا الكون وجود حكومة تعمل بإرشاد من الإله (آن/آنو) الذي يدير اجتماعاتها[٢٥٨] إلا أن ذلك لم يمنع من حصول أفعال تنافي السلوك الإلهي القائم على التشاور وأن مخالفة ذلك من قبل الآلهة[٢٥٩] استوجب النقد بل الغضب الشديد ؛ وقواعد السلوك الإلهية صوّرتها بعض الأساطير والملاحم في صيغة الامر التي تقدم من قبل إله إلى إله آخر ، فنطالع في ملحمة كلكامش امر صادر عن الإلهة (إنانا/عشتار) إلى الآلهة الآخرين بشأن انفراد انليل في تسليط الفيضان دون استشارة الآلهة :

(ليأت الأرباب إلى الأضاحي

وانليل يجب أن لا يأتي إلى الأضاحي

لأنه جلب الطوفان دونما استشارة

وأحصى أمتي إلى الدمار) [٢٦٠].

وأن موقف الإلهة (إنانا/عشتار) من الإله انليل يظهر لنا مقولة أن الآلهة تشبه البشر في كل شيء عدا الخلود ، ومن بين أوجه الشبه بالبشر ارتكاب الآثام تجاه بعضهم[٢٦١]، فالإله انليل في تصرفه هذا وقد تجاهل سلطة مجلس الآلهة أرتكب إثماً أثار حفيظة الإلهة (إنانا/عشتار)[٢٦٢] ونرى أن امر الإلهة (إنانا/عشتار) تظهر رمزيتها حالة التناقض بين ظهور نجمها في السماء

٢٥٧- جان باتيرو ، بلاد الرافدين، ص٢٧٣.

٢٥٨- جاكوبسن ، ما قبل الفلسفة ، ص١٦٧.

٢٥٩ - فسر اجتماع الصفات الايجابية و السلبية في الآلهة بأنه يعكس حالة التطور المستمر في الأفكار التي لها علاقة بتغير نظرة الفرد لإلهه ؛ ولاء مهدي محمد حسين ، الجوانب الفلسفية في فكر وادي الرافدين وأثره في العهد القديم ، ص١٨.

٢٦٠- سامي سعيد الأحمد ، كلكامش ، ص١٩٤.

٢٦١- سامي سعيد الأحمد ، المعتقدات الدينية في العراق القديم ، ص٧؛ تقي الدباغ ، الفكر الديني القديم ، ص١٦؛ والآلهة لها صفات البشر في أحسن حالاته وأسواها إذ لم تقتصر على السلبي دون الايجابي أو العكس ؛ جورج رو ، العراق القديم ، تر : حسين علوان حسين ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد : ١٩٨٤) ، ص١٣٠.

٢٦٢- صُورَّ الإله انليل بأنه لم يعرف نتائج فعلته بتسليط الطوفان إلا بعد رؤيته لنتائجها عقبَّ استنشاقه لرائحة وليمة أقيمت شكراً لخلاص البشرية من الفناء التام ؛ مرغريت روثن ، علوم البابليين ، ص٥١.

الصافية وبين الرياح الشديدة التي يسلطها انليل وما يصاحبها من غبار يحجب مباهج السماء ، لذا صور موقفها منه بالصورة التي أشارت فيها على الآلهة بعدم دعوته للوليمة.

وفي ذات الحدث من الملحمة نرى أن امر الإله (انكي/ايا) للإله انليل تكشف جانباً من السلوكيات التي تحكم تصرف الآلهة ومن بينها طلب تحقيق الرحمة بالبشر بدلاً من المبالغة بالقصاص :

(فكيف لم تترو فأحدثت عباب الطوفان ؟

حمل المخطئ وزر خطيئته

وحمل المعتدي إثم اعتدائه

ولكن أرحم (في العقاب) لئلا يهلك ،

وتشدد لئلا يمعن في الشر

ولو انك بدلاً من إحداثك الطوفان

سلطت السباع على الناس فقللت عددهم

ولو انك بدلاً من إحداثك الطوفان

سلطت الذئاب فقللت من عدد الناس

وبدلاً من الطوفان لو انك أحللت القحط في البلاد

وبدلاً من الطوفان لو أن "ايرا"[٢٦٣] ، فتكَ بالناس)[٢٦٤].

وكان العدل للمجتمعات الإنسانية القديمة هبة الآلهة للبشر[٢٦٥] ، إلا أننا نلحظ امر الإله (انكي/ايا) للإله انليل يدعوه فيها إلى أن يكون عادلاً وأن لا يُحمل البريء وزر ذنوب

---

[٢٦٣] - من بين آلهة الاكديين ويعتقد أن أصله أجنبي وكان أسمه إلى نهاية العهد البابلي القديم يكتب دون علامة الألوهة التي تسبق كتابة اسماء الآلهة وعُرف أكثر بعد نهاية العصر البابلي كإله للحرب ونشر الأوبئة ؛ ادزارد وآخرون ، قاموس الآلهة والأساطير ، ص ص٦٤ – ٦٥.

[٢٦٤] - طه باقر ، ملحمة كلكامش ، ص١٦١؛ كذلك : سامي سعيد الأحمد ، كلكامش ، ص١٩٥.

الآخرين، وأن لا يكون القصاص أكثر مما يجب فيهلك الجاني ولا أقل مما هو مطلوب لئلا يكون سبباً للإمعان في فعل الشر ؛ ويبدو أن هذا الامر كان صدى لنشأة القوانين في بلاد الرافدين في الألف الثالث قبل الميلاد[٢٦٦]؛ أما فيما يتعلق بتسليط السباع وكذلك الذئاب كما ظهر من صيغة الامر الوارد في النص على لسان الإله (انكي/ايا) ، فتشير الحقائق التاريخية إلى أن منازلة الحيوانات المفترسة أمر ذي بال من قبل الملوك لخطورة هذه الحيوانات على سلامة الحيوانات الداجنة[٢٦٧]، ويأتي في مقدمة الحيوانات المفترسة الأسود التي تزايد خطرها على الإنسان في السهول السومرية[٢٦٨].

أن ما تقدم من امر صدر عن الإله (انكي/ايا) للإله انليل جعلت قلب الأخير يرقّ على أوتانبشتم – AutanpŠtum فمنحه وزوجته الخلود[٢٦٩]:

(من قبل كان اوتونابيشتيم من البشر

الآن اوتونابيشتيم وزوجته سيكونان مثلنا نحن الأرباب حقاً)[٢٧٠].

وفي أسطورة "نزول إنانا إلى العالم الأسفل"[٢٧١] نرى ثمة امر يصدر عن الآلهة يدعو في مضمونه إلى خلاف النواميس الإلهية ؛ ومن ذلك امر الإلهة (إنانا/عشتار) إلى وزيرها

---

٢٦٥ - جمال مولود ذيبان ، تطور فكرة العدل في القوانين العراقية القديمة ، دار الشؤون الثقافية ، (بغداد : ٢٠٠١) ، ص٣٢.

٢٦٦ - شهد الألف الثالث إصدار الملك اوروانمكينا (٢٢٧٨ – ٢٣٧٠ ق . م) لإصلاحات سياسية واجتماعية واقتصادية هي الأقدم بحسب المكتشفات الأثرية ؛ المصدر نفسه ، ص٤٦ ؛ في حين تعد شريعة الملك = اورنمو (٢١١١ – ٢٠٠٤ ق . م) هي الأقدم بين القوانين العراقية القديمة ؛ فوزي رشيد ، الشرائع العراقية القديمة ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد : ١٩٧٣) ، ص١٣.

٢٦٧ - الزة زايبرت ، رمز الراعي في بلاد الرافدين ونشوء فكرة السلطة والملكية ، تر : محمد وحيد خياطة ، مكتبة الفيحاء ، (دمشق : ١٩٨٨) ، ص٩.

٢٦٨ - زهير صاحب ، الفنون السومرية ، دار أيكال للطباعة والتصميم ، (بغداد : ٢٠٠٥) ، ص١٢٩.

٢٦٩ - وهناك رأي يشير إلى أن الخلود شمل ابنة أوتانبشتم وملاح السفينة اورشنابي ؛ فؤاد جميل ، الطوفان في المصادر السومرية – البابلية – الآشورية والعبرانية ، ص٩٤.

٢٧٠ - سامي سعيد الأحمد ، كلكامش ، ص١٩٦.

٢٧١ - هناك نسختان لهذه الأسطورة الأولى سومرية يعود تاريخ تدوينها إلى النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد أما الأخرى الآشورية فيعود تاريخ تدوينها إلى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد ومكمن الاختلاف بين كلا

ننشوبر – Ninŝubur[٢٧٢] إذ جاء حينما تولدت عندها رغبة بالنزول إلى العالم الأسفل امرها وزيرها ننشوبر قائلةً:

(يا فارسي ، صاحب الكلمات الصادقة أنني الآن هابطة إلى العالم السفلي

وحين أبلغ العالم السفلي اندبني عند الخرائب ،

وفي معبد "المجمع" اضرب الطبل من أجلي ،

وفي بيت الآلهة تجول من أجلي ،

أخفض عينيك من أجلي ، وزم فمك من أجلي ..

وألبس من أجلي ثوباً واحداً ، كما يفعل الصعلوك الفقير)[٢٧٣].

بعد ذلك تبدأ الإلهة (إنانا /عشتار) في ذات الأسطورة بتوجيه الامر لوزيرها بالذهاب أن هي تأخرت في العالم السفلي إلى ثلاث من بين الآلهة[٢٧٤] وهم : أنليل ، و(نانا/سين) ، وأخيراً (انكي /ايا) ، لذا نستشف من هذا كله أن هذه الإلهة خالفت النواميس الإلهية في موضعين هما : حزم أمرها بالنزول إلى العالم الأسفل ، والثاني اصدارها امراً لوزيرها بالذهاب إلى من يُمكنّه إنقاذها من بين الآلهة الثلاث ، وكأنها لا تعلم بأن هذا خلاف قوانين العالم الأسفل التي تحظر على أياً كان التدخل بشؤونه وإن كان من أوصت بهم إلهة.

النسختين في خاتمة الأسطورة الذي يشير إلى كيفية إطلاق الإلهة إنانا (عشتار) من العالم الأسفل؛ ينظر : فاضل عبد الواحد علي ، سومر أسطورة وملحمة ، ص١٠٣.

٢٧٢ - يرد اسم هذا الوزير تارة بصيغة التأنيث وتارة أخرى بصيغة المذكر وننشوبر المذكر يرد على انه وزيراً للإله آنو ؛ خزعل الماجدي ، إنجيل سومر ، ص١١٠؛ وفي النسخة الآشورية من الأسطورة يحمل اسم وزير الإلهة (إنانا/عشتار) تسمية بيسوكال ؛ فاضل عبد الواحد علي ، سومر أسطورة وملحمة ، ص١٠٥؛ والصيغة المؤنثة نينشابور جاءت في الأسطورة بصيغتها الآشورية **(نينشابور ، سندي الثابت ، شوجال أعطاني النصيحة الحكيمة)** ؛ دايان ولكشتاين و صموئيل نوح كريمر ، إينانا ملكة الأرض والفردوس أسطورة بلاد ما بين النهرين ، تر : شاكر الحاج مخلف ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد : ٢٠٠٨) ، ص١٢٥.

٢٧٣ - كريمر ، من ألواح سومر ، ص ص٢٦٨ – ٢٦٩.

٢٧٤ - ذكرت ثلاثة آراء عن سبب قيام الإلهة (إنانا /عشتار) بالنزول إلى العالم الأسفل منها محاولة لإنقاذ زوجها الإله (ديموزي/تموز) من العالم الأسفل وهو ما تم دحضه باختيارها لـ(ديموزي/تموز) بديلاً عنها في هذا العالم والرأي الآخر محاولتها لإطلاق الأرواح المحتجزة في العالم الأسفل والرأي الثالث بأنها ذهبت لحضور جنازة زوج أختها ايريشكيكال الإله كوكال – انا وهو ما لم تثبته الوقائع التي ذكرتها الأسطورة ؛ عن هذه الآراء ينظر: فاضل عبد الواحد علي ، عشتار ومأساة تموز ، ص ص١١١ – ١١٢.

أن اللافت للنظر في أسطورة نزول الإلهة (إنانا/عشتار) إلى العالم الأسفل أن هذه الإلهة قد سبق وأن تم في أسطورة (إنانا وانكي)[٢٧٥]، الحديث عن حصولها على ناموس الصعود من العالم الأسفل من قبل الإله انكي : **(أعطاني قوة الصعود من العالم الأسفل)**[٢٧٦]، وأمر طبيعي أن الصعود من العالم الأسفل يعقب النزول إليه ؛ ولعل (إنانا/عشتار) بذلك تكون قد فوجئت بعدم فعالية هذه النواميس أو لعل صعودها ببديل[٢٧٧] ، هو أقصى ما لهذه النواميس من فاعلية؛ ونرى أن العالم الأسفل الذي يشار إلى أن من يدخله لا يخرج منه إلا ببديل عنه كما في قصة نزول (إنانا/عشتار) وأخذ (ديموزي/تموز) بديلاً عنها يجسد صدى لظواهر طبيعية وليس لمحددات دينية كاختفاء نجمة فينوس وانقضاء فصل الربيع ؛ ومن جهة أخرى نرى أن حق النزول إلى العالم الأسفل لم يكن يعني الموت الذي تفنى به الحياة بل النزول الطوعي محاولة على ما يبدو من قبل المفكر العراقي القديم لكشف وتوضيح ماهية هذا العالم للبشر عبر إبراز الدور الذي تؤديه (إنانا/عشتار) وذلك عن طريق النواميس الإلهية وإلا إذا كان تفسير النزول بأنه موت لم تبقَ للنواميس قوة الصعود من العالم الأسفل أهمية ، وعليه أن الامر الصادر عن الإلهة (إنانا/عشتار) إلى وزيرها ننشوبر بما يفعل إن هي تأخرت بالعودة من هذا العالم لم يكن فيه ما يشير إلى تعمد الإساءة من قبل هذه الإلهة إلى هذا العالم بمحاولتها التدخل بالنواميس التي تحكمه وتؤكد على أن من يدخله لا يخرج منه إلا ببديل ، وإنما دخولها جاء لكونها حازت على استثناء يتمثل بناموس النزول والصعود من هذا العالم.

---

٢٧٥ - هذه الأسطورة ويعود تاريخها إلى عام (١٧٠٠ ق . م) تشير إلى قيام الإلهة (إنانا/عشتار) بزيارة اريدو للقاء أبيها الإله (انكي/ايا) بدافع الحصول على مقومات الحضارة أو ما تم تسميته بالنواميس الإلهية ؛ فاضل عبد الواحد علي ، سومر أسطورة وملحمة ، ص١٠٠ ؛ كذلك : قاسم الشواف ، ديوان الأساطير ، ج٣ ، ص١٩٤؛ ويفسر قيامها بالرحلة إلى أريدو بالإضافة إلى الحصول على مسببات الحضارة بأنه انعكاس للفكر العراقي القديم الذي يرى أن أصحاب الحرف والمهن مجبولون على توريث أبنائهم أو من يتم تبنيهم من قبلهم حرفهم ومهنهم لضمان قيامهم برعايتهم عند بلوغهم السن الذي لا يستطيعون معه العمل؛ فوزي رشيد ، الفكر عبر التاريخ ،ص ص١١١- ١١٢.

٢٧٦ - ولكشتاين وكريمر ، إينانا ملكة الأرض والفردوس أسطورة بلاد ما بين النهرين ، ص٨١ ؛ كذلك : كريمر، الديانة السومرية اللاهوت والطقس والأسطورة (موسوعة تاريخ الأديان) ، ص١٩١.

٢٧٧ - كان بديل إنانا الذي تقرر أن يحل محلها في العالم الأسفل لنصف عام هو زوجها وحبيبها الإله ديموزي إذ يطالعنا النص وهي تشير على العفاريت والشياطين الذين خرجوا برفقتها لأخذ البديل عنها **(أما هذا .. فخذوه ، وبذلك أسلمت إنانا الطاهرة دوموزي إلى أيديهم)** ، عن تفاصيل بديل (إنانا/عشتار) إلى العالم الأسفل ينظر : فراس السواح ، لغز عشتار ، ص ص٢٩٣ ــ ٢٩٤.

وفي أسطورة "انكي وننماخ"–Ninmah[٢٧٨] ، نرى إن الإلهة نامو[٢٧٩] هي من امرت[٢٨٠] ولدها الإله انكي[٢٨١] بصنع بديل[٢٨٢] عن الآلهة ليحمل عنهم عناء العمل عقب شكواهم لها من مشقة الأعمال التي يقومون بها :

(غادر فراشك يا بني ،

ومارس مواهبَك بذكاء

لتصنعَ من يحل محل (؟) الآلهة

لكي يتوقفوا عن العمل !)[٢٨٣].

وهنا نرى في القول بأن الإنسان حينما خُلق وجد كل شيء متوافر في الطبيعة بما فيها النباتات المزروعة[٢٨٤] ، يعطينا انطباع عن مدى رسوخ فكرة مفادها إن الإنسان حل محل الآلهة بموجب امر الإلهة نامو لولدها بخلق الإنسان[٢٨٥] لخدمة الآلهة[٢٨٦] ، إلا أن الحقيقة تكمن في محاولة رجال الدين السومريين تبرير تسخيرهم للمجتمع في أعمال زراعة الأرض كونها مشيئة إلهية[٢٨٧].

---

٢٧٨ - لهذه الأسطورة نسختان متشابهتان ؛ صموئيل نوح كريمر ، الأساطير السومرية ، ص١١٣؛ ويعود تاريخ تدوينها إلى عام (١٩٠٠ ق . م) ؛ قاسم الشواف ، ديوان الأساطير ، ج١ ، ص٦٣.

٢٧٩ - الإلهة نامو تجسيد للمياه العذبة وهي إلهة الولادة عند السومريين ؛ دالي ، أساطير من بلاد ما بين النهرين ، ص٣٨٣.

٢٨٠ - برأي جاكوبسن أن الإله انكي هو صاحب مشورة خلق الإنسان والصحيح إن الإله انكي قام بإعداد آلية لخلق الإنسان؛ عن رأي جاكوبسن ينظر : أديان ما بين النهرين (موسوعة تاريخ الأديان) ، ج٢ ، ص١٧١.

٢٨١ - أن عد الإله انكي خالقاً للبشر في جنوب العراق جاء لطبيعة العمل الزراعي في هذه المنطقة التي تعتمد في زراعتها على السقي بمياه الأنهار وليس المطر وبما أن الإله انكي هو إله الأرض والمياه كان هو الخالق؛ فوزي رشيد ، الفكر عبر التاريخ ، ص١٢١.

٢٨٢ - يذكر (هوك) ثلاثة أوجه لظاهرة البديل دون أن يذكر خلق الإنسان بديلاً هي إطلاق الحيوان في الصحراء عوضاً عن مريض ، وثانيهما ذبح الجدي رمز الإله تموز بدلاً عن المريض ، وثالثهما الملك البديل الذي يحل محل الملك الشرعي وذلك لوقاية الأخير من شر محدق به ؛ هوك ، ديانة بابل وآشور (موسوعة تاريخ الأديان)، ج٢ ، ص ص٢٦٢ – ٢٦٣.

٢٨٣ - ديوان الأساطير ، أناشيد الحب السومرية ، ج١ ، ص٦٥.

٢٨٤ - سهيل قاشا ، أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية ، بيسان ، (بيروت : ١٩٩٨) ، ١٣٥.

٢٨٥ - تنفرد هذه الأسطورة بأن الخلق تضمن خلق الإنسان السوي إلى جانب سبعة نماذج أخرى غير سوية ؛ عن طبيعة هذه المخلوقات ينظر : جاكوبسن وآخرون ، ما قبل الفلسفة ، ص ص١٩١ – ١٩٢.

٢٨٦ - كريمر ، من ألواح سومر ، ص١٩٧.

٢٨٧ - علي محمد مهدي ، الملاحم والأساطير في العراق القديم ، ص١١١.

وفي بعض الأحيان نجد أن عدم الالتزام بالأوامر يقود إلى نتائج تضر الإله المعني بما جاء فيها من نصح وإرشاد إلى جانب امتداد ضررها إلى الآلهة الآخرين ومن ثم يكون في ذلك انتقاصاً لنواميس الآلهة ، وهذا ما نلمسه في أسطورة انليل وننليل–Ninlil [٢٨٨] إذ إن امر الإلهة ننبارشيجونو–Ninshebargunu [٢٨٩] لأبنتها ننليل[٢٩٠] بعدم الاغتسال[٢٩١] في النهر أمام مرأى الإله انليل كما مبين في النص :

(في الجدول الصافي ، يا امرأة ، في الجدول الصافي لا تسبحي !

في الجدول الصافي ، يا ننليل ، في الجدول الصافي ، يا امرأة ، لا تسبحي

يا ننليل ، لا تصعدي ضفة قناة نونبيردو[٢٩٢]

فلسوف يراكِ السيد بعينيه الوهاجتين ، بعينيه الوهاجتين سيراكِ ،

بعينيه الوهاجتين سيراكِ الراعي ، صانع الأقدار ،

وعلى الفور يعانقكِ ، وعلى الفور يقبلكِ !)[٢٩٣].

وإهمال هذا النصح من قبل ننليل:

(حكيمة كانت كلمات التحذير ،

ومع ذلك ، في مجرى الماء الصافي ،استحمت ننليل ،

---

٢٨٨ - يعود تاريخ تدوين هذه الأسطورة إلى عام (١٧٠٠ ق . م) على وجه التقريب ؛ ينظر : قاسم الشواف ، ديوان الأساطير ، ج١ ،ص٣٩.

٢٨٩ - هي من بين إلهات الأمومة في العراق القديم ؛ ينظر : قاسم الشواف ، ديوان الأساطير ، ج١ ، هامش رقم (٣) ، ص٣٩ ؛ وعرفت كذلك بصفتها الإلهة العارية ؛ جاكوبسن ، أديان ما بين النهرين (إطلالة عامة) ، (موسوعة تاريخ الأديان) ، ص١٦٥.

٢٩٠ - تعرف هذه الإلهة بكونها سيدة الريح وبتسمية أنسود أي سنبلة القمح الطويلة أيضاً ؛ المصدر نفسه والصفحة.

٢٩١ - منطلقنا إلى فهم الأسطورة سيتم بحسب ما ذهب إليه جاكوبسن من أن الإلهة ننبار شيجونو نصحت أبنتها الإلهة ننليل بعدم الاستحمام بالنهر أمام أنظار الإله انليل وليس العكس.

٢٩٢ - في نص آخر يأتي ذكر لفظة نونبيردو بمعنى قناة أميرية **(لا تتنزهي ، أي ننليل ، على طول القناة الأميرية)** ؛ قاسم الشواف ، ديوان الأساطير ، ج١ ، ص٤٠.

٢٩٣ - جاكوبسن ، ما قبل الفلسفة ، ص ص١٧٩ – ١٨٠؛ كذلك : قاسم الشواف ، ديوان الأساطير ، ج١ ، ص٤٠.

في مجرى الماء الصافي ،

وتنزهت على طول القناة الأميرية !

والسيد ذو النظر البّراق ، ذو النظر البّراق

سلّط عليها عينيه !)[٢٩٤].

أدى إلى وقوع ما حذرت منه الأم أبنتها إذ يبادر الإله انليل إلى اغتصابها[٢٩٥]، فكان ذلك سبباً في غضب الآلهة التي وجدت في ذلك فعلاً منافياً للأخلاق تسبب بإنزال العقوبة به[٢٩٦] بإرساله إلى العالم الأسفل[٢٩٧] ؛ وبذلك نجد أن عدم الالتزام بأمر الإلهة ننبارشيجونو من قبل أبنتها الإلهة ننليل قد قاد إلى هتك حرمات الآلهة والذي دفع ثمنه الإله أنليل بنفيه إلى العالم الأسفل[٢٩٨].

وفي أسطورة "لوكال"[٢٩٩] فيها الإله نينورتا–Ninurta[٣٠٠] يخضع الوحش اساك–Asag[٣٠١] ؛ بمواصلته القتال دونما التفات إلى امر سلاحه شارور –Sharur[٣٠٢]:

---

٢٩٤ -: قاسم الشواف ، ديوان الأساطير ، ج١ ، ص٤٠.
٢٩٥ - جاكوبسن ، ما قبل الفلسفة ، ص١٨٠.
٢٩٦ - كريمر ، من ألواح سومر ، ص١٦٥.
٢٩٧ - كريمر ، أساطير العالم القديم (أساطير سومر وآكاد) ، ص٧٩؛ كذلك : نفس المؤلف ، الديانة السومرية اللاهوت والطقس والأسطورة (موسوعة تاريخ الأديان) ، ص٢١٨.
٢٩٨ -: يذهب الأستاذ طه باقر إلى أن هذه الأسطورة كانت تهدف إلى بيان أصل بعض الآلهة ومنهم الإله القمر سين وأخوته الثلاثة آلهة العالم الأسفل ؛ ينظر : طه باقر ، مقدمة في أدب العراق القديم ، ص١١٩.
٢٩٩ -هذه الأسطورة عرفت باسم بـ"لوكال" عند: جاكوبسن ، أديان ما بين النهرين (إطلالة عامة) ، ١٦٧؛ كذلك : رينيه لابات ، المعتقدات الدينية في بلاد الرافدين ، هامش رقم (٢)، ص٨٤. يعود تاريخ هذه الأسطورة إلى حوالي عام (١٧٠٠ ق . م) ؛قاسم الشواف ، ديوان الأساطير ، ج٣ ، ص٥١ ؛ علماً إن هناك أسطورتان يؤدي فيهما الإله نينورتا دور البطولة أحداهما سومرية التي بصددها الآن والأخرى بابلية ومضمونها واحد يتمثل بصراع قوى الخير والشر ؛ فاضل عبد الواحد علي ، سومر أسطورة وملحمة ، ص٩٩.

٣٠٠ - الإله نينورتا ابن الإله انليل وكان ينظر إليه على أنه إله زراعي ألصقت به آلة حرث الأرض ؛ ثوركيلد جاكوبسن ، أديان ما بين النهرين (إطلالة عامة) ، ص١٦٧.

٣٠١ -الأساك أو الاساكو من بين العفاريت التي لها قدرة التغلغل إلى أجسام البشر بمعنى قدرتها على أصابتهم بالمرض ؛ سامي سعيد الأحمد ، الأصول الأولى لأفكار الشر والشيطان ، ص١٩؛ وينظر : فراس السواح ، مغامرة العقل الأولى ، ص٢١٧.

٣٠٢ - الشارور سلاح يضم دبابيس نهايتها بهيئة أسد ؛ دولابورت ، ص١٦٤؛ ويُعّد مساعد وسلاح الإله نينورتا في آن واحد ؛ فاضل عبد الواحد علي ، سومر أسطورة وملحمة ، ص٩٩.

(توقف عن مقارعة السيف ، لا تشترك

في "عيد – الرجال" في رقصة إنانا[٣٠٣]!

لا تتسرع في خوض معركة ضخمة كهذه :

توقف عن القتال !

لان الاساكو، كان بالفعل

ينتظر على الجبل[٣٠٤])[٣٠٥].

فكان الرد أفعالاً لا أقوالاً من قبل الإله نينورتا :

(ولكن نينورتا البطل ، ابن أبيه وفخره

الجزيل – الحكمة ، وليد الفكرة السامية

الإله نينورتا ، ابن انليل ، المتفوق

ذكاءً ، الإله النافذ البصيرة (؟) ،

رفع ساقه وأمتطى حصانه الأخدري[٣٠٦])[٣٠٧].

إلا أن هذا الانتصار الأولي للإله نينورتا أسهم في زعزعة الاستقرار ؛ فاختفت الزراعة وعمت المجاعة نتيجة اندفاع المياه الأولى المالحة التي ابتلعت مياه الينابيع والآبار والأنهار[٣٠٨] ،

---

٣٠٣ - هي رقصة مقدسة وتكون دورانية تقام طقوسها استذكاراً لعنفوان وغرائز إنانا (عشتار) العدوانية ؛ قاسم الشواف ، ديوان الأساطير (الحضارة والسلطة) ، ج٣ ، ص٢٥٧.

٣٠٤ - كان الجبل بمثابة الحاضنة لكل ما هو خارج عن قدرات الإنسان العراقي القديم ؛ فرانكفورت ، فجر الحضارة في الشرق الأدنى ، ص٦٦.

٣٠٥ - قاسم الشواف ، ديوان الأساطير (الحضارة والسلطة) ، ج٣ ، ص٦٥.

٣٠٦ - الأخدر نسبة إلى حيوان الأخدر شبيه بالحصان استخدم وتم تهجينه في العراق قبل دخول الخيل ؛ رضا الهاشمي ، تاريخ الخيل والفروسية في العراق القديم ، سومر ، ص٢٤٥.

٣٠٧ - قاسم الشواف ، ديوان الأساطير (الحضارة والسلطة) ، ج٣ ، ص٦٦.

وتصور الأسطورة فيما بعد كيف أن امر الإله انليل وكذلك امر سلاحه شارور بالالتزام بأوامر الإله انليل هي من أوصلت الإله نينورتا إلى تحقيق النصر في هذه الواقعة :

(أمتثل إذن لأوامر أبيك يا سيدي

لا تتمهل ، يا قدرة انليل المهيبة !

أيتها العاصفة تهبُّ على المنطقة المتمردة ،

أنت الذي يمكنه تحويل الجبل إلى حثرات)[٣٠٩].

وهنا نلمس تغير في موقف سلاح الإله نينورتا ، ففي حين طالبه في بدء الصراع مع الاساكو بعدم قتاله ، نجده وقد غلب عليه حثه على مواصلة القتال ويبدو واضحاً أن الاوامر تخضع لطبيعة الظروف المتاحة.

وفي قصة الخليقة البابلية تأخذ الاوامر بالانعطاف نحو هدف جديد يتمثل بالسعي إلى إعلاء شأن مردوخ ، فتصور أولاً الإله (انكي/ايا) ، وفشل خوض غمار الحرب ضد تيامت وجيشها بقيادة كنكو – Kingu ليعقب ذلك إخفاق مماثل للإله آنو الذي أشار عليه الإله انشار– Anšar بالتصدي لها بواسطة كلماته[٣١٠] ، وإن لم ينفع ، فبكلمات مجمع الآلهة كما هو مبين في النص :

(اذهب وتصدَّ لـ"تنامت" ،

حتى تهدأ روحها ، ويطمئن قلبها

فإن لم تصغ إلى كلماتك ،

فتكلم معها بكلماتنا ، عسى أن تهدأ"

---

٣٠٨ - فراس السواح ، مغامرة العقل الأولى ، ص ص٢١٧ – ٢١٨.

٣٠٩ - قاسم الشواف ، ديوان الأساطير (الحضارة والسلطة) ، ج٣ ، ص٧٠.

٣١٠ - كان للكلمة فعل سحري كما في حادثة اختبار قوة كلمة الإله مردوخ في قصة الخليقة البابلية حينما وضع الآلهة رداء بين أيديهم وطلبوا من مردوخ إفنائه وإعادته بكلمة منه ؛ هايدل ، سفر التكوين البابلي ، ص٢٢.

(حين سمع) كلمات أبيه "انشر" ،

(سلك طريقاً مباشراً) إليها ، وواصل سيره لها

(مضى "آنو" قدماً) ، لكنه حين أدرك خطة "تئامت" ،

(وأدرك أنه غير قادر على التصدي لها) ، قفل راجعاً

ذهب مفزوعاً) لأبيه "انشر")[٣١١].

وفي أسطورة خلق الإلهة الأم للإنسان التي تعود إلى الألف الثاني قبل الميلاد[٣١٢] ، وللأسطورة روايتان[٣١٣] يبدو واضحاً في هذه الأسطورة أن خلق مامي للإنسان ابتدأ بصيغة أمر بحسب النص المترجم : **(أنتِ الرحم الأول الأزلي ، أنتِ خالقة البشرية ، فاخلقي "للو")**[٣١٤] ؛ ونلمس فيها طلب هذه الإلهة موقف الإله انكي في أمر الخلق[٣١٥] والأهمية المعلقة على هذا الخلق الجديد تكمن في إنابة الآلهة في حمل العناء :

(أخلقي "الإنسان" حتى يحمل النير ،

حتى يحمل النير (...)

فإن (...) الخلق سيحمله الإنسان)[٣١٦].

وهناك أسطورة مهمة عرفت بـ"أسطورة ايرا"Erra [٣١٧] تعرضت لعقاب البشر لإقلاقه راحة الآلهة نتيجة ضوضائهم وصخبهم[٣١٨] ، وفيها الامر يصدر من قبل "سبى"[٣١٩] سلاح

---

٣١١ - هايدل ، سفر التكوين البابلي ، ص٤٨.

٣١٢ - طه باقر ، مقدمة في أدب العراق القديم ، ص١٠٦.

٣١٣ - إلى جانب الرواية البابلية محل بحثنا الآن هناك رواية دعيت بالآشورية وهي ناشئة عن اقتطاع الجزء الأخير من الرواية البابلية الذي يشبه في محتواه ملحمة اتراحاسيس في نسختها الآشورية وعرفت بالنسخة (ب)؛ فيصل الوائلي ، من أدب العراق القديم ترانيم وأدعية سومرية ، دار الوراق ، (بغداد : ٢٠٠٧) ، ص٩.

٣١٤ - طه باقر ، مقدمة في أدب العراق القديم ، ص١٠٦.

٣١٥ - كريمر ، اساطير العالم القديم (أساطير سومر وأكاد) ، ص١٠٠.

٣١٦ - هايدل ، سفر التكوين البابلي ، ص١٠١.

٣١٧ - من المرجح أن تكون هذه الأسطورة قد كتبت في القرن الثاني عشر قبل الميلاد على أثر الغزو العيلامي لبلاد بابل إبان حكم الكشيين لها ؛ طه باقر ، مقدمة في أدب العراق القديم ، ص ص١٦٩ – ١٧٠؛ ويشار إلى

الإله ايرا بالتحرك: **(قم وأمشِ يا ايرا)**[٣٢٠]، تحريضاً له ضد البشر :

(علينا أن نحدّثك يا إيرا الباسل ، وإن لم يرقك خطابنا !

قبل أن تصبح الأرض بكاملها فائقة القوة مقابل قوتنا.

سوف تعير انتباهاً لكلماتنا دون شك !

أعمل (إذن) خيراً مع الأنوناكي محبّي الهدوء

وهم الذين يمنعهم من النوم ضجيج البشر)[٣٢١].

ونلحظ في المقطع الأخير من النص الذي أوردناه حثٌّ واضح لهذا الإله على تسليط جام غضبه على الإنسان لإقلاقه راحة الآلهة.

ومما تقدم يلاحظ اختلاف المواقف التي يتم فيها اتخاذ الاوامر تبعاً لطبيعة الظروف التي تدعو إلى إصدارها وان بعض هذه الاوامر صدر ممن هو ادنى إلى من هو اعلى منزلة بين الآلهة وأن الأخذ بالأمر لم يكن على الدوام امراً قد التزم به من وجه اليه.

أن كاتب أسطورة ايرا المعروف باسم كابيتي ايلاني مردوخ قد عاصر الملك حمورابي ؛ سامي سعيد الأحمد ، العراق القديم ، ج٢ ، جامعة بغداد ، (بغداد : ١٩٨٣)، ص٢١١ ؛ والأسطورة تجسيد للواقع السياسي المضطرب الذي عاشته بلاد الرافدين في الفترة الممتدة ما بين وفاة حمورابي (١٧٩٢ – ١٧٥٠ ق . م) وبداية العهد الكشي (١٧٠٠ – ١١٥٧ ق . م) ؛ طالب منعم الشمري ، الوضع السياسي في الشرق الأدنى القديم ين القرنين السادس عشر والحادي عشر قبل الميلاد ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، (جامعة بغداد : ١٩٩٦) ، ص١٢١.

[٣١٨] - فراس السواح ، مدخل إلى نصوص الشرق القديم ، ص١٥٢.

[٣١٩] - ويعرف هذا السلاح باسم سيبيتو ؛ ثوركيلد جاكوبسن ، أديان ما بين النهرين (موسوعة تاريخ الأديان) ، ج٢ ، ص١٨٤؛ وهذا السلاح تجسيد للآلهة السبعة "سبيتي" وفي حين يكون دورهم شيطانياً في بعض الأحداث الأسطورية يجسدون في أحيان أخرى الجانب الخير والإشارة إلى أنهم من ذرية الإله آنو والأرض ؛ دالي ، أساطير من بلاد ما بين النهرين ، ص ص٣٨٦ – ٣٨٧.

[٣٢٠] - كريمر ، أساطير سومر واكاد ، ص١٠٥.

[٣٢١] - قاسم الشواف ، ديوان الأساطير ، ج٤ ، ص٥٠٧.

الفصل الثالث

نصائح وأوامر الآلـهة للإنسان

نصائح الآلـهة للإنسان

أوامر الآلـهة للإنسان

نصائح الآلهة للإنسان

كانت الأرض وما عليها من موجودات ، مُلك للإله(٣٢٢) ، والعراقي القديم كان ينشد إلهه في تعبده، أن يمده بكل ما هو مادي من أمطار وخصب الأرض والانتصار في الحرب والحياة والعمر الطويل(٣٢٣) ، لذا كانت حياة العراقي القديم ومقدار سعادته(٣٢٤) قائمة على مقدار صلاته بالآلهة كونها المرشد والقائد للإنسان في آن معاً(٣٢٥) ، ولأن عمل الكون وتوجيهه بحسب هذا الفكر يتم من قبل الآلهة(٣٢٦).

وهناك ما يشير إلى إقرار العراقي القديم تلقيه للنصح من الآلهة كما موضح في تعويذة للإلهة (إنانا/عشتار) :

(أيه أيتها البطلة ، عشتار ، طاهرة الإلهات

مشعل السماء والأرض ، شعاع البراري ،

الإلهة (سيدة السماء ، بكر سن ، بكر نركال(٣٢٧) ،

الأخت التوائم (... البطل شمش

إيه عشتار ، أنتِ آنو(٣٢٨) أنتِ تحكمين السماء ،

---

٣٢٢ - فرانكفورت ، فجر الحضارة في الشرق الأدنى ، ص٦٤ ؛ باتيرو ، الديانة عند البابليين ، ص٢٠.

٣٢٣ - محمد حسين النجم ، فلسفة الوجود في الفكر الرافديني القديم وأثرها عند اليونان ، بيت الحكمة ، (بغداد : ٢٠٠٣) ، ص٣٠.

٣٢٤ - كانت الأفراح والمسرات هي من أنعشت حياة العراقي القديم الذي أبتليَّ بخدمة الآلهة وهول الموت ؛ كلشكوف ، الحياة الروحية في بابل ، ص١٢٧.

٣٢٥ - باتيرو ، الديانة عند البابليين ، ص٢١.

٣٢٦ - كريمر ، الديانة السومرية (موسوعة تاريخ الأديان) ، ص١٨٨.

٣٢٧ - إله سومري عُرف لدى الاكديين بنفس الاسم ويُعد من بين آلهة العالم السفلي وهو زوج الإلهة ايرشكيكال ؛ ادزارد وآخرون ، قاموس الآلهة والاساطير ، ص١٦٧.

٣٢٨ - كان للآلهة قدرة التشبه بآلهة أخرى بصورة جزئية وهذا التشبيه يجعل من الإله مشاركاً لغيره من الآلهة في بعض صفاتها وقدراتها ؛ جاكوبسن وآخرون ، ما قبل الفلسفة ، ص١٥٥.

مع انليل المستشار تنصحين البشر)[٣٢٩].

ويتضح النصح في قصة الصراع بين اينمركار– Enmerkar[٣٣٠]ملك الوركاء وملكArata – اراتا[٣٣١] شاتامو–Shatammu[٣٣٢] ، وقصة الصراع هذه تظهر في احد جوانبها طبيعة العلاقات التجارية بين سومر واراتا ، والمتمثلة بتقديم الأخيرة الأحجار شبه الكريمة لقاء حصولها على الحنطة والشعير من سومر[٣٣٣]، إلا أن القصة في مغزاها الصريح تُبيّن لنا رغبة ملك الوركاء بمد نفوذه إلى هذه المملكة وجعلها تابعة له[٣٣٤]، وسوغ ذلك برغبة إلهية بموجب نصح مقدم من قبل الإلهة إنانا لأينمركار دعته فيها إلى إرسال مبعوثاً عنه إلى ملك اراتا ليحمل هذا وشعبه على جلب الفضة والذهب إلى الوركاء والإسهام في تشييد معبد للإله انكي :

(تعال يا إينمركار ، ابن أوتو (موضّحة) :

تعال يا إينمركار ، لأعطيك نصيحة

أتبع نصيحتي ،

سوف أقول لك كلمة و أدرْ لي أذنك :

أختر رسولاً طليق اللسان من بين [...]

ولتُنْقلْ إليه الكلمات البليغة لإنانا

---

٣٢٩ - سعد عمر محمد أمين ، القرابين والنذور في العراق القديم ، دراسات ، (بغداد : ٢٠١١) ، ص١٠.

٣٣٠- اينمركار هو الملك الثاني في سلالة الوركاء الأولى من عصر فجر السلالات الثاني وإليه تنسب الإثبات السومرية بنائه لمدينة الوركاء وقصة صراعه مع ملك اراتا قد دونت في الألف الثاني قبل الميلاد ؛ طه باقر ، مقدمة في أدب العراق القديم ، ص١٧٦.

٣٣١- تقع اراتا في شمال غرب ايران قرب بحر قزوين وقد أرتبط اسمها وعلا شأنها بفضل الأناشيد التي صورت الصراع ما بينها وبين اينمركار ملك الوركاء ؛ كريمر ، السومريون ، ص ص٣٨٩ – ٣٩٠.

٣٣٢- يعود تاريخ نسخ هذه القصة إلى مطلع الألف الثاني قبل الميلاد ؛ طه باقر ، مقدمة في أدب العراق القديم ، ص١٧٦.

٣٣٣- ماكس مالوان ، حضارة عصر فجر السلالات في العراق ، ت : كاظم سعد الدين ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد : ٢٠٠١) ، ص١٧.

٣٣٤- كريمر ، من ألواح سومر ، ص٦٣.

السامية في [...]

أجعله بعد ذلك ، يتسلق الجبال [...]

أمام [.....] أنشان[٣٣٥]

ليسجد كمنشدٍ شاب

ومأخوذاً برهبة الجبال الشامخة

ليتخذ طريقه في العفر ،

اراتا سوف تخضع لاوروك)[٣٣٦].

أرسل ملك الوركاء لوكالبندا – Lugalbanda[٣٣٧] رسولاً عنه إلى اراتا عملاً بنصح الإلهة إنانا ، وبعد شد وجذب يركن ملك اراتا لرغبات ملك الوركاء ، مقابل قيام الأخير بتزويد هذه المملكة بكميات كبيرة من الحبوب وبعد استشارة اينمركار للإلهة نيدابا يبادر إلى تزويد ملك اراتا بالحبوب وهو ما أفرح الأخير أول الأمر إلا أنه عاد ليخالف رغبة شعبه ببناء المعابد وتزويد الوركاء بالأحجار الكريمة[٣٣٨] ، مما اضطر اينمركار إلى استخارة الفأل ليرسل رسوله مرة أخرى ولتنتهي هذه القصة بإذعان مملكة اراتا للوركاء على الرغم من أن الأمطار جلبت لهم ما يطمحون له من الحبوب[٣٣٩].

٣٣٥- انشان أحد أقسام بلاد عيلام المهمة وعُرِفَ باسم انزان أيضاً وكان هذا الأسم يطلق في أحيان على كل بلاد عيلام ؛ طه باقر وآخرون ، تاريخ ايران القديم ، ص٢٦ ؛ وانشان منطقة جبلية فاصلة ما بين مدينتي الوركاء واراتا ؛ قاسم الشواف ، ديوان الأساطير ، ج٤ ، هامش رقم (٣) ، ص ٤٦٢.

٣٣٦- قاسم الشواف ، ديوان الأساطير ، ج٤ ، ص٤٦٤.

٣٣٧- لوكالبندا خلف اينمركار في حكم الوركاء ولُقب بالراعي ومقدار أهمية هذا الملك يستدل عليها من أن ملحمتين سومريتين قد عرضت لذكراه ؛ سامي سعيد الأحمد ، السومريون وتراثهم الحضاري ، ص٧٨.

٣٣٨- قاسم الشواف ، ديوان الأساطير ، ج٤ ، ص ص٤٧٣ – ٤٧٤.

٣٣٩- كريمر ، من ألواح سومر ، ص ٣٩١ – ٣٩٣.

وتتجلى فكرة تلقي الإنسان النصح من الآلهة في أسطورة كان بطلها حكيم يدعى ادابا[(٣٤٠)] وعرفت باسمه "أسطورة ادابِا" Adapa[(٣٤١)] ، وملخصها أن هذا الحكيم أثناء قيامه بالصيد في مياه الخليج العربي هبت عاصفة قوية هي ريح الجنوب فأثارت غضبه لأنها أفقدته السيطرة على قاربه ، فبادر إلى كسر جناح هذه الريح فأثار ذلك الإله آنو الذي استبطأ هبوب هذه الرياح فأرادَ الاستفسار منه عن فعلته[(٣٤٢)] وبعزم ادابا على الصعود إلى السماء صاغراً ، لنطالع نصائح وجهها له الإله (انكي/ايا) الأولى من بينها نصائح تدعوه أن يظهر الحزن بارتداء ثياب الحِداد ونثر شعره لأنه سيلتقي أول الأمر الإلهين دوموزي وكيزيدا – Gizzid [(٣٤٣)] ليقول حين لقائهما أنه حزين على فقد إلهين هما دوموزي وكيزيدا وبذلك سيجعلهما يشعران بالامتنان له على صنيعه وعند ذاك يطلب مساعدتهما بأن يشفعا له عند الإله آنو[(٣٤٤)]، وابرز ما جاء في نصائح هذا الإله قوله :

(بحضرة آنو ، إذا ما قُدمَ لك خبز الموت ،

لا تأكل منه ، وإذا ما قدّم لك ماء الموت ،

لا تشربه ، وإذا ما قُدّم لك كساء

فألبسه ، وإذا ما قُدّم لك زيت ، فأمتسح به

لا تهمل التوصيات التي أعطيك ،

٣٤٠- كان ادابا أول الحكماء السبعة الذين ظهروا بالتتابع في مدن اريدو وبادتبيرا ولرك وزمبير قبل الطوفان؛ ينظر : رينيه لابات ، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين ، ص٣٤٢ ، وقد عُدَ بمثابة الأبن للإله (انكي/ايا) ؛ دالي ، أساطير من بلاد ما بين النهرين ، ص٣٧١.

٣٤١- لهذه الأسطورة نسختان بابلية قديمة عثر عليها في تل العمارنة (القرنين الرابع والخامس عشر قبل الميلاد) وآشورية أواخر الألف الثاني قبل الميلاد ؛ دالي ، أساطير من بلاد ما بين النهرين ، ص٢٢٤.

٣٤٢- ديكانوف ي . م ، وآخرون ، تاريخ الشرق القديم (نشوء المجتمعات الطبقية القديمة والمواطن الأولى للحضارات العبودية)، ص ص٥١٤ ــ ٥١٥.

٣٤٣- ويعطي أسمه معنى الشجرة الموثوقة وهو إله سومري أرتبط أسمه بالإله دوموزي ؛ دالي ، أساطير من بلاد ما بين النهرين ، ص٣٧٩.

٣٤٤-فاضل عبد الواحد علي وعامر سليمان ، عادات وتقاليد الشعوب القديمة ، ص١٥٥.

أحفظ جيداً الكلمات التي أقولها لك)[٣٤٥].

وهنا نلاحظ ان نصيحة الإله (انكي/ايا) جاءت بخلاف تطلعات وتوجهات إله آخر وقد حظي نصح الإله (انكي/ايا) لادابا بعدة تفسيرات الأول أن تكون نصيحته لمنع حصول ادابا على الخلود كونه أمراً أختص به الآلهة أو لعدم المعرفة بنوايا الإله آنو[٣٤٦] والرأي الثاني : أن الإله (انكي/ايا) كان بصدد إنقاذه من الموت الذي سيلاقيه على يد الإله آنو الذي سيجد أن مقدار علمه ومعرفته أعلى مقداراً من علم ومعرفة باقي البشر ، بدليل أن الإله آنو أعطاه بدل ماء الموت وطعامه ماء الحياة وطعامها ليجعله إلهاً ثانوياً[٣٤٧] ، ومنها ما آمن بالقضاء والقدر فكان قدر ادابا أن لا يحصل على الخلود[٣٤٨]، ودون أن يكون الإله (انكي/ايا) عارفاً بنتائج نصحه له[٣٤٩] والرأي الثالث يشير إلى أن تَشفُع الإلهين دوموزي وكيزيدا لادابا هو من دفع بالإله آنو إلى أن يقدم طعام وشراب الخلود بدلاً من طعام وشراب الموت[٣٥٠] ويبدو الأمر مقنعاً في ظل نصح الإله (انكي/ايا) بإظهار الحزن على الإلهين المذكورين حين صعوده إلى السماء أما الرأي الرابع : فكان فريداً من نوعه إذ يقول أن الإله (انكي/ايا) قصدَ من نصيحته أن يضطر الإله آنو أمام ممانعة ادابا من تناول طعام وشراب الموت أن يقدم له طعام وشراب الخلود إلا أن الإله آنو فطن على ما يبدو لدهاء الإله (انكي/ايا) فقدم له أولاً الطعام والماء المسببين للخلود والذي رفضه ادابا التزاماً بنصح الإله (انكي/ايا)[٣٥١].

٣٤٥- قاسم الشواف ، ديوان الأساطير ، ج٢ ، ص٤٨٢.

٣٤٦- ساكز ، عظمة بابل ، ص٤٦٣.

٣٤٧- كييرا ، كتبوا على الطين ، ترجمة وتعليق محمود حسين الأمين ، مكتبة الجوادي ، (بغداد : ١٩٦٢) ، ص ١٦١.

٣٤٨- دولابورت ، بلاد ما بين النهرين (حضارة بابل وآشور) ، تر : مارون الخوري ، دار الروائع الجديدة ، (بيروت : ١٩٧١) ، ص١٩٥.

٣٤٩- كريمر ، أساطير سومر واكاد ، ص١٠٣.

٣٥٠- جاكوبسن ، أديان ما بين النهرين إطلالة عامة (موسوعة تاريخ الأديان) ، ج٢ ، ص١٦٩.

٣٥١- جان باتيرو ، بلاد الرافدين ، ص٣٠٢.

ونلحظ أن نصح الإله (انكي/ايا)[٣٥٢] لم يكن لخبث صادر من هذا الإله لأنه عُرفَ بمواقفه الطيبة تجاه البشر ، وإنما كل ما أرادَ المفكر العراقي القديم من هذا العرض هو إظهار مكانة كل إله ومقدار حجمه وذلك بعدم قدرة أي إله تجاوز مكانة إله آخر مهما بلغ بهِ الأمر ، بدليل إعطاء أرقام تحدد منزلة كل إله بحسب النظام الستيني فكان الإله آنو المتصدر بحصوله على الرقم (٦٠) والإله (انكي/ايا) ثالثاً بعد الإله انليل بحصوله على الرقم (٤٠).

أوامر الآلهة للإنسان :

كان العراقي منقاداً لآلهته وكله طاعة لأوامرها وهذا ما نلمسه خلال بحثنا في مواطن الامر التي تسنى لنا حصرها والتي سيتم تناولها من خلال هذا المبحث.

شكلَ الصراع بين دويلتي أُما Ama و لكش – Lagash[٣٥٣] مثالاً واضحاً للصراع بين دويلات المدن ، وبقدر تعلق الأمر بالأوامر الصادرة من الآلهة إلى البشر في الجانب السياسي، يفهم من نص المعاهدة[٣٥٤] التي أعقبت الصراع بين الدويلتين بتحكيم من قبل ميسلم– Mislm [٣٥٥] حاكم دويلة كيش أن تحكيمه جاء بأمر من قبل الآلهة ، وأن تحكيمه جاء استجابة لإرادة الآلهة وعلى رأسهم الإله

٣٥٢- يرى الأستاذ فوزي رشيد أن عّد العراقي القديم الإله انكي مسؤولاً عن عدم نيل ادابا للخلود لارتباط ذلك بتراجع إنتاج محصول الشعير في جنوب العراق كون الإله انكي هو إله الأرض بالدرجة الأساس ؛ الفكر عبر التاريخ ، ص١٣٢.

٣٥٣ - عُدَ هذا الصراع ذي وجهين اقتصادي وسياسي والشق الاقتصادي منه يتمثل بمحاولة مد السيطرة على الأراضي الحدودية من قبل كل من الطرفين المتصارعين وكذلك للسيطرة على منابع المياه ؛ سعدون عبد الهادي الأمير ، الأزمات السياسية الداخلية في العراق القديم ٣٠٠٠ – ٥٣٩ ق . م ، رسالة ما جستير غير منشورة ، (جامعة واسط : ٢٠٠٥) ، ص٢٢.

٣٥٤ - عُدت هذه المعاهدة الأقدم في العالم وتم العمل بها أواسط الألف الثالث قبل الميلاد ؛ عامر سليمان ، العلاقات السياسية الخارجية (حضارة العراق) ، دار الحرية ، (بغداد : ١٩٨٥) ، ج٢ ، ص١١٤.

٣٥٥ - لم يذكر في قوائم إثبات الملوك السومرية (لعدم ذكرها جميع ملوك لكش) إلا أن نصوص دويلة لكش أطرت عليه كثيراً ؛ عبد العزيز صالح ، الشرق الأدنى القديم ، مكتبة الأنجلو المصرية ، (القاهرة : ٢٠٠٤) ، ص٥٩٨.

انليل[٣٥٦]:

(انليل ، ملك جميع البلدان ، وأبو جميع الآلهة ، حدد الحدود بكلمته الثابتة بين "تنجرسو" وبين "شارة"[٣٥٧]. وعين "ميسلم" ملك "كيش" خط الحدود بالقياس بموجب أمر "ستران"[٣٥٨]. وأقام نصباً هناك)[٣٥٩].

ومما تقدم يتبين أن إنهاء النزاع جاء بتعاضد الرأي بين كل من الإلهين انليل والإله ستران ، فالأول الذي على ما يبدو هو من بادر إلى إصدار امر يضع حداً للصراع بين كلا الدويلتين بإشارته إلى إلهي كلا الدولتين ننجرسو –Ningirsu وشارا Šara إذ صور النزاع على أنه نزاع بين كلا الإلهين[٣٦٠]، وبخلاف امره هذا سيكون الصراع متواصلاً ما يعني استمرار القتال وعدم الاستقرار بين كلا الدويلتين ، أما الإله ستران فهو من أوحى بأمره إلى ميسلم حاكم دويلة كيش بأن يحدد ويرسم الحدود بين كلا الدويلتين[٣٦١] ؛ وهذا يشير إلى إن نتائج التحكيم إلهية المصدر ، وهذه الفكرة جاءت على ما يبدو لضمان احترام نتائج التحكيم هذه إلا أن ذلك لم يتحقق بانتهاك أُما لبنود المعاهدة : (**"أوش" حاكم "أوما" نقض إرادة الآلهة الاتفاق وحطم النصب ودخل في سهل "لجش"**)[٣٦٢] ، وهذا الأمر ينطوي على مخالفة كبيرة،

٣٥٦ - فاضل عبد الواحد علي ، المنجزات السياسية والعسكرية في عصر فجر السلالات السومرية ، المورد ، المجلد ١٦ ، العدد ٣ ، ١٩٨٧ ، ص٢٢.

٣٥٧ - هو الإله الحامي لمدينة أُما ولم يعرف له طبيعة أو مهام أو صفات معينة إلا أن وصفه ببطل الإله آن دعت إلى الاعتقاد بأنه إله حرب وقد ظهرت له ادوار في قصة نزول إنانا إلى العالم الأسفل وافتتاح معبد في عهد الملك شوسين من عصر سلالة اور الثالثة وعُدَ ابناً للإلهة إنانا في أسطورة لوكالبندا ؛ ادزارد و آخرون ، قاموس الآلهة والأساطير ، ص١٤١.

٣٥٨ - ستران ليس له أصل معروف وجاءت تسميته أيضاً بصيغة اشتاران ويعتقد أن هذا الإله من أصل عيلامي ومركز عبادته في مدينة الدير (بدرة) ومنها امتدت عبادته إلى بابل ؛ المصدر نفسه ، ص١٣٩.

٣٥٩ - كريمر ، من ألواح سومر ، ص ص٩٨ – ٩٩.

٣٦٠ - سعدون عبد الهادي الأمير ، الأزمات السياسية الداخلية في العراق القديم ، ص٢٥.

٣٦١ - كريمر ، السومريون ، ص٧٢.

٣٦٢ - المصدر نفسه ، ص٩٩.

إذ إن عقد المعاهدات يستلزم قَسّم كلا الطرفين المتعاقدين بالآلهة[٣٦٣] ، هذا أولاً ، وثانياً وهو الأهم أن المعاهدة تمت بإمر من الإلهين انليل وستران ولابد أنها أظهرت رغبة كل من ننجرسو وشارا .

وقد أستمر نقض اتفاقات الصلح من قبل حكام أُما في عهود حكم ملوك لكش اي – اناتم – E.Anatm (٢٤٥٤ – ٢٤٣٥ ق . م) وانتمينا– Antmina (٢٤٠٤ – ٢٣٧٥ ق . م) وأخيراً شهد عهد اوروانمكينا – Ur–anmkina ملك لكش ضم الأخيرة إلى أُما[٣٦٤] مع ما صاحبه من تخريب الأخيرة لدويلة لكش منتقمة بذلك لقرنين من الهزائم[٣٦٥] ، وقد جاء هذا الانتقام على يد ملكها لوكال زاكيزي (٢٤٠٠– ٢٣٧١ ق . م) الذي راوده طموح توحيد دويلات المدن السومرية في دولة واحدة[٣٦٦].

وكان لتصادم المصالح بين دويلات المدن في العراق القديم سبباً في اللجوء إلى القوة[٣٦٧]؛ وبذلك أصبح الجيش ركناً مهماً من أركان المجتمع العراقي القديم[٣٦٨]، إلا أن المغزى من تأسيس الجيش لأغراض دنيوية لم يمنع عن العراقي القديم اعتقاده بفكرة ، إن الملوك كانوا يخوضون الحروب والمعارك قادةً نيابةً عن الآلهة[٣٦٩]، وإن الإله يأمر الملك بشن الحرب وبإرادته يتحقق النصر[٣٧٠] وأن توجيه

---

٣٦٣ - دالي ، ماري وكارانا (مدينتان بابليتان قديمتان) ، تر : كاظم سعد الدين ، بيت الحكمة ، (بغداد : ٢٠٠٨) ، ص٢١٦.

٣٦٤- عن انتهاك اتفاقية الصلح بين الطرفين ينظر : سعدون عبد الهادي الامير ، الازمات السياسية الداخلية في العراق القديم ، ص٢٥ وما بعدها.

٣٦٥ - جورج رو ، العراق القديم ، ص١٩٧.

٣٦٦ - محمد سياب محان ، المعاهدات السياسية في العراق القديم ، تموز ، (دمشق : ٢٠١٢) ، ص٦٥.

٣٦٧- ايج . أي . ايل . . ملرش ، قصة الحضارة في سومر وبابل ، ت : عطا بكري ، مطبعة الإرشاد ، (بغداد : ١٩٧١) ، ص٤٣.

٣٦٨- دولابورت ، بلاد ما بين النهرين ، ص٧٧.

1- Butionto , Ontr , Of the Moral Practices Of Certain Social Groups In Ancient Mesopotamia , Drugulin , (Leipzig : 1921) , p8.

الحملات العسكرية كانت من بين ما تتطلبه استشارة الآلهة بشأنها[٣٧١]، وكانت استشارة الآلهة بشأن الأمور العسكرية سائدة في العراق القديم ، وأن هذه الاستشارات تمتد إلى أزمنة تسبق العصر البابلي القديم[٣٧٢].

وكانت ابتهالات الملوك وصلواتهم الخاصة أكثر ما تكون حاضرة في الأمور الحربية[٣٧٣]، والقادة بطبيعتهم يوازنون بين متطلبات الحرب من تعبئة ، وحشد للقوات اللازمة ووضع الخطط الحربية ، ونتائج الفأل التي يستخيرون فيها الآلهة بشأن حملاتهم العسكرية[٣٧٤] ، وكان من بين صنوف الجيش صنف العرافة ، الذي إلى جانب أهميته في الكشف عن نتيجة المعركة يتيح للجيش معرفة ما يخفيه الأعداء من أسرار تتعلق بخططهم القتالية[٣٧٥].

وفي هذا المجال لا تقتصر شواهدنا على تلقي البشر لأوامر الآلهة فيما يتعلق بالجانب الحربي على قراءة الفأل فحسب ، بل تشمل مختلف أشكال المدونات الأدبية والتاريخية والمشاهد الفنية التي سيتم الحديث عنها في الفصل الرابع.

ومن الشواهد التي تلقي الضوء على مفهوم الامر في الحروب والمعارك ما جاء في قصة الصراع بين لكش وأُما ، وبعد التحكيم الصادر عن ميسلم ملك كيش:

---

[٣٧٠] - ايمار واوبوايه ، الشرق ، ص١٤٣؛ كذلك : شمار ، المسؤولية الجزائية ، ص٣٢ ؛ وقد قَرَن الملوك انجازاتهم العسكرية بمشيئة وأوامر الآلهة وهو أمر عُرفَ في بلدان الشرق القديم أسوة بالعراق ؛ فيصل عبد الله وعيد مرعي ، المدخل إلى تاريخ الحضارة ، ص٩٢.

[٣٧١] - سليمان ، العراق في التاريخ القديم ، ج٢ ، ص٣٦.

[٣٧٢] - سعدون عبد الهادي الأمير ، التوظيف السياسي للفكر الديني في العراق القديم (٣٠٠٠ – ٥٣٩ ق . م) ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، (بغداد : ٢٠١٠) ، ص١٢٨.

[٣٧٣] - سبتينو موسكاتي ، الحضارات السامية القديمة ، ت : السيد يعقوب بكر ، دار الراقي ، (بيروت : ١٩٨٦) ، ص٩٣.

[٣٧٤] - سامي سعيد الأحمد ، العراق القديم ، ج٢ ، ص ص٢٩٠ – ٢٩١.

[٣٧٥] - وليد محمود الجادر ، النظم والمناصب العسكرية في العراق القديم ، مجلة آداب المستنصرية ، العدد ١٣ ، (بغداد : ١٩٨٦) ، ص٥٤٩.

(قام إنسي مدينة اوما، بأمر إلهه ، بالهجوم على كو – إدن ، وبابتلاع الأرض المروية والحقل الأثير لدى ننكرسو ... فخلع نصب الحجر ودخل سهل لكش)[٣٧٦].

ومن ذلك يتضح أن ملك أُما اوش أو كش[٣٧٧] ، قام بإمر من شارا إله مدينته بمهاجمة مملكة لكش ، ونقض المعاهدة الموقعة بين الدويلتين[٣٧٨]، وبالمقابل قام اي اناتم (٢٤٥٤ – ٢٤٣٥ ق . م) ملك لكش بالتصدي لهذا الانتهاك الصادر من قبل دويلة أُما بأمر من الإله ننكرسو الذي بلغه إياه رغبته بحلم رآه[٣٧٩] : **(الإله ننكرسو بطل الإله انليل استناداً إلى كلمته العادلة مع أُما بمعركة كبيرة قد اشتبك)**[٣٨٠]، وكان للإله انليل إسهام في إحلال الهزيمة بدويلة أُما كما يتبين ذلك من النص الآتي:

(بأمر انليل ، رمى عليهم الشبكة الكبيرة وجمع اكواماً من أجسادهم في السهل ... والذين بقوا منهم أحياء توجهوا إلى إناتم ساجدين متضرعين من أجل حياتهم وانتحبوا ...)[٣٨١].

ومما تقدم يتضح أن الاوامر الحربية التي تم ذكرها في كلا النصين السابقين كانت تصوير لأوامر صادرة من قبل الآلهة إلى البشر ، وأن كل ما تم اتخاذه من إجراءات عسكرية أو خوض لمعارك لا يخرج عن كونه فعل تم اتخاذه بمشيئة إلهية ، وإن الإله يوحي للملك بشن الحرب وبإرادته يتحقق النصر[٣٨٢] ، وبذلك سببت

---

[٣٧٦]- جورج رو ، العراق القديم ، ص١٩٥.
[٣٧٧]- طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج١، ص٣٥٣.
[٣٧٨]- مورتكات ، تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص٥٩.
[٣٧٩]- ساكز ، البابليون ، ص٩٣.
[٣٨٠]- حسين احمد سلمان ، كتابة التاريخ ، ص١٥٣.
[٣٨١]- جورج رو ، العراق القديم ، ص١٩٥.
[٣٨٢]- شمار ، المسؤولية الجزائية ، ص٣٢.

الاوامر بشن الحرب وخوض المعارك في إلحاق الأسى بشعب دويلة لكش[٣٨٣] نظراً لما تطلبته الحرب وخوض المعارك من فرض للضرائب التي أنهكت الاقتصاد[٣٨٤]، وكذلك إعلان حالة النفير المستمر المصاحب للحروب والمعارك لابد وأن ترك بدوره أثراً نفسياً قبل كل شيء واجتماعياً لما تتسبب فيه الحروب من فقدان أرباب الأسر بالدرجة الأولى الذين يعيلونها ويرشدونها ويوجهونها.

وتتجسد الاوامر الإلهية في اقرار الإله انليل بأن تكون ملوكية البلاد للوكال زاكيزي وتوجيهه للناس في الشرق والغرب لإتباعه واطاعته حثه على ان يعمل لتحقيق هذا الامر ، وهذا ما نلمسه في النص الآتي :

(عندما أعطى"انليل" ملك البلدان جميعها

ملوكية البلاد لـ"لوكال زاكيزي"

فقد وجه إليه أنظار البلاد من شرقها إلى غربها

وأخضع له جميع الناس من البحر الأعلى –

على امتداد نهري دجلة والفرات –

إلى البحر الأسفل ، ومن الشرق إلى الغرب

وعندئذ لم يُبقِ "انليل" أي منافس له)[٣٨٥].

٣٨٣- وربما تطلب من شعب لكش الحفاظ على أراضيهم الزراعية التي خارج أسوار المدينة القتال خارج هذه الأسوار وعدم التخندق خلفها ؛ ينظر :

King , and the athers , A History of Sumer And Akkad , p124.

٣٨٤- حسين احمد سلمان ، كتابة التاريخ ، ص١٥٦ ؛ وأن هذه الحروب سلبت شعب لكش الحرية السياسية ؛ المصدر نفسه والصفحة.

٣٨٥ - فاضل عبد الواحد علي ، الأدباء السومريون ، آفاق عربية ، العدد٧ ، ص٧٥ ؛ وينظر : محمود امهز ، في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، دار النهضة العربية ، (بيروت : ٢٠٠٩) ، ص١١٩.

وعلى الرغم من التشكيك في صحة ادعاءاته بامتداد نفوذه من البحر الأعلى (البحر المتوسط) إلى البحر الأسفل (الخليج العربي)[٣٨٦] ، إلا أنه بحكم المؤكد أن نفوذه شمل جميع بلاد سومر ، وأن هناك هدف كان يراوده بتحقيق السلامين الداخلي والخارجي بقضائه على المنافسين له في الداخل ، وبأتساع النفوذ الذي يجعل منه حكماً دولياً[٣٨٧] ، وقد ضَمَن كتاباته ما يؤكد تحقيقه للنصر والسلام والرفاهية[٣٨٨].

ويبدو ان لوكال زاكيزي أراد من خلال النص أعلاه أن يبلغ رسالة بان انتصاراته هي أمر أهدته إليه الآلهة ، إذ كان هذا امراً شائعاً لدى العراقيين القدامى تصوير انتصاراتهم بأنها انتصار للإله وهذا ما سنفصل بهِ لاحقاً ، إلا أن الأهم في النص حجم الصفات التي اتصف بها هذا الملك والتي بموجبها تحترم نصائحه وتوجيهاته وأوامره.

ومثلما كان للوكال زاكيزي طموح بمد نفوذه كانت لسرجون الأكدي (٢٣٧١ – ٢٣١٦ ق. م)[٣٨٩] الذي أقصاه عن ناصية الحكم ذات الطموح ، وهناك من الشواهد ما تشير إلى استشارته الآلهة في حروبه ، ومن ذلك شواهد طينية لكبود الحيوانات المضحى بها للآلهة وقد وثقت نصوص الفأل هذه انتصاراته في حملاته على مناطق شمال غرب وشرق بلاد الرافدين إلى جانب انتصاراته في جنوب بابل وحملاته على طول الفرات وسورية[٣٩٠]، إذ جاء في أحد نصوص الفأل هذه : "**حكم الإله انليل ، سوف يسبب حكم الملك سرجون للبلاد ، بحيث أن حظائره سوف**

---

٣٨٦ - عامر سليمان ، العراق في التاريخ القديم ، ج١ ، ص١٤٦.
٣٨٧ - ساكز ، عظمة بابل ، ص٦٧.
٣٨٨ - بوستغيت ، حضارة العراق وآثاره ، ص٧٧.
٣٨٩ - عبد العزيز صالح ، الشرق الأدنى القديم ، ص٦٢٩.
٣٩٠ - سامي سعيد الأحمد ، العراق القديم ، ج٢ ، ص ص٢٢ – ٢٣.

تتكاثر ، والملك سوف يحكم بسلام في كبره"[٣٩١]، والنص يضع خيار حكم الملك سرجون السبيل الوحيد لتحقيق الرخاء الاقتصادي ، ويبدو من الشطر الأخير من الفأل إشارة إلى أن طول مدة حكم الملوك تسببت في السابق بثورات أو قلاقل سببت الأذى بكل تأكيد للشعب، ونص الفأل يبعث على الاطمئنان من أن ذلك لن يحصل في عصر هذا الملك.

وربما كان قيام سرجون بتقديمه لوكال زاكيزي مقيداً للإله انليل في معبده في نُفّر لم يكن ليظهر أن السيادة قد انتقلت إليه[٣٩٢] ، بل ليظهر أنه تصرف على وفق رغبة هذا الإله وبإمر منه إذا ما وضعنا في حسباننا دائماً أن الملك نائب الإله في الأرض ، وهذا ينطبق على لوكال زاكيزي ، فكيف تجرأ سرجون على إزاحته أن لم يكن قد بلغته توجيهات تحثه على فعل ذلك لعله لخروج زاكيزي عن طاعة الآلهة التي تعد شرطاً أساسياً لاستمرار تفويض الآلهة إليه بالحكم .

وإذا كانت الشواهد التي تم ذكرها تشير إلى حصول التزام بإمر الآلهة من قبل الملوك الذين تم استعراضهم ، فإن الملك الاكدي نرام سن (٢٢٩١ – ٢٢٥٥ ق . م) خالف اوامر الآلهة عشتار ، ايلبابا – Ailpapa[٣٩٣] ،

وزبابا – Zpapa[٣٩٤] ، وانونيت – Anunit[٣٩٥] ، وخانيش – haniš[٣٩٦] ، وشمش ، حين قيامه باستشارتها كما جاء مدوناً عن لسانه[٣٩٧] فيما يخص التصدي لقبائل اللولوبي[٣٩٨] التي قادت تحالفاً ضده[٣٩٩] :

٣٩١- فوزي رشيد ، سرجون الأكدي أول إمبراطور في العالم ، الموسوعة الذهبية ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد: ١٩٩٠) ، ص٨٢.

٣٩٢- ساكز ، البابليون ، ص١٠٢.

٣٩٣- من بين آلهة الحرب وله معبد في مدينة كيش ؛ مكاي ، مدن العراق القديم ، ص٣٦.

٣٩٤- يرجع ذكر الإله زبابا في المصادر السومرية والأكدية إلى عام (٢٥٠٠ ق . م) وهو من بين آلهة كيش المحلية ومن بين آلهة الحرب وأنه زوج الإلهة عشتار ؛ ادزارد ، قاموس الآلهة ، ص١٣٧.

٣٩٥- وتقرأ أنونيتو وهي إلهة أكدية اقتبست من الإلهة عشتار صفات حربية ؛ المصدر نفسه ، ص١٠٥.

٣٩٦- عُدَ هذا الإله خادماً لإله الطقس ؛ دالي ، أساطير ، ص٣٧٩.

(سألت الآلهة العظام ،

عشتار ، ايلبابا ، زبابا ، انونيت ،

خانيش وشمش البطل .

فمنعني نقض الآلهة العظام من السير إلى هلاكي .

ولكني هكذا قلت أنا مخاطباً نفسي :

"أي أسد استشار الفأل قط ؟

أي ذئب سأل العرافة قط ؟

أريد أن أمضي ، مثل قاطع طرق ، حسب هوى قلبي ،

واستسلم إلى ذاتي ، غير مكترث بإله"

حينما أقبلت السنة الأولى ،

أخرجت ضدهم ١٢٠٠٠٠ جندي :

ولم يعد أحد منهم حياً

حينما أتت السنة الثانية ، كذلك ٩٠٠٠٠ جندي

---

[٣٩٧]- دون الملك نرام سن قصته هذه على نصب من الديوريت أقامه في مدينة سبار يبلغ ارتفاعه مترين وأوسع نقطة فيه عرضاً تبلغ متراً واحداً ؛ ثروت عكاشة ، تاريخ الفن – الفن العراقي القديم (سومر وبابل وآشور) ، ج٤ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، (بيروت : ب ت) ، ج٤ ، ص٢٦٦ ؛ وأن أحدث نسخة لهذه القصة تعود إلى القرن السابع قبل الميلاد عثر عليها في مكتبة آشوربانيبال إلى جانب نسخة عثر عليها في سلطان تبة من العصر الحثي في منطقة حران فيما النسخة الأقدم تعود إلى العصر البابلي القديم ؛ طه باقر ، مقدمة في أدب العراق القديم ، ص١٧٤.

[٣٩٨]- قبائل جبلية تحيط ببلاد الرافدين في جهاته الشرقية والشمالية الشرقية وقد وردت تسميات عدة عنهم منها "لولوبو" و"لولو" و "لولومو" ؛ طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج١ ، ص ص٤٠٢ – ٤٠٣.

[٣٩٩]- تشير الروايات التاريخية إلى أن نرام سن واجه تحالفاً على حد بعضها مؤلفاً من ١٧ إمارة وأخرى ٢٠ إمارة على طول المنطقة الممتدة من آسيا الصغرى وحتى الخليج العربي ؛ محمود أمهز ، في تاريخ الشرقالأدنى القديم ، دار النهضة العربية ، (بيروت : ٢٠٠٩) ، ص١٣٠.

حينما أتت السنة الثالثة كذلك ٦٠٧٠٠ جندي

إذ ذاك أستحوذ علّي القلق والأنذهال والحزن ، وكنت أتألم وأئّن)[٤٠٠].

ولم يكن الملك ملزماً بالأخذ بالتكهنات أما لذكائه الكبير أو لغبائه ، وقد عُدَ الملك نرام سن أحمقاً لأنه لم يأخذ بنصائح المتكهنيين[٤٠١]، إذ قام بالتصدي لأقوام هاجمته على مدار ثلاثة سنين[٤٠٢] ، على الرغم من عدم حصوله على امر بمقاتلتهم لدى استشارته الآلهة ليعتمد بذلك على ميله الشخصي بمقارعتهم ، ولتلحق به المآسي التي يدل عليها فقدانه لعديد جيوشه في السنوات الثلاث التي استغرقتها مقاومته لهم دون أذن الآلهة إلى جانب الجدب والمرض والفيضان التي أصابت بلاده[٤٠٣] ، أعقب ذلك قيام الملك نرام سن باستشارة الآلهة في عيد رأس السنة الرابعة من واقعة الهجوم عليه ، وقد أنبأته الإلهة عشتار بتحقيق النصر ، ومن جانبه اقنع الإله (انكي/ايا) بقية الآلهة بإيقاف الأذى عن بلاد أكد إلى جانب الإبقاء على الأسرى وعدم قتلهم[٤٠٤]:

(أسالت الفؤوس الدم (...)

بينهم هرب اثنا عشر مقاتلاً لكي ينجوا مني

فانطلقت في أثرهم بسرعة

وأفلحت في القبض على هؤلاء المحاربين ،

أتيت بهؤلاء المحاربين (أسرى)

٤٠٠- لابات ، المعتقدات الدينية ، ص ص٣٧٢ – ٣٧٣.
٤٠١- ساكز ، الحياة اليومية ، ص ص٨٩ – ٩٠.
٤٠٢- سامي سعيد الأحمد ، العراق القديم ، ج٢ ، ص٧٣.
٤٠٣- ساكز ، عظمة بابل ، ص ص٤٨٢ – ٤٨٣.
٤٠٤- سامي سعيد الأحمد ، العراق القديم ، ج٢ ، ص ص٧٣ – ٧٤.

هكذا قلت (أنا مخاطباً) نفسي :

"دون استشارة الفأل ، لا أستطيع معاقبتهم"

بشأنهم أذن خصصت خروفاً :

نقض الآلهة العظام بالعفو عنهم (أمرني)

من أعماق السموات ، كلمتني فينوس (الزهرة) المشعة هكذا :

"إليك أوجه كلامي ، يا نارام – سين ابن سرجون !

اترك ، لا تبد هذا النسل العين !

في الأزمنة المقبلة ، انليل ذاته سيخصهم بالشقاء ،

أنهم يُحفظون لقلب انليل الساخط)[٤٠٥].

ويبدو أن النص على الرغم من أسطوريته له علاقة بموقف الكهنة من الملك نرام سن ، فمما هو معلوم أن ملوك سلالة أكد قد تحالفوا مع الكهنة وتحديداً في عهد الملك نرام سن[٤٠٦] ، إلا أن نرام سن أسهم وبقوة بضرب الثورات المعارضة لسياسة ضم الدولة للأراضي على حساب أملاك الشعب والمعابد[٤٠٧] ؛ لذا كانت اوامر الآلهة بعدم مقاومة الهجوم الذي شنته الأقوام المتحالفة ضد أكد هو أمر ربما يشير إلى معنى أراد منه الكهنة لكونهم الناطقين باسم الآلهة ، التآمر ضد الملك.

٤٠٥- لابات ، المعتقدات الدينية ، ص ص٣٧٤ – ٣٧٥.

٤٠٦- ديكانوف ي . م وآخرون ، تاريخ الشرق القديم ، ص٢٦٥.

٤٠٧- ف . دياكوف و س . كوفاليف ، الحضارات القديمة ، تر : نسيم واكيم اليازجي ، دار علاء الدين ، ط٢ ، (دمشق : ٢٠٠٦) ، ج١ ، ص٩١.

ويبدو أن الملك الأكدي نرام سن قد فهم من حلم رآه بأن اوامر إلهية صدرت تشير إلى قرب فنائه كما جاء في قصة "لعنة اكد"(٤٠٨):

(قوضت حتى الأرض ، مملكته

وتناثر إرثه هباءً ،

وفي بيت القمر(٤٠٩)، قضي على خزائنه

رأى نرام سن كل هذا في حلمه ،

وأدركه في أعماقه)(٤١٠).

لذا كان عليه أن يتحرى لإبطال مفعول نذير الشؤم هذا الذي يتربص به ، فقصد ايكور– E.kur معبد الإله انليل في نُفّر ؛ طالباً امر الإله بما يفعل ، لكن دونما جدوى :

(في حرم ايكور المقدس ، سأل العرافة ،

هل يمكن بناء معبد ، لم ترد العرافة ،

سأل ثانية ، العرافة في الحرم ،

هل يسمح له بناء معبد ، لم تجب العرافة)(٤١١).

وكان لعدم حصول الملك نرام سن على الامر أو الموافقة على بناء معبد سبباً في ارتكاب حماقته بتدمير معبد الإله انليل(٤١٢) ، وجراء تدنيسه لمعبد ايكور

٤٠٨- يعود نظم هذه القصيدة إلى الألف الثاني قبل الميلاد ؛ أحمد أمين سليم ، في الشرق الأدنى القديم ، دار النهضة العربية ، (بيروت : د . ت) ، ص٧٦.

٤٠٩- جاء في ترجمة أخرى ذكر معبد ايكور ؛ حكمت بشير الأسود ، أدب الرثاء في بلاد الرافدين ، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع ، (دمشق : ٢٠٠٨) ، ص١١١.

٤١٠- هروشكا وآخرون ، الأساطير ، ص٣٦.

٤١١- هروشكا وآخرون ، الأساطير ، ص٣٧.

معبد الإله انليل في نُفّر[٤١٣] أذن الإله انليل بتدمير اكد انتقاماً لمعبده الذي انتهك حرمه ودمرت جدرانه بالفؤوس[٤١٤] ، بأن سلط الكوتيين "أبالسة الجبال" على مدنها[٤١٥] ، ولينتشر الموت والدمار والعذاب والحرمان[٤١٦]، وليخر الملك نرام سن صريعاً فيها[٤١٧].

إن هذه الواقعة يمكن عدها دليل على حالة التآمر التي تم الإشارة إليها ، إذ يلحظ أن رد العرافة التي تقدم بها للملك نرام سن للحصول على إذن الآلهة بشأن بناء المعابد هو في حقيقته حالة رفض مُبيّتة من قبل الكهنة ضد هذا الملك ، بسبب توسع الدولة من الأراضي على حساب ملكية المعابد اثر فيها ، مما كان له أثر في ذلك.

وهناك اوامر للآلهة معاكسة أحياناً لما هو متعارف عليه من امور ، على سبيل المثال ما يعنى بالحروب والمعارك ، ومن ذلك ما جاءنا عن حرب تحرير بلاد الرافدين من السيطرة الكوتية[٤١٨] الذين أمتد حكمهم قرابة مائة عام (٢٢٥٠ – ٢١٢٠ ق . م)[٤١٩] بقيادة اوتوحيكال (٢١٢٠ – ٢١١٤ ق . م)[٤٢٠]، إذ جاء في

٤١٢- طه باقر ، مقدمة في أدب العراق القديم ، ص٢٧٠.
٤١٣- اوتس ، بابل ، ص٦٣.
٤١٤- فاضل عبد الواحد علي ، من سومر إلى التوراة ، سينا للنشر ، ط٢ ، (القاهرة : ١٩٩٦) ، ص٢٥٢.
٤١٥- دياكوف وكوفاليف ، الحضارات القديمة ، ج١ ، ص٩١.
٤١٦- شمار ، المسؤولية الجزائية ، ص٦٧.
٤١٧- ديكانوف ي . م وآخرون ، تاريخ الشرق ، ص٢٦٧.
٤١٨- عُدت هذه الحرب أول حرب تحرير عُرفت في العالم وقد سبقت حرب تحرير مصر من سيطرة الهكسوس عام (١٨٥٠ ق . م) ؛ طه باقر وآخرون ، تاريخ العراق القديم ، جامعة بغداد ، (بغداد : ١٩٨٠) ، ج١ ، ص١٥٩.
٤١٩- باتيرو ، الشرق الأدنى ، ص١٢٤.
٤٢٠- فاضل عبد الواحد علي ، وثيقة حرب التحرير للملك السومري اوتوحيكال (٢١٢٠ – ٢١١٣ ق . م) (الجيش والسلاح) ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد : ١٩٨٨) ، ج١ ، ص١٥٧.

نص فأل أن الحرب وقعت في شهر تموز[٤٢١] ، ومعلوم مقدار حرارة الصيف في بلاد الرافدين لاسيما في هذا الشهر[٤٢٢]:

(خسوف القمر مصحوباً بظاهرة أخرى في اليوم الرابع عشر من تموز سيؤدي إلى فشل الكوتيين بالمعركة وبقاء البلاد عارية)[٤٢٣].

إن اتخاذ شهر تموز موعداً لانطلاق حملة التحرير التي قام بها اوتوحيكال لها ما يبررها ولا يتوقف الأمر عند مسألة أخذ الفأل والالتزام بما جاء فيها من امر ، ولعل من بين التفسيرات التي يمكن ترجيحها ، أن إقرار انطلاق الحرب في شهر تموز[٤٢٤] ، جاء على خلفية التغيير الحاصل في قيادة الكوتيين بانتقالها إلى (تريقان) الذي بلغت مدة حكمه ٤٠ يوماً فقط[٤٢٥] ، فأراد اوتوحيكال بذلك تحقيق عنصر المباغتة ، أو لعل عنصر المباغتة قد توقع تحققه باتخاذ هذا الشهر موعداً لخوض الحرب.

كان اوتوحيكال ، وعملاً بما فعل أقرانه من الملوك والقادة قد استشار الآلهة في خوض حربه ، كون الآلهة هي من تمنح الملك والجند النصر[٤٢٦]، فكان تفويض أو امر خوض الحرب قد صدرت من الإله انليل بحسب نص وثيقة التحرير[٤٢٧] :

٤٢١- كذلك فعل الملك البابلي نبوخذنصر في حربه لعيلام إذ أتخذ من شهر تموز موعداً لحملته كما سنرى لاحقاً.

٤٢٢- كان مُناخ العراق في الحقب الجافة مشابهاً لما عليه الآن ؛ سامي سعيد الأحمد ، السومريون وتراثهم الحضاري ، ص ص٢٤ – ٢٥.

٤٢٣- سامي سعيد الأحمد ، العراق القديم ، ج٢ ، ص٨٩.

٤٢٤- كان الأمر لدى الآشوريين مخالف تماماً إذ أن شهر تموز هو المفضل لانطلاق الحملات الحربية لسببين الأول لارتفاع درجات الحرارة في الأراضي السهلية ولانقضاء الحصاد في نهاية شهر آيار أو بداية حزيران فلا يكون للحملة تأثير على الإنتاج الزراعي في حال تجنيد الفلاحين ؛ ساكز ، عظمة آشور ، تر : خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سبانو ، دار ومؤسسة أرسلان ، (دمشق : ٢٠٠٨) ، ص٣٧٧ ؛ كذلك: دولابورت ، بلاد ما بين النهرين ، ص٢٩١.

٤٢٥- ديكانوف ي . م وآخرون ، تاريخ الشرق القديم ، ص٢٨٢.

٤٢٦- فاضل عبد الواحد علي ، وثيقة حرب التحرير (الجيش والسلاح) ، ج١ ، ص١٥٨.

٤٢٧- ليس معلوماً أن كانت هذه الوثيقة التاريخية قد دونت في عهد اوتوحيكال أم بعده ؛ كريمر ، السومريون ، ص٨٩.

(فوض الإله انليل ملك البلدان ، الرجل العظيم اوتوحيكال ملك الوركاء ، ملك جهات (العالم الأربع) الملك الذي لا يستطيع أحد مخالفة أمره ، أن يحطم اسم "الكوتي" أفعى وعقرب الجبال الذي رفع يده ضد الآلهة ، الذي نقل ملوكية سومر إلى بلاد أجنبية ، وملأ بلاد سومر بالعداوة، الذي أبعد الزوجة عمن كانت له زوجة ، وأبعد الطفل عمن كان له طفل وأقام العداوة والعصيان في البلاد)[٤٢٨].

وكان اوتوحيكال قد استثمر هذه الاوامر الإلهية له بأن جعل منها موجهاً لجيشه ، يبث فيهم العزم والقوة ، فتوجيه الآلهة بفعل شيء ما لابد وأن ينطوي على ضمانة بإيجابية نتائجه ، فنراه يخاطبهم قائلاً :

(لقد أعطاني انليل "الكوتي" هذا وجعلت إنانا ، ملكتي وعوني ، قدري بعهدة الإله دموزي (تموز) ، وجعلت لي كلكامش بن ننسون حامياً وعندئذ تملك الفرح أبناء مدينة الوركاء وكولاب[٤٢٩] **فتبعوه جميعاً وكأنهم رجل واحد)**[٤٣٠].

وبذلك نخلص إلى استقراء أهمية الاوامر الصادرة عن الآلهة في حسم هذا الصراع فكانت نتيجته قد أخبرنا عنها النص التالي :

(جلس اوتوحيكال وتريقان مضطجع عند قدميه ،

فوضع "اوتوحيكال" قدميه على رقبته

وأعاد سيادة سومر إلى يديه)[٤٣١].

٤٢٨- فاضل عبد الواحد علي ، صراع السومريين والاكديين ، (الصراع العراقي الفارسي) ، ص٤١.
٤٢٩- "كلاب" القسم الثاني من مدينة الوركاء أما القسم الأول فكان يدعى "أي انا" ؛ طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج١ ، هامش رقم (١) ، ص٣٢١.
٤٣٠- فاضل عبد الواحد علي ، وثيقة حرب التحرير (الجيش والسلاح) ، ج١ ، ص ص١٥٨ – ١٥٩.
٤٣١- جورج رو ، العراق القديم ، ص٢٢٤.

إن تحقيق النصر في هذه الحرب أرجع للبلاد حريتها من التسلط الأجنبي[٤٣٢]، وما كان ذلك ليتحقق لولا تقيد اوتوحيكال بالأوامر التي دفعته لشن الحرب في شهر تموز مباغتاً فيها الملك الجديد للكوتيين.

وتتجسد الاوامر في الحروب في عهد الملك حمورابي فبعد أن تمكن من ضم جنوب العراق لسلطته جاعلاً من مدينة بابل مركزاً رئيساً للبلاد[٤٣٣] ، وكان يظهر تقديسه للإله بتشييده المعابد وتقديم القرابين[٤٣٤] ، فضلاً عن تمتعه بصفات قيادية تمثلت بالمهارة الدبلوماسية ، والتحلي بالصبر[٤٣٥] ، نراه يسترشد بالآلهة في أمور حكمه بما في ذلك الجانب السياسي الحربي منها ، إذ جاء عنه في السنة الحادية والثلاثين من حكمه ، قيامه بمهاجمة لارسا[٤٣٦] بناءً على أمر من قبل الإلهين آنو وانليل بحسب النص التاريخي الذي خلّفُه هذا الملك :

(السنة التي حمورابي ،لُقّن بنبوءة مشجعة من آنو وانليل ، ذهب على رأس جيشه، وبواسطة ... والتي أعطيت إليه من قبل الآلهة العظام ، دحر بلاد يموت بيل[٤٣٧]وملكها ريم سن ... وجعل بلاد سومر وأكد تحت سيطرته)[٤٣٨].

٤٣٢- طالب منعم حبيب الشمري ، الوضع السياسي في الشرق الأدنى القديم ، ص٣٣.

٤٣٣- بيلافسكي ، أسرار بابل ، تر : رؤوف موسى جعفر الكاظمي ، دار المأمون ، (بغداد : ٢٠٠٨) ، ص١٨٤.

٤٣٤- فوزي رشيد ، الملك حمورابي ، ص٩٠.

٤٣٥- ساكز ، البابليون ، ص١٤٩.

٤٣٦- تقع أطلال هذه المدينة وتدعى أيضاً بـ"سنكرة" على الضفة الغربية للمجرى القديم لنهر الفرات بمسافة ١٥ ميلاً من جنوب شرق مدينة الوركاء ؛ مكاي ، مدن العراق القديمة ، ص٦٧.

٤٣٧- وتقرأ أيضاً يموت بعل إحدى مناطق شرقي دجلة يحدها من الشرق المنطقة الجبلية ويخترقها نهر ديالى والاسم يموت بعل كان يطلق على إحدى القبائل الأمورية ؛ طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، ص٤٤٥ ، وأطلق هذا الاسم أيضاً على مملكة اندريق في اعالي الفرات من مدن حوض الخابور ؛ ينظر زياد عويد سويدان المحمدي ، التطورات السياسية والاقتصادية لمنطقة اعالي الفرات (٢٠٠٠ – ٦١٢ ق . م) ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، (بغداد) ، ص ص١٠٣ – ١٠٤.

٤٣٨- محمد طه محمد الاعظمي ، حمورابي (١٧٩٢ – ١٧٥٠ ق . م) ، عشتار للطباعة والنشر ، (بغداد : ١٩٩٠) ، ص٦٦.

أن تحرك حمورابي هذا جاء من أجل غاية في نفسه تتمثل بتوحيد البلاد[٤٣٩]، التي عانت الفرقة حسبما جاء مدوناً عن تلك الحقبة :

(لا يكون هناك ملك قوي بمفرده . أن ١٥ ملكاً يتبعون حمورابي ملك بابل ويتبع العدد نفسه كلاً من ريم سن ملك لارسا وابال بيئل ملك اشنونا[٤٤٠] وآموت بيئل ملك قطنة[٤٤١] . وكان عشرون ملكاً يتبعون ياريم – ليم[٤٤٢] ملك يحمد "حلب")[٤٤٣].

والتطور المفاجئ للعلاقة بين الملك حمورابي وبين ملك لارسا ريم سن (١٨٢٢ – ١٧٦٣ ق . م) بتغيير موقفه من تآلف وتخطيط مشترك لضرب اشنونا وعيلام[٤٤٤] ، بموجب حلف بينهما[٤٤٥] ، إلى الضد من ذلك بالتحالف مع زمري – ليم ملك ماري ضده[٤٤٦]، كان لقوة وخطورة ريم سن ملك لارسا من جهة ، وما يعنيه تحقيق النصر عليه من سيطرة مطلقة على جنوب بلاد الرافدين من جهة أخرى[٤٤٧]، بحد ذاته يكفي لاستشارة الآلهة أن كان قد استشارها ، أو أن يدعي تلقيه النبوءة منها لتكون بمثابة امر له بأن يبادر إلى سرعة التحرك وضم هذه الدويلة إلى أملاكه.

٤٣٩- حسين احمد سلمان ، كتابة التاريخ ، ص١٨١.

٤٤٠- اشنونا تقع شمال شرقي ديالى بمسافة ٣٠ كم ؛ مكاي ، مدن العراق القديمة ، ص١٤٨.

٤٤١- وتعرف بـ"تل المشرفية" وتقع على بعد ٢٠ كم شمال شرق مدينة حمص ؛ زياد عويد المحمدي ، التطورات السياسية والاقتصادية لمنطقة اعالي الفرات ، ص ص١٣٥ – ١٣٨ ؛ وقطنة تقع شرقي نهر العاصي وسط سوريا ؛ بوستغيت ، حضارة العراق وآثاره ، ص١٣٨.

٤٤٢- ياريم ليم عُرفَ عنه مساعدته زمريليم ملك ماري في استعادة عرشه ؛ بوستغيت ، حضارة العراق وآثاره ، ص١٤٣.

٤٤٣- المصدر نفسه ، ص٨٥ ؛ وينظر : كلنغل ، حمورابي ملك بابل وعصره ، تر : غازي ريف ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد : ١٩٨٧) ، ص٤٢.

٤٤٤- اشتهرت عيلام بعاصمتها مدينة سوسة ولا تبعد سوى ١٠٠ ميل عن بلاد سومر وقد تبادلت سومر وعيلام السيطرة على كل منهما عبر تاريخهما القديم ؛ طه باقر وآخرون ، تاريخ إيران القديم ، ص٢٥.

٤٤٥- كلنغل ، حمورابي ، ص٤٥.

٤٤٦- طالب منعم الشمري ، الوضع السياسي ، ص٤٥.

٤٤٧- ساكز ، البابليون ، ص١٥٠.

ومن رسالة كتبها باهدي – ليم – pahdi – Lim[٤٤٨] إلى سيده الملك زمري – ليم Zimri–Lim – (١٧٧٩ – ١٧٦١ ق . م): **(من أجل سلامة القطعات العسكرية أخذت الفأل وتأكد لي بأنه فأل حسن وبناء على ذلك حرّكت القطعات وكذلك أخذت الفأل لسيدي وأرسلته مع عراف بسرعة)**[٤٤٩].

نستنتج من ذلك أن استشارة الفأل في عهد الملك زمري – ليم الذي اتصف بكثرة الحروب التي خاضها ولا سيما ما كان موجهاً ضد مملكة اشنونا وأعالي الفرات مما دفع بحكام المدن السورية إلى إعلان خضوعهم وولائهم له[٤٥٠]، ويبدو أن أخبار (باهدي – ليم) مسؤول قصره عن نتائج العرافة هي قاعدة أتبعها وسار عليها هذا الملك في تسيير أموره الحربية وذلك لضمان النصر وتجنب الهزيمة أولاً وثانياً وهو الأهم على ما يبدو لزرع الثقة في نفوس جيشه في اضفاء الشرعية على عملياته الحربية ، كونها تأتي بموافقة وتوجيه صادر عن الآلهة ، ومما يشار إليه أن العراف كان ملازماً لقطعات زمري – ليم الحربية بل جعل من بعض العرافين قادة لجيشه في حالات غيابه عنها[٤٥١]، ويبدو أن الملك زمري – ليم كان مولعاً باستشارة الآلهة بشأن المعارك التي يخوضها لدرجة أن ذلك كان حافزاً لدى زوجته شبيتو لاستشارة الكهنة العرافين ، لمعرفة ما إذا كان النصر سيحالف زوجها في معاركه التي يخوضها ، وأن زوجها بالمقابل كان في رسائله يخبرها بنجاحاته وانتصاراته في هذه المعارك[٤٥٢].

٤٤٨- كان مسؤولاً عن قصر زمريلم عند غيابه ؛ دالي ، ماري وكارانا ، ص٢١.

٤٤٩- بروكسل ، أهمية النبوءة في مجتمع مملكة ماري (النبوءات البابلية) ، تقديم : جوسي آرو ، ت : حسن هيثم الطريحي ، دار نينوى ، (دمشق : ٢٠١٠) ، ص٣٤.

٤٥٠- طالب منعم الشمري ، الوضع السياسي ، ص٥٥.

٤٥١- بروكسل ، أهمية النبوءة ، ص٣٥.

٤٥٢- ثلماستيان عقراوي ، المرأة دورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد : ١٩٧٨) ، ص٢٤٥.

وعلى شاكلة اوتوحيكال (٢١٢٠– ٢١١٤ ق . م) ، قاد الملك نبو خذنصر الأول (١١٢٤– ١١٠٣ ق . م) حملته على عيلام في فصل الصيف وتحديداً في شهر تموز بالاعتماد على نص فأل[٤٥٣] أكد له تحقيق النصر ، وأن الآلهة هي من تسانده لتحقيق ذلك[٤٥٤] ، بحسب وثيقة النصر[٤٥٥]:

(كانت الطرق تستعر كأنها اللهب

لا ماء في المنخفضات ، وقد أنقطع تجهيز الماء

كبتْ حتى أمهر الخيول الأصيلة ،

ودبَّ التعب في ركب أقوى المحاربين

غير أن الملك ، الأبرز ، لم يهنْ ، فالآلهة تسنده ؛

نبوخذنصر يمضي قُدُماً ، لا نظير له ...

حثَّ الملك القدير خطاه ، ليصل إلى ضفة نهر أولايا[٤٥٦])[٤٥٧].

٤٥٣- يشير نص فأل يعود إلى العصر الآشوري الحديث إلى نفس المعنى (أن الآلهة تنبأت بفأل حسن وبشرى خير أرادتها أن تكون على يد "نبوخذنصر") ؛ بهيجة خليل إسماعيل ، سلالة أيسن الثانية ووثيقة النصر للملك نبوخذنصر الأول (موسوعة الجيش والسلاح) ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد : ١٩٨٨) ، ج١ ، ص٢٢٢.

٤٥٤- فاضل عبد الواحد علي ، نبوخذنصر الأول ومعركة الثأر على ضفاف الكرخة (آفاق عربية) ، العدد ٨ ، ١٩٨٢ ، ص١٠١.

٤٥٥- وجدت هذه الوثيقة مدونة على حجر الكودورو ؛ فاضل عبد الواحد علي ، السومريون والأكديون (العراق في التاريخ) ، ص١١٠.

٤٥٦- "اولايا" أو "اولا" هو نهر الكرخة الذي نشبت عنده الحرب بين البابليين والعيلاميين ؛ طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج١ ، ص٥١١.

٤٥٧- ساكز ، البابليون ، ص١٨٧.

أن مقدار شهرة وعظمة نبو خذنصر الأول دفعت بالعراقيين إلى القول بأنه كان رسول للآلهة التي بعثته للانتقام من العيلاميين[458]، وكان إيمان هذا الملك بالآلهة قد دفع به على ما يبدو إلى اصطحاب عراف يدعى "انليل تبني بلوط" في حملته[459]، وهذا يعطينا دليلاً على عظيم إيمان الملك نبو خذنصر الأول بالعرافة وأن الحملة ما كانت أن تتم في فصل الصيف لولا استجلائه رأي الآلهة ، وإن أعظم ما تحقق للبابليين من اوامر الآلهة تمثلت بأوامر صدرت لـ(نبو خذنصر الأول) بشن حملته في شهر تموز هي في استرجاع تمثال الإله مردوخ من منفاه في عيلام الذي استمر طيلة ثلاثين سنة[460]، والفرح بعودته ، جاء لأنه كان مجرد حمل تمثال الإله من قبل الجيش في حملاته الخارجية يُعدْ بذلك الإله غائباً عن المدينة[461] فكيف والحال هذه أن غيابه كان يعود لسرقته من قبل الأعداء؟.

لم يكن تفسير الرؤيا أو طلب الفأل للحصول على امر بشأن تشييد أو إعادة أعمار معبد تأتي بما يرغب به الملك من نتيجة على الدوام كما حصل مع الملك كوديا ؛ فهذا الملك نرام سن[462] قد بلغنا عنه في قصيدة تتحدث عن سقوط أكد[463]على أيدي الكوتيين والتي عرفت بـ"لعنة أكد"[464] أنه شاهد رؤيا أرادَ عقبها استحصال فأل من الإله انليل محاولاً التماس هذا الإله بتغيير ما جاء في الرؤيا لكن

٤٥٨- كلشكوف ، الحياة الروحية في بابل ، ص٩٦.

٤٥٩- فاضل عبد الواحد علي ، سومر أسطورة وملحمة ، ص٧٤.

٤٦٠- بهيجة خليل إسماعيل ، سلالة ايسن الثانية ، ص٢٢٤.

٤٦١- اوتس ، بابل ، ص٢٦٣.

٤٦٢- كان نرام سن (٢٢٩١ – ٢٢٥٥ ق . م) حفيد الملك سرجون الأكدي من أعاظم ملوك السلالة الأكدية وصل بالبلاد إلى ذروة المجد في السياسة والفتوحات العسكرية وقد بلغت سنيّ حكمه قرابة أربعين سنة ؛ عامر سليمان ، الجيش والسلاح في العصر الاكدي (الجيش والسلاح) ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد : ١٩٨٨) ، ص١٢١.

٤٦٣- يرجح أن يكون موقع مدينة اكد قريباً من بغداد أو كيش على رأي ورأي آخر على نهر دجلة قرب بغداد الجديدة ؛ عن هذه الآراء ينظر : ساكز ، البابليون ، ص١٠٢.

٤٦٤- يرجع تاريخ هذه القصيدة إلى حوالي عام (١٨٠٠ ق . م) ؛ حكمت بشير الأسود ، أدب الرثاء في بلاد الرافدين ، ص١٠٦.

دون جدوى[٤٦٥]؛ كانت رؤيا الملك نرام سن تشير إلى فناء ملكه كما جاء في هذه القصيدة :

(قوضت حتى الأرض ، مملكته

وتناثر إرثه هباءً

وفي بيت القمر ، قضي على خزائنه

رأى نرام سن كل هذا في حلمه ،

وأدركه في أعماقه)[٤٦٦].

وهذه الرؤيا تظهر إخطار من الآلهة بأن الملك سيواجه السوء نتيجة أفعاله التي سيقدم عليها في المستقبل ! والعراقي القديم جسد في هذا قدرة الآلهة على قراءة المستقبل وما يخبأه من أمور ؛ وهنا ثمة تساؤل يطرح نفسه مفاده : هل كانت لدى الملك نرام سن (هذا على افتراض صحة اعتدائه فيما بعد على حرم الإله انليل في نُفّر) نية مبيتة لمهاجمة هذا المعبد وأنه قد أخبرَ بنيته هذه الكهنة الذين اقدموا بدورهم على تصوير الإله انليل وهو بموقف الرافض لإعطاء فأل حسن لهذا الملك لما بيته من أمر تدمير معبده ؟ وللجواب نشير إلى أن أثبات هذا الأمر يتطلب أثبات صحة ما جاء في القصيدة التي كتبت بعد مدة طويلة من تاريخ زوال الأكديين (٢٣٧١ – ٢٢٣٠ ق . م) عن الساحة السياسية ، وفي حال صحة أثبات ذلك سيمكننا القول : من أن بعض الكهنة الذين قد يكون الملك نرام سن سرَهم بما يرغب عمله قد تواتر عنهم نقل هذا السر إلى أن وصل إلى أسماع ناظم هذه القصيدة.

٤٦٥- هاري ساكز ، البابليون ، ص١١٢.

٤٦٦- هروشكا وآخرون ، الأساطير في حضارة وادي الرافدين (ترجمة عن الرقم الطينية) ، ص٣٦.

عموماً ، حاول الملك نرام سن درء ما بيته الحلم من شرور لمُلكهِ فبادر إلى استقراء الفأل ، للحصول على ما يرغب به من جواب لكن دون جدوى :

(في حرم ايكور المقدس ، سأل العرافة ،

هل يمكن بناء معبد ، لم ترد العرافة ،

سأل ثانية ، العرافة في الحرم ،

هل يسمح له بناء معبد ، لم تجب العرافة)[٤٦٧].

ولهذا أقدم نرام سن على نهب مدينة نُفّر المقدسة وانتهاك حرمة الإله انليل وسرقة محتويات معبده[٤٦٨]، مما أدى إلى أثارة حفيظة وغضب الإله انليل الذي قام بالقضاء على الإمبراطورية الاكدية[٤٦٩] ، وهنا نلحظ أن بطلان مفعول العرافة جاء أمام إرادة الآلهة التي أساء إليها الملك نرام سن فيما بعد.

كانت تلبية رغبات الآلهة من قبل الملك والتي تصله عن طريق الأحلام أو الرؤى أو العرافة من بين واجبات الملك المهمة تجاه هذه الآلهة التي توجب عليه تلبيتها بلا أدنى تأخير[٤٧٠]؛ فإلى جانب مهامه في ضمان تدفق المياه في قنوات الري لضمان ديمومة الإنتاج الزراعي كان تشييد المعابد أو تعميرها في صلب مهامه[٤٧١] وقد أتصف ملوك وحكام عراقيين قُدامى بتشييد المعابد أو تعميرها وفي

---

[٤٦٧]- بوهسلاف هروشكا وآخرون ، الأساطير في حضارة وادي الرافدين (ترجمة عن الرقم الطينية) ، تر : عصام عبد اللطيف احمد ، بيت الحكمة ، (بغداد : ٢٠٠٦) ، ص٣٧.

[٤٦٨]- اوتس ، بابل تاريخ مصور ، ص٦٣.

3- Satterfield , Bruce , Ancient of Mesopotamian Temple Building In Historical Texts And Building Inscriptions , (Brigham Young University – Idaho) , p6.

[٤٧٠]- عامر سليمان ، العراق في التاريخ القديم ، ج٢ ، ص٣٥.

[٤٧١]- وولي ، وادي الرافدين مهد الحضارة ، تر : احمد عبد الباقي ، دار الكتاب العربي ، (ب . ط : ١٩٤٨) ، ص٥٨.

طليعتهم كوديا انسي لكش إذ أشارت ترتيلتان[٤٧٢] حملتهما اسطوانتين[٤٧٣] تركهما هذا الحاكم إلى تلقيه توجيهات من قبل الإله ننكرسو لأعمار معبده اي نينو:

(في ذلك اليوم ، رأى ربه ليلاً في الرؤيا ،

أمره ننكرسو أن يعمر البيت ،

وأطلعه على ناموس انينوا الأعظم الخير

ولكن مقاصد ننكرسو كانت غامضة)[٤٧٤].

وكان تفسير معنى الرؤيا التي رآها تتطلب منه استشارة الإلهة نانشة إذ كان على ما يبدو من الصعوبة الوصول إليها وطلب تفسيرها للحلم الذي يراه الشخص إلا بوساطة آلهة أخرى ، وهذا ما لمسناه من رجوع كوديا إلى الإله ننكرسو ومن ثم توجهه إلى الإلهة كاتمدوك[٤٧٥] آملاً في تدخلهما لدى الإلهة نانشة ، كي تعطف عليه وتفسر له حلمه، فمما جاء بمخاطبته للأول قوله: **(أترغب أختك ، ....الملكة المفسرة لدى الآلهة ، أترغب إلهتي نانشة أن تضع القدم في قاربها ؟)**[٤٧٦]. وكأن هذا النص أراد أن يخبرنا أن عدم رغبة الإلهة نانشة بتفسير الحلم كان لعدم وجودها

---

[٤٧٢]- التراتيل أناشيد وقد عثرَ على أعداد جيدة منها مدونة باللغتين السومرية والبابلية وكانت تهدف أساساً إلى تعظيم وتمجيد الآلهة ؛فاضل عبد الواحد علي ، سومر أسطورة وملحمة ، ص٢٨٦ ؛ والتراتيل كانت أساسا سعت إلى توجيه الكهنة والناس العاديين بما يجب عيهم أن يظهروه تجاه آلهتهم ؛ كيبرا ، كتبوا على الطين ، ص١٣١.

[٤٧٣]- يعود تاريخ أسطوانات كوديا إلى ما بين (٢٢٥٠ – ٢١٠٠ ق . م) ؛ صموئيل نوح كريمر ، الأدب السومري أقدم القصص في تاريخ البشرية ، (حضارة وادي الرافدين سومر – آشور – بابل سبعة آلاف سنة من الفن والحضارة) ، تر : قاسم مطر التميمي ، (بغداد : ٢٠١٠) ، ص١٤٦ ؛وقد صنعت هاتين الأسطوانتان من الطين وقد عرفت الأولى بالرمز (A) والثانية بالرمز (B) ولتسمية الترتيلة التي ضمتها الأسطوانة الأولى بتسمية الأنشودة الوسطى لبناء معبد ننكرسو والثانية بالأنشودة النهائية تم الاستدلال على وجود اسطوانة ثالثة هي الأولى من حيث التسلسل قد فقدت ؛ فاضل عبد الواحد علي ، عن كودية وتفسير رؤياه في النصوص السومرية ، ص ص٥١ – ٥٢.

[٤٧٤]- كريمر، طقوس الجنس المقدس عند السومريين ، ص٣٦ .

[٤٧٥]- إلهة مدينة لكش وليس لإسمها معنى واضح إلا أنه بالقياس على بيّنة أخرى يفترض إنها إلهة لتوليد النساء ؛ ينظر : جاكوبسن ، أديان ما بين النهرين ، ص١٨٢.

[٤٧٦]- مورتكات ، تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص١١١.

في مدينتها ، في حين فاتح كوديا الإلهة كاتمدوك – Katmduk بشأن رغبته بالحصول على تفسير لرؤياه من قبل الإلهة نانشة ومما جاء في هذا الأمر قوله :**(خير أريدُ التكلم ، سأطرح هذه الكلمات ، أمي سأسرد لها حلمي ، أترغب مفسرة الأحلام ... أن تفسره لي)**[٤٧٧]؛ عقب ذلك نال كوديا مبتغاه بحصوله على تفسير الإلهة نانشة لحلمه : **(يا راعي ، أنا ، منامك سأفسر)**[٤٧٨] ؛ وعلى الرغم من استشاراته ، إلا أن في نفس كوديا ما يسعى إلى معرفته بصورة أكثر تأكيد ؛ فحصل له ما أراد في حلم آخر وفيه الإله ننكرسو يأمره :

(عندما تضع يدك على بيتي ،

البيت الأول في جميع البلاد ،

ذراع لكش اليمنى ،

تلك التي تزأر كطائر الأمدوكود في كبد السماء

ألأنينو ، بيتي الملكي ،

أيها الراعي الأمين ، كوديا ، عندما تضع يدك الأمينة من أجلي

عندئذ أدعو السماء لكي تمطر ،

وينزل الفيض إليك من السماء ،

وينعم الناس بهذا الفيض

بتأسيس بيتي ، سوف يأتي الفيض ،

٤٧٧- مورتكات ، تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص١١٢.
٤٧٨- كريمر ، طقوس الجنس المقدس عند السومريين ، ص٤٢.

الحقول الفسيحة سوف يطول زرعها من أجلك ،

الأقنية سوف تفيض عن حوافيها من أجلك)[٤٧٩].

أما الخطوة التالية التي أعقبت امر الإله ننكرسو لكوديا بتعمير معبده مقابل ضمان الخصب والنماء لأرض لكش فتمثلت بأخبار شعبه بما شاهده في أحلامه لغرض توجيههم بتقسيم العمل وجلب ما يحتاجه هذا العمل من مواد بناء عن طريق استيرادها من الخارج[٤٨٠] ، وبما أن الملك كانت له وظائف إدارية وكهنوتية ، وهو مبعوث الإله ومنفذ رسالته ومن يمثل الإله روحياً على الأرض[٤٨١] ، لذا نرى أن انقياد الشعب بصورة كلية وعن طريق العمل المجاني (السخرة) كان على ما يبدو لقناعتهم بأن ما يقومون به من عمل هو تنفيذ لمشيئة الإله[٤٨٢]؛ وقد تأكد لنا قيام كوديا بإنجاز ما أوصى به الإله ننكرسو من تعمير معبد اي نينو ، وذلك من نص دون على صنارة[٤٨٣] يعود تاريخ تدوينه إلى عهد حكم هذا الإنسي جاء فيه :

(الإله ننكرسو ، المحارب القوي ، للإله انليل ، ملكه ، كوديا ، أمير (حاكم) ، لمدينة لكش ، صنع كل شيء لائق ، معبده الـ ايننوا[٤٨٤](الخمسين) (المسمى الطائر الفضي اللامع) ، بنى (له)، أعاد (له) مكانته)[٤٨٥].

٤٧٩- المصدر نفسه ، ص٤٦.

٤٨٠- جاكوبسن وآخرون ، ما قبل الفلسفة ، ص٢٢٦.

٤٨١- فيصل عبد الله وعيد مرعي ، المدخل إلى تاريخ الحضارة ، ص٩٥.

٤٨٢- استمرت ظاهرة أعمار وتشييد المعابد بدعوى توجيه الآلهة بذلك إلى منتصف الألف الأول قبل الميلاد مع أحداث تغيير عليها يتمثل بإلحاق القصور الملكية بهذا التوجيه فجاء في نص لـ(نبوخذنصر) ملك بابل ما يشير إلى عمله بنصح الإله بشأن بناء قصره إذ يقول : **(كل ذلك بأمر من سلطانك يا مرشد الآلهة ، يا مردوخ) ؛** روبرت كولديفاي ، القلاع الملكية في بابل ، تر : نوال خورشيد سعيد ، المؤسسة العامة للآثار والتراث ، ج١، (بغداد : ١٩٨٥) ، ص٣٨.

٤٨٣- تعددت المفاهيم المتعلقة بلفظة أو تسمية صنارة إلا أن المراد منها في هذا الموضع هو الشيء المتحكم بفتح أو غلق الباب ؛ سعاد عائد الحامد ، الكتابات المسمارية المنشورة وغير المنشورة على صنارات الأبواب ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (الموصل : ٢٠٠٣) ، ص ص٤ – ٥.

٤٨٤- لم يعد لهذا المبنى من أثر في التاريخ المعاصر ، جورج رو ، العراق القديم ، ص٢٣١.

٤٨٥- سعاد عائد الحامد ، الكتابات المسمارية ، ص٧١.

لم تكن الاوامر التي وجهت لكوديا تقف عند بناء المعبد فحسب ، بل بلغت درجة أن حددت طبيعة وشكل البناء[٤٨٦] ، وكذلك استشارة الفأل بشأن أول آجرة[٤٨٧]، لتحديد يوم حسن لصنعها ، وقد عُدت الطابوقة الجيدة دليلاً على رضا الإله والملك كلاهما للآخر[٤٨٨] :

(وضربَ على القالب، وجلبَ الآجر إلى النور وأشرق الإله الشمس سروراً على الآجر الذي وضعه (كوديا) في القالب)[٤٨٩].

ونخلص مما تقدم أن الملك كوديا وجدَ في العامل الديني سبيلاً للتعويض عن عدم المقدرة على خوض معارك مميزة ضد الكوتيين ، التي شكلت دويلة لكش ، أحدى نقاط التمرد على سلطتهم[٤٩٠].

إن المعتقد الديني قد جعل من الملك وسيطاً بين البشر والإله ، والتنبؤ بشر محدق بالملك يعني أمرين مهمين : الأول ، أن وجود هذا الملك سيجلب الدمار لكل البلاد ، والأمر الثاني ، بتعرضه للأذى سيفصم عُرى الوساطة بين البشر والإله[٤٩١]، لذا كثرت نصوص الفأل والتنجيم التي توجه بوجود مخاطر تحيق بحياة

٤٨٦- البيديل ، سحر الأساطير دراسة في الأسطورة (التاريخ . الحياة) ، تر : حسان ميخائيل اسحق ، ط٢ ، دار علاء الدين ، (دمشق : ٢٠٠٨) ، ص١٤١.

٤٨٧- هناك رأي يشير إلى أن تشييد المعابد كان يتم باستخدام اللبن دون الآجر وذلك للحفاظ على المآثر الدينية القديمة إذ أن أول معبد تم تشييده كان باستخدام اللبن ؛ طه باقر ، معابد العراق القديم ، ص٢٥.

٤٨٨- سامي سعيد الأحمد ، الإدارة ونظام الحكم ، حضارة العراق ، ص١٦.

٤٨٩- ساكز ، عظمة بابل ، ص٤٢١.

٤٩٠- فوزي رشيد ، السياسة والدين في العراق القديم ، دائرة الشؤون الثقافية والنشر ، (بغداد : ١٩٨٣) ، ص٣٦؛ وقد عُرف عن كوديا توجيهه حملة عسكرية ضد دولة اشنان :

Gadd , C . J , A . B , The Early dynasties of Sumer and Akkad ,Harrison and Sons Ltd , (London : 1921), p32.

٤٩١ - علي ياسين الجبوري ، نظام الحكم (موسوعة الموصل الحضارية) ، المجلد الأول ، دار الكتب للطباعة والنشر ، (الموصل ١٩٩١) ، ص٢٣٩.

الملك ، بحسب ما جاء في نص فأل بابلي قديم : **(وريث الملك سوف يقتل والده ويجلس على العرش)**[٤٩٢] و **(الوزير سوف يجلس على عرش سيده)**[٤٩٣].

أما نصوص التنجيم فجاء فيها :

(إذا كانت الشمس في موقع القمر سيكون ملك البلاد آمناً

على العرش وإذا كانت الشمس فوق القمر أو تحته

فستكون أسس العرش آمنة وسيقف ملك البلاد بعد آلهته وإذا

كانت الشمس والقمر غير مرئية ، فسيوسع الملك الأذان)[٤٩٤].

هذه النصوص وغيرها التي تشير إلى المخاطر التي تعتري حياة الملك كانت تستلزم منه درئها فهلاك الملك ليس بالأمر الهين ؛ كونه بديلاً عن الآلهة في حكم البشر[٤٩٥] ، وأن توقف سعادة واستقرار الشعب على سلامة الملك كانت تستلزم درء الشر عن الملك عند إشارة الفأل إلى وجود خطر يهدده[٤٩٦] ، وأن هلاكه سيكون سبباً في هبوط مناسيب الأنهار ، وذبول المزروعات واصفرارها[٤٩٧] ، ومن بين أوجه اتقاء الفؤول الشريرة التي في حقيقتها مشورة من الآلهة بوجود ما يسبب هلاك الملك صلاة مرفوعة إلى الإله نابو – Nabû يتلوها الملك عوضاً عن شعبه كون الشعب

٤٩٢- سامي سعيد الأحمد ، العراق القديم ، ج٢ ، ص٢٣٠.

٤٩٣ - المصدر نفسه والصفحة.

٤٩٤ - ساكز ، عظمة بابل ، ص٥٢٥.

٤٩٥- فاضل عبد الواحد علي ، "البديل" في طقوس السحر عند البابليين ، الموقف الثقافي ،العدد ٥ ، (١٩٩٦) ، ص١٣.

٤٩٦- ساكز ، عظمة بابل ، ص٤١٦.

٤٩٧- حكمت بشير الأسود ، أدب الرثاء في بلاد الرافدين ، ص١٦٥.

أول المتضررين من هلاك الملك أن حصل يدعوه فيها إلى إصدار أمر باستمرار حياته وأطالتها:

(أنا (معرض) للنهب (أو) أو القتل الذي عقوبته كبيرة

أنا من هو كئيب جداً مضطرب ، ذو جسم مريض جداً ،

بحيث واجهتني المحرمات (و) الألم ، أنا أنحني لك ،

لقد غطاني المرض من السحر والعرافة ...

ايه أيها السيد ، حكيم الآلهة ، أصدر أمراً من فمك الطيب ،

ايه نابو ، حكيم الآلهة ، لعلي أعيش بفمك)[٤٩٨].

وكان طقس الملك البديل أشهر صيغة لدرء الخطر عن الملك ؛ وطقس الملك البديل الشاربوخي– Šar–puhi كان وسيلة ابتدعها العراقيون القُدامى لحماية الملك من الشرور إذ تتم فدية الملك بفدية بشرية تتم أما في عيد الاكيتو – Akitu[٤٩٩] أو عند تسجيل أول فأل نحس[٥٠٠] وبشكل عام هناك حادثتان موثقتان عن ممارسة طقس الملك البديل الأولى في العصر البابلي القديم في عهد ملك ايسن ايرا ايميتي – Era–Emiti (١٨٦٨ – ١٨٦١ ق . م) الذي نصب بدلاً عنه شخص يعمل بستانياً يدعى انليل باني – Anli – Bani ليغتصب الملوكية منه ويستمر فيها قرابة

٤٩٨- ساكز ، عظمة بابل ، ص٣٦٥.

٤٩٩- الاكيتو لفظة أختلف في أصلها أن كانت سومرية أو بابلية أو حتى غريبة عنهما مع ميل لردها إلى أصل سومري وقد استخدمت للإشارة إلى عيد ربما يقام لاستنزال المطر بطرق سحرية وأول ذكر لهذه الصيغة جاء في النصوص المسمارية العائدة إلى النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد ؛ راجحة خضر عباس النعيمي، الأعياد في حضارة بلاد وادي الرافدين ، ص ص٦١ – ٦٢.

٥٠٠- سامي سعيد الأحمد ، السومريون وتراثهم الحضاري ، ص ص١٢٣ – ١٢٤.

عشرين عاماً (١٨٦٠ – ١٨٣٧ ق . م)[٥٠١] والثانية في عهد الملك الآشوري أسرحدون (٦٨٠ – ٦٦٩ ق . م)[٥٠٢].

وكان التخلص من الملك الشرعي أو تصفية مناوئيه أحد أمرين أُريد من ممارسة طقس الملك البديل تحقيقه[٥٠٣]؛ لذا أن الاوامر المتعلقة بحياة الملك الصادرة عن الآلهة للبشر والتي تنقل من قبل الكهنة[٥٠٤] إلى الملك وما تتطلبه من اختفاء الملك قد تم تطويعها بما يخدم مصالح الكهنة ويجعل يدهم هي العليا بالتخلص من ملك قوي أو مناوئ لتطلعاتهم مقابل تنصيب ملك ضعيف أو مُلبي على أقل تقدير لما يدور في خلدهم من تطلعات[٥٠٥].

وهناك اوامر صدرت من قبل إله لإنسان معين تجيء بخلاف رغبات أو توجهات إله أو آلهة أخرى ؛ وأولى هذه الاوامر ما طالعتنا به قصة الطوفان البابلية وبطلها اتراحاسيس مع التأكيد على أن ثمة تشابه في المضمون ما بينها وبين ملحمة الطوفان السومرية التي أدى دور البطولة فيها زيوسدرا واللوح الحادي عشر من ملحمة كلكامش وقد أدى فيها اوتونبشتم دور البطولة ، إلا أن ملحمة اتراحاسيس سيتم اعتمادها في حديثنا لتكاملها إذ جاء في هذه الملحمة انه بعد مرور الف ومائتي سنة من خلق الإنسان من قبل الآلهة بادر الإله انليل بعرض فكرة على

---

[٥٠١]- طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج١ ، ص٤٥١.

[٥٠٢]- شهدت أواخر سني حكم الملك اسرحدون اختيار ملكاً بديلاً عن الملك الشرعي بموجب قراءة فال أكدت وجود خطر محدق بالملك ؛ رياض عبد الرحمن أمين الدوري ، آشور بانيبال سيرته ومنجزاته ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد : ٢٠٠١) ، ص٥٨.

[٥٠٣]- علي ياسين الجبوري ، نظام الحكم (موسوعة الموصل الحضارية) ، ص٢٤٠.

[٥٠٤]- تنفي الباحثة ستيفاني دالي وجود كهنة ناطقين باسم الآلهة في مناطق جنوب العراق واقتصار ذلك على أطراف دويلة ماري وغربيها ؛ ماري وكارانا (مدينتان بابليتان قديمتان) ، ص٢٠١.

[٥٠٥]- علي ياسين الجبوري ، نظام الحكم (موسوعة الموصل الحضارية) ، ص٢٠.

مجلس الآلهة تقضي بإفناء البشر وذلك للضجيج الذي صدر عنهم ، ويبدو ثمة تشابه في الأسباب التي حدت بالإله انليل إلى إهلاك البشر وبين دعوة آلهة العماء إلى إهلاك الآلهة الأولى كما جاء في قصة الخليقة البابلية[٥٠٦] ، إلا أن اللافت للنظر في طلب الإله انليل إفناء البشر بحجة الضجيج إن هذا الإله يُعد أشبه بآلهة العماء الأولى التي كانت تميل بطبيعتها إلى الهدوء والسكينة وتفسيرنا لذلك يكمن في أن العراقي القديم عللَ المصائب التي قادت إلى فناء عدد كبير من البشر بأنها جاءت لتقصيره في العبادات ، وليس للضجيج الصادر عن نشاطه في أعمار الأرض التي تصب في خدمة الآلهة ؛ لأنها توفر لهم الطعام وغير ذلك ، مما تشتمل عليه القرابين ، بدليل أن الإلهة مامي خاطبت الآلهة الانوناكي بقولها :

(لقد حررتكم من عملكم الشاق ،

وفرضتُ حِملكم على الإنسان

وقد منحتم الضجيج للجنس البشري)[٥٠٧].

كان أول امر دعا إليه الإله انليل وقد عرضه على مجلس الآلهة يتمثل بتسليط الوباء على البشر بغية إفناء البشرية :

([عندما سمع انليل] ضجيجهم

[توجّه إلى] الآلهة – العظام (قائلاً) :

أنا لم أعد أستطيع النوم [وسط هذا الضـ[جيج!

---

[٥٠٦] - فاضل عبد الواحد علي ، الطوفان ، ص٥٧.

[٥٠٧] - دالي ، أساطير من بلاد ما بين النهرين ، ص٣٨.

[أصدروا إذن أوامركم] لكي يصيبهم الوباء)[٥٠٨].

ويتبين من هذا أن الأوبئة أو الأمراض[٥٠٩] بصورة عامة كانت أمراً يعكر صفو حياة العراقيين إذا ما أخذنا بالحسبان أن الأساطير كانت صدى لواقع الحال الذي تعيشه المجتمعات وأن من بين الأسباب التي دعت إلى ابتكار العراقي القديم للإله الشخصي[٥١٠] في الألف الثاني قبل الميلاد انتشار الأمراض[٥١١] وبدءاً من طلب الإله انليل ، يبدأ الإله (انكي/ايا) بإصدار سلسلة اوامر لتمكين البشر من درء مخاطر ما دعا إليه الإله انليل الرامية إلى إبادة البشر وهذه الأوامر تأتي بعد كل محاولة إبادة يتعرض لها البشر وكانت الأحلام هي الآلية المتبعة في استلام طلبات استغاثة اتراحاسيس والرد عليها كما يفيدنا النص التالي الذي يتحدث عن اتراحاسيس:

(كان يعير [انتباهاً] لأحلامه

وفي مقام إلهه [كان دوماً] ،

يبقى [خائر القوى (؟)] يبكي...)[٥١٢].

فجاء في أول امر صدر منه تجاه البشر لمواجهة خطر الوباء الذي أوعز به الإله انليل بناء على رجاء رفعه إليه حكيم قومه اتراحاسيس[٥١٣] قوله :

---

٥٠٨ - قاسم الشواف ، ديوان الأساطير ، ج٢ ، ص٢٥٠.

٥٠٩ - كانت إحدى أسوأ ما يواجهه البشر مرض الطاعون كونه يعمل على إنقاص أعدادهم ؛ ينظر :
Finkelstein , J , J , Mesopotamian Historiography , Vol 107 , No 6 , p472.

٥١٠ - كان لانشغال الآلهة كالحكام الدنيويين بالتزاماتهم الكثيرة أثراً في أبتداع السومري القديم للإله الشخصي الذي بفضله يتم التوسط ما بين الإنسان وآلهته لتحصيل ما تصبو إليه نفسه ؛ كريمر ، السومريون ، ص ص١٦٧ – ١٦٨.

٥١١ - سامي سعيد الأحمد ، المعتقدات الدينية في العراق القديم ، ص١٠.

٥١٢ - قاسم الشواف ، ديوان الأساطير ، ج٢ ، ص٢٥٦.

٥١٣ - كريمر ، اساطير العالم القديم (أساطير سومر واكاد) ، ص١٠٤؛ وللمزيد عن إجراءات الإله انليل لإبادة البشر وموقف الإله انكي من ذلك ينظر :

(أدعُ الراشدين ، الأكبر سناً من الرجال !

أبدأ [تمرداً] في منزلك بالذات ،

لتُعلن البشائر ...

ليُحدثوا ضجيجاً عالياً في الأرض :

لا تُوقّر آلـهتك ،

لا تُصلّي لإلـهاتك ،

بل أبحثوا عن دار نمتار

وأحضروا لـه رغيفاً من الخبز

ولتصله قرابين الطحين ،

وليخجل من الهدايا

ويغسل "يد"ـه)[٥١٤].

ونستشف من النص أن هذا الامر جاء بالضد من طلب الإله انليل الذي عزمَ فيه أمره بإفناء البشر وأن امر الإله (انكي/ايا) جاء لضرب صميم الآلـهة فهي دعوة واضحة للتمرد ! بحرمان الآلـهة من القرابين والعبادة في حين أن خلق الإنسان جاء لتحقيق إطعام الآلـهة وإيوائها[٥١٥] بمعنى تشييد المعابد وعدم عبادتها كما جاء في

Shea , William h , Articles Acomparison Of narrative Elements In Ancient Mesopotamian Creation – FWG (1 – 9) , (Michigan) , p9.

٥١٤ - دالي ، أساطير من بلاد ما بين النهرين ، ص٤١.
٥١٥ - كريمر ، الديانة السومرية اللاهوت والطقس والأسطورة (موسوعة تاريخ الأديان) ، ج٢ ، ص١٩٧.

النص يشير بشكل أو بآخر إلى عدم تشييد معابد لها أما اختيار الإله نمتار بالتقديس والعبادة والتوقير فهذا واضح عن كونه إلهاً للمصير[٥١٦].

أما الطلب الآخر الذي عرضه الإله انليل على الآلهة لإفناء البشر بعد أقل من ألف ومائتي سنة من حادثة الوباء السالفة الذكر فكان بتسليط المجاعة :

(أقطعوا على الناس غذاءهم !

وليشح الزرع فلا يسد جوعهم !

وليحرمهم ادد مَطَرَه

وفي الأعماق (؟) لا تدعوا المياه تفيض من الينابيع

ولتهب الريح ، وتُجرد الأرض مما عليها ،

ولتتكّثف الغيوم (ولكن) لا تسقط نقطة مطر ،

ولتقل غِلال الحقول)[٥١٧].

وقد استمر الحال لمدة ست سنوات ، مجاعة كبيرة جعلت البشر يأكلون لحوم بعضهم الآخر[٥١٨] وتشير الحقائق التاريخية الواردة في أسطورة اتراحاسيس النسخة الآشورية إلى أن الناس بادروا إلى بيع الأمهات والأبناء لتلافي عسر المجاعة[٥١٩] قبل أن يستجيب الإله (انكي/ايا) لرجاء اتراحاسيس بتوجيه الامر له :

(لا توقروا إلهكم (آلهتكم) !

---

٥١٦ - عن صفة الإله نمتار ؛ ينظر : كريمر ، أساطير العالم القديم (اساطير سومر واكاد) ، ص١٠٢.
٥١٧ - دالي ، أساطير من بلاد ما بين النهرين ، ص٤٣.
٥١٨ - ساكز ، عظمة بابل ، ص٤٦١؛ كذلك : كريمر ، أساطير سومر واكاد ، ص١٠٤.
٥١٩ - فاضل عبد الواحد علي ، الطوفان ، هامش رقم (٦٣) ، ص٦١ ؛ كذلك : لابات ، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين ، ص٨٦.

ولا تصلّوا لإلهتكم !

ابحثوا عن دار ادد ،

واحضروا له رغيفاً من الخبز

ولتصله قرابين الطحين

وليخجل من الهدايا ويغسل "يد"ه)[٥٢٠].

اتصف الإله ادد بكونه مفزعاً بزوابعه وبرقه وملهم الأرض نباتها بماء مطره حتى لُقب بـ"أمل الغلة الكثيرة"[٥٢١] فكان توجههم إليه من دون الآلهة طلباً للمطر الذي يعني نقيض الجفاف، وذات الأمر نقيض الجدب والتيبس ، فكان خلاصهم به[٥٢٢]؛ وقد كتب الخلاص للبشر بأن جعل الإله (انكي/ايا) المياه تتدفق من المحيط السفلي لإرواء الأراضي والتخلص من الجفاف.

أما الأجراء الأخير الذي أتخذه أنليل لإفناء البشر بالاشتراك مع باقي الآلهة ، فكان يتمثل بالطوفان ، وهو إجراء قد تم تداوله في قصة الطوفان السومرية واللوح الحادي عشر من ملحمة كلكامش فضلاً عن قصة الطوفان البابلية محل دراستنا

---

٥٢٠ - دالي ، أساطير من بلاد ما بين النهرين ، ص٤٣.

٥٢١ - باتيرو ، الديانة عند البابليين ، ص٥٤.

٥٢٢ - يشير الأستاذ فاضل عبد الواحد علي إلى أن خلاص البشر من الجفاف جاء بإطلاقه المياه **(من المحيط السفلي لإرواء الأرض وتخليص الناس من الجفاف)** ؛ الأدب ، (حضارة العراق) ، ج١ ، ص٣٣٣؛ إلا أننا بالرجوع إلى القصة ذاتها نجد النص ينسب إلى الإله انليل قوله موجهاً كلامه للآلهة :

([أسقـ]ـطَ ادد من جديد أمطاره
وعادت [الخضرة] لإكساء الحقول
بينما كانت [السماء (؟)]تغطيها
الغيوم المحملة بالماء!) ؛ قاسم الشواف ، ديوان الأساطير ، ج٢ ، ص٢٥٩.

والتي وصفت قرار الآلهة بتسليط الطوفان[٥٢٣] بأنه إجراء مؤذٍ وقد اتخذته الآلهة عقوبة للإنسان تحت إلحاح الإله انليل[٥٢٤] :

(اتخذ الآلهة عند ذلك قرارهم النهائي :

قرار مؤذٍ أراده انليل لهلاك البشر)[٥٢٥].

وكعادته يبادر الإله (انكي/ايا) إلى مساعدة بطل الطوفان اتراحاسيس بموجب امر يسهل له الخلاص من خطر الطوفان :

(يا جدار أستمع إلي !

يا جدار القصب أنتبه إلى كلماتي !

هّدم بيتك وأبن سفينة

أنبذ المال وأنقذ النفس)[٥٢٦].

وقد تضمنت الاوامر الموجهة لرجل الطوفان تحميلها بالبشر والحيوانات والمؤن[٥٢٧] وهو ما ضمن للبشرية استمرارها بفضل الإله (انكي/ايا) على الرغم من كون هذه الاوامر وتلك كانت بخلاف ما يصدر عن الآلهة وعلى رأسهم الإله انليل من دعوات لإفناء البشر والأسطورة بالمحصلة كانت صدى لظواهر طبيعية وصعاب

---

٥٢٣ - تتوحد الأساطير السومرية والبابلية والتوراتية بشأن سبب الطوفان بأنه عقاب إلهي بحق البشر لإفسادهم في الأرض وفي جميع هذه القصص كان من ينجو هو رجل واحد مع أفراد عائلته وحيواناته ؛ علي الشوك ، الأساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة ، دار اللام ، (لندن : ١٩٨٧) ، ص١٠٥.

٥٢٤ - ساكز ، عظمة بابل ، ص٤٦١.

٥٢٥ - قاسم الشواف ، ديوان الأساطير ، ج٢ ، ص٢٦١.

٥٢٦ - فاضل عبد الواحد علي ، الطوفان ، ص١٥١؛ وينظر :

Battenfield , James . R , Atra – Hasis : A : Survey , GTJ , (race : 1971) , p12.

٥٢٧ - فاضل عبد الواحد علي ، الأدب (حضارة العراق) ، ج١، ص٣٣٥.

عاشها الإنسان في العراق هي الأمراض والأوبئة والمجاعة ومن ثم الغرق نتيجة ارتفاع مناسيب مياه الأنهر.

وخاتمة قصة الخليقة البابلية نصت على امر للإنسان صادر من الإله (انكي/ايا) بتقديس الأسماء الخمسين التي أعطيت للإله مردوخ والتغني بفضائل هذا الإله مما يعكس حالة التآلف بين الآلهة حسب معتقدات العراقيين القدماء :

(فلتبق (هذه الأسماء) مذكورة ، وليعلمها الأول ،

فليتأمل فيها الحكيم والعارف معا

فليرددها الأب ، وليعلمها لأبنائه ،

فلتكن آذان الراعي وصاحب القطيع مفتوحة (لها)

فليبتهج الإنسان بـ "مردوخ" ، "إنليل" الآلهة ،

حتى تثمر أرضه ، وتطيب له

معتمدةُ كلمتهُ ، لا يتغير أمره ،

ما من إله ، مهما بلغ ، يستطيع أن يغير كلمة فمه

يتطلع إلى الأمام ، ولا يدير رقبته ،

حين يكون مغيظاً ، فما من إله يتحمل سخطه

قلبه لا يُسبر غوره ، شفيق فكره ،

الخطاء والأثيم بغيضان عنده

الوصايا التي تكلم بها شخص قديم أمامه (؟))[٥٢٨].

أن مكافئة مجمع الآلهة للإله مردوخ برئاسة المجمع لقاء انتصاره على الإلهة تيامت[٥٢٩] كانت وراء الامر الوارد في هذا النص الذي يؤكد على ضرورة تواصل الإنسان مع الإله مردوخ وذكره له لضمان الخصب وأن تقديس هذا الإله يظهر لنا أولاً : عظيم المهمة التي أضطلع بها في نزاله لتيامت ، وتحقيقه النصر عليها ، في حين تقاعس آلهة آخرون عن ذلك ، وثانياً : أن نص الأمر هذا هو في حقيقته ضمن مساع البابليين لإعلاء شأن إلههم.

---

٥٢٨ - هايدل ، سفر التكوين البابلي ، ص٩٠.

٥٢٩ - إي . أي . سبيزر ، حضارة وادي الرافدين نور لا يخبو ، تر : كاظم سعد الدين ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد : ٢٠٠٤) ، ص٦٦.

الفصل الرابع

مشورة ونصائح وأوامر الإنسان للإنسان

مشورة الإنسان للإنسان

نصائح الإنسان للإنسان

أوامر الإنسان للإنسان

مشورة الإنسان للإنسان

تتضح المشورة السياسية الداخلية في الربع الأول من الألف الثالث قبل الميلاد الذي شهد انعقاد أول مجلس شورى في التاريخ[٥٣٠] ، وكان هذا المجلس يضم مجلسي المدينة : الأعيان، ويمثل الشيوخ ، والنواب ، ويمثل القادرين على حمل السلاح ، تم انعقاده للاختيار بين السلم ، أو الحرب ، وكان لأحداث حاكم الوركاء كلكامش وحاكم كيش اكا ، فاعليتها في الكشف عن انعقاد هذا المجلس[٥٣١]، وعن أقدم صراع بين دويلات المدن السومرية[٥٣٢] ، وقد وصف أعضاء مجلس المسنين في مدينة الوركاء بأنهم مستشارين ، وكانوا يمثلون كبار الأسر الموجودة، وفي هذه الحادثة التاريخية ، أستشار كلكامش هذا المجلس بشأن حربه مع اكا[٥٣٣] حاكم كيش ، عارضاً مشورته أولاً : **(علينا ألا نذعن لبيت "كيش" ولنحارب بالسلاح)**[٥٣٤] ، فكان رأيهم على الضد من ذلك : **(ولنذعن لبيت "كيش" ولا نضربه بالسلاح)**[٥٣٥] ، إلا أن عزم كلكامش لم يتوقف فتوجه إلى استشارة مجلس المحاربين[٥٣٦] ، فكان جوابهم له :

(كلا ! علينا ألا نخضع لمعبد كيش

---

٥٣٠ - ميخائيل مسعود ، سجيع الجبيلي ، <u>الحضارات بين الصراع والحوار</u> ، ص٤٢.

٥٣١ - فيصل عبد الله وعيد مرعي ، <u>المدخل إلى تاريخ الحضارة</u> ، ص٢٤٨.

٥٣٢ - سعدون عبد الهادي الأمير ، <u>الأزمات السياسية الداخلية في العراق القديم</u> ، ص١٨.

٥٣٣ - تناولت هذه الحرب ملحمة كلكامش واكا والتي يعود تاريخ تدوينها إلى النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد ؛ طه باقر ، <u>ملحمة كلكامش</u> ، ص١٩١.

٥٣٤ - كريمر ، <u>من ألواح سومر</u> ، ص٨٦.

٥٣٥ - كريمر ، <u>السومريون</u> ، ص٢٥٩.

٥٣٦ - ساكز ، <u>عظمة بابل</u> ، ص٥٩.

ولنضرب بسلاحنا !")[٥٣٧].

وهنا تمثلت براعة الملك ، باستمالته الطبقات الشعبية إلى جانبه ، تخلصاً من سطوة مجلس الشيوخ ، الذين لابد وأنهم ، كانوا يرغبون في ملك يعمل طوع توجيهاتهم ، فكان مجلس المحاربين سبيله إلى تحقيق ما يصبو إليه[٥٣٨] ، وقد يتبادر للذهن أكثر من سؤال ، كيف تسنى لكلكامش ، الأخذ بمشورة مجلس المحاربين من دون مشورة مجلس الشيوخ ؟ هل كان التضاد بين المشورتين يعني أخذ الحاكم أو الملك ما يحلو له من رأي ؟ أم أن الأخذ بمشورة المحاربين الشباب يأتي لأنهم هم من ستقع عليهم متاعب المواجهة من قتال وغيره؟ ، ولا يمكننا الإجابة عنها في ظل شحة المعلومات الحالية عن هذه المجالس ، إلا أن الرأي الراجح ، كان للمحاربين الشباب ، الذي يأتي منسجماً مع طموحات الشباب في تطلعهم لإنجازات تخلدهم ، أو تشعرهم بفاعليتهم ، وكان كلكامش قد وعى ذلك ، بدليل توجهه إليهم طالباً مشورتهم أولاً ، والأخذ بهذه المشورة ثانياً.

وكان على كلكامش في ظل رفضه التبعية لدويلة كيش ، ومشورة المحاربين له بالمنازلة، أن يستعد للقتال[٥٣٩] ، لينتهي به المطاف بالصلح مع اكا[٥٤٠] ، إلا أن انتقال الحكم عقب هذه الواقعة ، من كيش إلى الوركاء ، جاء بعد هزيمة كيش في حربها هذه[٥٤١] ، بدلالة أسر ملكها: **(في قلب اوروك ، أصبح اكا سجيناً مع**

---

٥٣٧ - قاسم الشواف ، ديوان الأساطير (الموت والبعث والحياة الأبدية) ، ج٤ ، ص٤٨٣.

٥٣٨ - دياكونوف ، ظهور الدولة الاستبدادية في العراق القديم ، (العراق القديمدراسة تحليلية لأحواله الأقتصادية والأجتماعية)، جماعة من علماء الآثار السوفيت ، تر وتعليق سليم طه التكريتي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد : ١٩٧٦) ، ص٢٨٧.

٥٣٩ - فراس السواح ، جلجامش ملحمة الرافدين الخالدة ، دار علاء الدين ، ط٢ ، (دمشق : ٢٠٠٢) ، ص٦٩.

٥٤٠ - كريمر ، من ألواح سومر ، ص٨٥ ؛ كذلك المؤلف نفسه ، السومريون ، ص٢٥٨.

٥٤١ - سامي سعيد الأحمد ، السومريون وتراثهم الحضاري ، ص٧٧.

جيشه)[٥٤٢] ، مما يمكن عّدهُ بالقرار المستقبلي من قبل المحاربين ، باتخاذهم قرار الحرب ، وليس الاستسلام .

إن المهارة السياسية ، والحربية ؛ كانت سمة من سمات كلكامش ، والتي دفعت باتجاه نسج الأساطير عن بطولاته ، أدت بدورها إلى أن تنحو دويلات المدن السومرية منحى جديد في نظرتها إلى الحكم ، إذ تم الانتقال بالحكم من صيغة الزعيم الديني ، إلى الزعيم الدنيوي ؛ فحاجتهم باتت ماسة إلى رجل السياسة ، والحرب ، لا رجل الدين وطقوسه[٥٤٣]، وهنا نتساءل قائلين ، لو اكتفى كلكامش بمشورة مجلس الشيوخ هل تحققت لنظام الحكم نقلته النوعية التي اشرنا إليها ؟ ، وبصيغة أخرى ، لو لم تكن مشورة مجلس المحاربين لكلكامش بالتصدي لـ(اكا) حاكم كيش وقتاله ، هل كان قد تحقق التغيير في نمط الحكم من مفهومه الديني إلى المفهوم السياسي ، الذي يضع حداً فاصلاً بين المؤسستين الدينية والسياسية ؟ ، والجواب يؤكده ، الاعتراف بحقيقة إن التغيير حالة تراكمية تمر بها الأجيال ، وليست وليدة اللحظة ، إلا أن واقعة كلكامش واكا قد سارعت نحو حصول هذا التغيير.

وفي ملحمة كلكامش يلحظ أن شيوخ الوركاء بعد أن قدموا مشورتهم إلى كلكامش عند سفره مع انكيدو ، بما يحفظ سلامته ، وأكدوا له بأنهم من سيقوم بإدارة المدينة في ظل غيابه[٥٤٤]:

(كي نعتمد نحن عليك ملكاً في مجلسنا ،

---

٥٤٢ - قاسم الشواف ، ديوان الأساطير ، ج٤ ، ص٤٨٩.

٥٤٣ - فوزي رشيد ، السياسة والدين في العراق القديم ، ص١٤.

٥٤٤- دياكونوف و ترافيموف ، جماليات ملحمة كلكامش ، ص٤٢.

وأنت بدورك كملكٍ تعتمد علينا من جديد)[٥٤٥].

وليكون هذا الموقف من قبل مجلس الشيوخ حقاً من حقوقه ، قد تسنى له ممارسته ، والذي لابد وأن تأثيره كان كبيراً ، فيما يتعلق بتمشية متطلبات إدارة شؤون دويلة المدينة الداخلية ، بكل ما تعنيه من تعقيدات حياتية ، ومن دون أن يغيب عن بالنا ، أن رحلة كلكامش كانت لمكان بعيد وفي ظل وسائط نقل بسيطة.

وكان إعلان الحرب ، وتحديد موعد خوض المعركة ، أمراً يخضع لمشورة المعنيين بذلك، بحسب الدلائل المتوافرة ، ففي ملحمة كلكامش استشار كلكامش كلا مجلسي المدينة ، في حين صدرت عن ساعده الأيمن انكيدو[٥٤٦] ما يخالف تطلعاته بالتوجه إلى غابة الأرز ، بتوجيه المشورة لمجلسي المدينة بعدم الرضوخ لما دعا إليه كلكامش قائلاً :

(انكيدو [وجه] كلمة للشيوخ

ولشبان اوروك الذين يعرفون [القتال] :

"قولوا له أن لا يذهب إلى غابة الأرز ،

فتلك رحلة يجب أن لا تتم وذلك رجل [يجب أن لا] ينظر إليه ،

فمن يحرس غابة الأرز بعيد [المنال].

إن خمبابا صوته طوفان

٥٤٥- دالي ، أساطير من بلاد ما بين النهرين ، ص٩٠.

٥٤٦- وجود شخصية انكيدو في الملحمة حمل معنى رمزي يشير إلى انتقال من حياة التصحر إلى مناطق تنتشر فيها المراعي عند سفوح الجبال ؛ احمد بشار جمعة ، فكرة الصراع في الأساطير والملاحم العراقية القديمة (٣٠٠٠ – ٢٠٠٠ ق . م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة واسط : ٢٠١١) ، ص ص١١٧ – ١١٨.

فمه لهب ، نفسه موت ،

[إنه يسمع] حفيف الغابة [على بعد ستين ساعة مضاعفة] ،

[فمن يدخل] غابته ؟

[إن الإله ادد يأتي أولاً ، وخمبابا] ثانياً.

[من يواجهه] من آلهة الإيجيجي؟

[من أجل حراسة الأرز]

قرر له الإله انليل أن يرعب البشر

إنك إذا دخلت غابته ستمسك بالرجفة")[٥٤٧].

وكان لكلمات المشورة التي أسداها انكيدو فعلها في نفوس شيوخ ، وشبان الوركاء ، فنراهم قائلين: **(أنت (لا تزال) صغيراً يا كلكامش وحملك قلبك بعيداً)**[٥٤٨] ، إلا أن إصرار كلكامش كان أكبر من أن ينكفئ بفعل كلمات شيوخ الوركاء أو شبابها ، فحافزه كان بالبحث عن عمل يخلده بعد مماته[٥٤٩]، وأمام إصراره كان جواب مجلس الشيوخ مشورتهم الآتية له :

(دع انكيدو يسير أمامك ،

فهو يعرف طريق غابة الصنوبر

هو قادر على مراقبة القتال

---

[٥٤٧]- نائل حنون ، ملحمة جلجامش ، ص ص١٠٥ – ١٠٦.

[٥٤٨]- سامي سعيد الأحمد ، كلكامش ، ص١٣٧.

[٥٤٩]- فراس السواح ، جلجامش ملحمة الرافدين الخالدة ، ص٤٢.

وإصدار التعليمات في المعركة

دع انكيدو يحمي الصديق ، ويُبقي الرفيق سالماً ،

عُدْ به شخصاً سالِماً للعرائس)[٥٥٠].

وإذا ما علمنا بأن الجيوش السومرية كان يقودها ويتصدر طلائعها الملك[٥٥١] ، تضعنا هذه المشورة أمام حالة نادرة ! فكيف لكلكامش أن يتخلى لانكيدو عن قيادة الجيش وتوجيه الأوامر ؟ حتى مع القول بأنه قد خبر الطريق ، وله قدرة إصدار التعليمات ، بحسب الملحمة التي تذكر مشورة انكيدو لكلكامش :

(يا صديقي لقد علمت حينما كنت أجول

في التلال والبراري الواسعة مع حيوان البر

أن الغابة تمتد مسافة عشرة آلاف ساعة في كل جهة

فمن يجروء على الإيغال في داخلها

وخمبابا زئيره عُباب الطوفان

تنبعث من فمه النار ، ونفسه الموت الزؤام

فعلامَ ترغب في القيام بهذا الأمر

"خمبابا" لا قبل لأحد بهجومه مثل ماكنة الحصار)[٥٥٢].

٥٥٠- دالي ، أساطير من بلاد ما بين النهرين ، ص٩٠.

٥٥١- دولابورت ، بلاد ما بين النهرين ، ص٧٨.

٥٥٢- طه باقر ، ملحمة كلكامش ، ص٩٦.

ثم أننا في باقي الحالات التي يتصدر فيها الملوك المعركة ، لا يمكننا الجزم بعدم وجود من هم أجدر منهم معرفة ودراية بالحرب إلا أنهم لم يتخلوا عن القيادة لسبب مهم ؛ يتمثل بكونهم نواب عن الآلهة ينفذون مشيئتها وبالنتيجة أن نصرهم رفعة لهم وعلو شأنهم بين أفراد شعبهم.

ولم تقتصر شواهد استشارة البشر في الشأن العسكري على مجالس المدن ، بل نلحظ أن توجيه الحملات العسكرية كانت من بين ما تتطلبه استشارة الآلهة بشأنها ، لذا نلاحظ أن من بين صنوف الجيش صنف العرافة ، الذي إلى جانب أهميته في الكشف عن نتيجة المعركة ، يتيح للجيش معرفة ما يخفيه الأعداء من أسرار تتعلق بخططهم القتالية ، ورجل الدين هو من توحي إليه الآلهة برغبتها بشن الحرب(٥٥٣) ، والرجوع إلى رجال الدين واستشارتهم في مسألة تحديد موعد خوض المعارك ناشئ عن الأيمان بقدرة الآلهة على صنع النصر(٥٥٤) : **(سوف يقوم المتكهنون بالتفكير ملياً بالتكهنات وبموجب مظهر التكهن المبشر بالخير فأن ١٥٠ رجلاً سوف يخرجون و ١٥٠ رجلاً سوف يدخلون)**(٥٥٥).

وكان تحديد يوم المعركة يتناسب وفصول السنة الملائمة للحرب ، وهو ما ينسب إلى الإله تحديده(٥٥٦) ، والجيش لا يمكنه شن الهجوم ما لم يكن قد حصل على أذن من قراء الفأل(٥٥٧)، والعراف البارو هو على وجه التحديد من يستشيره الملك لتحديد موعد

٥٥٣- فاضل عبد الواحد علي وعامر سليمان ، عادات وتقاليد الشعوب القديمة ، ص١٢٢.

٥٥٤- فاضل عبد الواحد علي ، من سومر إلى التوراة ، ص٨٩.

٥٥٥- ساكز ، الحياة اليومية ، ص٨٩.

٥٥٦- كونتينيو ، الحياة اليومية ، ص٢٥١.

٥٥٧- المصدر نفسه ، ص٢٥٦.

الحملة[558] ، وهذا العراف يبقى ملازماً للجيش يسير أمامه[559].

وكانت ثمة متممات للجهد العسكري وبدونها قد لا يكون النصر أمراً متاحاً للجيوش المتحاربة ، ومن بين ذلك يقف الجهد الاستخباراتي في المقدمة ، ويمكننا الاستدلال على وجود هذا الجهد ، وأن لم يكن بصورة معلنة ، في ملحمة كلكامش ، إذ يطالعنا أحد نصوص الملحمة بالمشورة الآتية التي صدرت عن انكيدو قبل توجههما إلى غابة الارز التي يحرسها خمبابا Humbaba وفيها دلالة على أهمية الحصول على المعلومات التي تخص جيش العدو قبل قتاله :

(قولوا له لا يذهب الى غابة الأرز ،

فتلك رحلة يجب أن لا تتم

وذلك رجل [يجب أن لا] ينظر إليه ،

فمن يحرس غابة الأرز بعيد [المنال]

أن خمبابا صوته طوفان

فمه لهب ، نفسه موت ،

[إنه يسمع] حفيف الغابة [على بعد ستين ساعة مضاعفة] ،

[فمن يدخل] غابته ؟

[إن الإله ادد يأتي أولا ، وخمبابا] ثانيا

٥٥٨- فاضل عبد الواحد علي ، من سومر إلى التوراة ، ص٨٠.

٥٥٩- سامي سعيد الأحمد ، الجيش والسلاح في العصر البابلي القديم (الجيش والسلاح) ، دار الحرية ، (بغداد : ١٩٨٨) ، ج١ ، ص١٩٦.

[من يواجهه] من آلهة الإيجيجي ؟

[من اجل حراسة الأرز]

قرر له الإله أن يرعب البشر

انك إذا دخلت غابته ستمسك بالرجفة)[٥٦٠].

ويبدو أن تصوير الملحمة لكلكامش وهو عاجز عن معرفة ما لدى العدو من قوة لدى مخاطبته لشباب مدينته :

(بقوتي سأسلك الطريق إلى مقر خمبابا ،

سأواجه نزالاً لا أعرفه ،

[سأسلك] طريقاً [لا أعرفه] ،

باركوني عند ذهابي)[٥٦١].

ناشئ عن أن بلاد الرافدين قبل عام (٢٤٠٠ ق . م) لم تشهد انفتاحاً وتوسعاً كالذي شهدته أيام الحكم الأكدي ، ومن أعقبه بفرضهم السيطرة على كل بلاد الرافدين ، ومدهم النفوذ إلى ما يجاورهم من بلدان[٥٦٢] ، ومن ثم عدم وجود ما يسوغ الرغبة بتقصي ما للأقوام المجاورة من واقع تعيشه.

ونلحظ أن مشورة مجلس المحاربين لكلكامش لدى عزمه مقاتلة اكا حاكم اراتا لم تصدر عن هوى وكبرياء وإنما جاءت عن علم بأن جيش اكا كان صغيراً ، وليس بالقوة اللازمة :

٥٦٠- نائل حنون ، ملحمة كلكامش ، ص ص١٠٥- ١٠٦.
٥٦١- المصدر نفسه ، ص١٠٥.
٥٦٢- جورج رو ، العراق القديم ، ص٢٠١.

(أيها الفاتح ، الأمير الذي يحبه آن ،

من الذي يخشى مقدم [اكا]

الجيش صغير ، مؤخرته تترنح

رجاله لا يرفعون عيونهم إلى الأعلى)[٥٦٣].

وهذا على ما يبدو ، هو الذي برر لمجلس المحاربين اتخاذهم لهذا الموقف هذا أولاً ، ومن جهة أخرى يؤكد حقيقة أن هناك جهد استخباري قد تم القيام به ، وعلى أقل تقدير لدى قيام هذا الجيش بالتوسع داخل بلاد الرافدين قبل إطباقه الحصار على الوركاء.

والمشورة في الجانب الاجتماعي حثت على أتباع قيم نبيلة ، تهدف إلى : بلورة مجتمع متماسك تارة ، أو تعزيز قيم تسهم في تعزيز قدرة الإنسان على العيش في حياة كريمة ملؤها التقدم والرقي تارة أخرى ، ومن بين ما تطالعنا به النصوص المتعلقة بهذا الأمر ، نص يدعو إلى الوحدة ، وعدم التفرق : **(إذا بقيّ أحد وحيداً ، فهو لا (يستطيع الانتصار ، لكن الاثنين ينتصران) : الغرباء (يشتتون قواهم ، الأصدقاء يوحدونها)**[٥٦٤] ، وفي نص آخر ، نرى أن ميزان القوى يتمثل في كثرة الإنجاب للأولاد ، كيف لا ! في مجتمع زراعي ، همه الإنتاج ، وزيادته ، في أوقات السلم ، والحرب ، إلى جانب أهميتهم في زمن الحرب ، باعتبارهم طاقة لمجابهة الأعداء : **(الإكثار من الزوجات أمر يخص المرء نفسه ، ولكن الإكثار من الأولاد أمر يخص الإله)**[٥٦٥] ، وهذه المشورة لا تخلو من أن تكون مصدرها السلطة ، سواء

٥٦٣- كريمر ، طقوس الجنس المقدس ، ص٥٣.

٥٦٤- لابات ، المعتقدات الدينية ، ص٢٠٤.

٥٦٥- طه باقر ، مقدمة في أدب العراق القديم ، ص١٩٦.

كانت ممثلة بالمعبد، أو القصر ، والغاية كما مر بنا ؛ لضمان الزيادة العددية ، التي لا تقل أهمية عن القوة ، والشجاعة، في مجابهة جيوش الأعداء.

وفي الجوانب الحضارية الاخرى ، تطالعنا أحدى النصوص الدالة على المشورة مؤكدةً حقيقة وعي العراقي القديم ، وأن لم يسمي ذلك لمسببات الحضارة ، ومكنوناتها ، فهذا كلكامش يدعو الصياد الذي أخبره بأمر انكيدو ذي الهيأة المتوحشة، إلى أن يصطحب معه مومساً ، لترويض انكيدو ، وليتخلى عن بربريته ، وتهجره حيوانات البر الوحشية :

(انطلق يا صيادي واصطحب معك بغيا مومسا

وحينما يأتي إلى مورد الماء لسقي الحيوان

دعها تخلع ثيابها وتكشف عن مفاتن جسمها وعورتها

فإذا ما رآها اقترب منها وانجذب إليها

وعندئذ ستنكره حيواناته التي ربيت معه في البرية)[٥٦٦].

كانت المومس هي من أقنعت انكيدو بالذهاب معه إلى مدينة الوركاء ، واصفة له روعة المدينة، مثيرة في نفسه شوق للقاء كلكامش[٥٦٧] ، وإذا ما جردنا النص من المغزى الجنسي الظاهر ، نجد العراقي القديم ، وقد أسند إلى المرأة دوراً حضارياً كبيراً ، لعله يشير إلى قدرة المرأة على حث زوجها ، أو أبنائها ، على الاستقرار ، ومغادرة حياة التجوال ، التي يتصف بها البدو الرحل عموماً.

٥٦٦- طه باقر ، ملحمة كلكامش ، ص٨٢.

٥٦٧- ساكز ، الحياة اليومية ، ص١٣٤.

وأن هذا النصح بسلوك حياة الاستقرار والتمدن[٥٦٨] ، قد كافأته هذه الشريحة من المجتمع: بالعرفان ، والتقدير ، وهذا ما نستدل عليه من نص في الملحمة ، جاء على لسان انكيدو :

(تعالي يا "شمخة" لأقرر مصيرك

إن لساني الذي لعنك سوف يباركك)[٥٦٩].

إن وقوع الحانات المخصصة لشرب الخمر ، خارج المدن ، وعلى مفترقات الطرق ، ومجاري الأنهار ، جعل منها مركزا لإرشاد الناس ، وتوجيههم ، كما حصل مع صاحبة الحانة سيدوري في ملحمة كلكامش[٥٧٠] التي وجهت مشورتها له بقولها :

(يا كلكامش لم يعبر البحر قبلك أحد

أجل ! أن "شمش" القدير يعبر البحر حقاً

ولكن من غير شمش يستطيع عبوره ؟

أن عبوره شاق عسير

وما عساك ستصنع لما تبلغ مياه الموت العميقة ؟

ولكن كلكامش هناك "أور – شنابي" ملاح اوتو – نبشتم"

وعنده صور الحجر وها هو الآن في الغابة يقتطف النبات

٥٦٨- على الرغم من أن الاقتصاد زراعياً اتصفت حياة الإنسان بالمدنية ؛ وولي ، وادي الرافدين ، ص٥١.

٥٦٩- فاضل عبد الواحد علي ، سومر أسطورة وملحمة ، ص٢١٢.

٥٧٠- وليد الجادر ، المنتديات العامة وصناعة الأغذية في وادي الرافدين القديم ، آفاق عربية ، العدد ١٠ ، ١٩٨٦، ص٧٥.

فعسى أن تراه عيناك

وإذا أمكنك فأعبر بصحبته وإلا فعُد إلى وطنك)[٥٧١].

ومما تقدم نلحظ ثمة سؤال يطرح نفسه ، هل كان توجه كلكامش إلى الحانة للسؤال عن الطريق إلى اوتونبشتم هو من باب الصدفة؟ أم أن الحانة كانت بمثابة نادياً اجتماعياً يجلس فيه علية القوم مما جعلها مقصداً لكل طالب مشورة ؟ ، ويبدو لنا أن قصده الحانة لم يكن امراً اعتباطيا وأنها كانت أشبه ما يكون بنادٍ اجتماعي تقصده مختلف شرائح المجتمع.

وفي الجانب الديني ولانشغال الآلهة الكبيرة عن الإنسان بإدارة شؤون الكون العظمى[٥٧٢] كان لابد من وسيط بينه وبين الأرباب ، ممن تتاح له فرصة محادثة هذه الآلهة ، فُيستمع إليه ، ويجيبوا على ما يقول[٥٧٣]، فكان الإله الشخصي ، هذا الوسيط والذي يُعد من الآلهة الثانوية[٥٧٤].

ولم يكن السومري يتصور إمكانية نيل الاستجابة من لدن الآلهة الكبيرة ، دونما إله شخصي[٥٧٥]، وكان الإله الشخصي ، بمثابة ملجئ للإنسان ، يطلعه على نوازع نفسه وهمومه[٥٧٦]، وفي الألف الثاني قبل الميلاد ، عُدَ الإله الشخصي ، قادراً من القضاء على المردة ، أو الشياطين ، التي تهاجم الفرد الموكل بحمايته ، فإن

٥٧١- طه باقر ، ملحمة كلكامش ، ص ص١٣٨ – ١٣٩.

٥٧٢- ولاء مهدي، الجوانب الفلسفية ، ص٦٣.

٥٧٣- كريمر ، الديانة السومرية (موسوعة تاريخ الأديان) ، ص١٩٩.

٥٧٤- كلشكوف ، الحياة الروحية ، ص٤٥.

٥٧٥- اندريه بارو ، سومر فنونها وحضارتها ، تر : عيسى سلمان و سليم طه التكريتي ، (بغداد : ١٩٧٩) ، ص٢٨٤.

٥٧٦- كريمر ، من ألواح سومر ، ص١٩٧.

تمكن الشيطان منه فذاك ؛ لأن الإله الشخصي في حالة زعل ، أو غضب من هذا الفرد(٥٧٧)، والإله الشخصي وحده فقط هو من كان بمثابة الأب ، والأم ، من الإنسان(٥٧٨)،كما دلت على ذلك أسماء الأشخاص **(إلهي ، حقاً أبي)**(٥٧٩)، وأن إله الأب ، هو إله الابن(٥٨٠) ، ويعني هذا الأمر بوجوب طاعة الابن لأبيه ، لأنه تلقى إلهه الخاص من جسد والده ، لذا كان الخضوع لسلطة الأب خضوع لسلطة الإله(٥٨١)، وعلى هذا الأساس ، كان الإله الشخصي من بين ما تضمنته مشورة الإنسان للإنسان فنطالع في نص(٥٨٢) :

(كل يوم عظّم إلهك :

أكرمه بما يليق به بتقديم القرابين وإقامة الصلاة(٥٨٣)

أمام إلهك أحفظ قلبك نقياً ،

كما هو لائق ومناسب بالنسبة للآلهة ،

٥٧٧- جاكوبسن وآخرون ، ما قبل الفلسفة ، ص٢٥٢.

٥٧٨- المصدر نفسه ، ص ص٢٤٠ – ٢٤١ ؛ وينظر : كلشكوف ، الحياة الروحية ، ص٤٦.

٥٧٩- دولابورت ، بلاد ما بين النهرين ، ص١٨٥.

٥٨٠- كلشكوف ، الحياة الروحية ، ص٤٦.

٥٨١- أ . س . ميغوليفسكي ، أسرار الآلهة والديانات ، تر : حسان مخائيل اسحق ، دار علاء الدين ، ط٣ ، (دمشق : ٢٠٠٧) ، ص٢٩.

٥٨٢- هذا النص أو ما يشابهه يعود إلى الثلث الأخير من الألف الثاني وقد ورد على لسان حكيم أو أب لتلميذه أو ولده ؛ ينظر قاسم الشواف ، ديوان الأساطير ، ج٣ ، ص٣٥٥ و ص٣٦٠.

٥٨٣- الصلاة تهدف إلى طلب رحمة الآلهة ولدى السومريين كانت تتم بتلاوة ترانيم وقد طورت لدى البابليين بأن صار لها شكل يدل عليه رفع اليد أو تصعيد الأنين مع استعمال آلة المزمار الموسيقية ؛ باتيرو ، الديانة ، ص ص١٤٤ – ١٤٥ ؛ ولا يستبعد أن تكون أحدى صور الصلاة تعفير الجبين بالتراب أي السجود إذا ما أخذنا بترجمة النص الوارد نفسه في كتاب الأستاذ دولابورت : (وتعفير الجبين أمامه ، فيبيح لك كنوزه) ؛ بلاد ما بين النهرين ، ص١٨٧.

الصلاة ، والدعاء ، والابتهال ،

تقيمها كل صباح ،

وسوف يكافئك الإله بالغنى ...

إن الخوف (من الإله) يولد رضاه

وتقديم القرابين يطيل الحياة ويمدها ...)[٥٨٤].

وكان في كل بيت تمثال صغير للإله الشخصي يقدم إليه رب الدار القرابين كل يوم[٥٨٥]، لقدرة هذا الإله على تحقيق النتائج الناجمة عن فعل قوى فوقية خارجة عن قدرات وإمكانات الإنسان[٥٨٦] ، فهي كما جاء في النص أعلاه ، مسؤولة حتى عن إطالة العمر ، وفي نص آخر ، جاءت المشورة بإعلاء شأن الإله الشخصي كونه مسؤولاً عن توفير العيش للإنسان ونصرته في معاركه ، لذا دأب الإنسان على نصح الآخرين بالتمسك بإلههم الشخصي كما في النص الآتي :

(ليس بمقدور الإنسان ، بلا إله (شخصي) ،

أن يكسب خبزه ،

ولا بمقدور الفتى أن يحرك ذراعه ببطولة في المعركة)[٥٨٧].

---

[٥٨٤]- باتيرو ، الديانة عند البابليين ، ص ص١٢٤ – ١٢٥.

[٥٨٥]- جاكوبسن ، ما قبل الفلسفة ، ص٢٤٢.

[٥٨٦]- اسامة عدنان يحيى ، عصر الآلهة (دراسة في أساطير وادي الرافدين) ، مكتبة مصر ودار المرتضى ، (بغداد : ٢٠٠٩) ، ص٢٢٣.

[٥٨٧]- جاكوبسن وآخرون ، ما قبل الفلسفة ، ص٢٤١.

وإلى الإله الشخصي ، عزت مشورة أخرى هي سلامة البدن : **(من لا آلهة حارسة له، يعذب وجع الرأس جسده ، ومن لا آلهة تحميه يمزق لحمه كأن بخنجر)**[٥٨٨] ، وحاجة الإنسان إلى الإله الشخصي ، لم تمنع القول بأنه – أي الإله الشخصي – بحاجة إلى صاحبه :

(لِمَ قد أهملتني ؟

من ذا الذي يأتيك بواحد يحل محلي ؟)[٥٨٩].

ويبدو أن ذلك فيه دلالة على مقدار التزام هذا الشخص بمشورة وتوجيه الآخرين ، بتقديم القرابين، إلى جانب الصلوات ، وغيرها من صور الطاعة للإله الشخصي ؛ لكي يحصل على مبتغاه بما يريد من نصح وإرشاد من إلهه الشخصي كما ورد في ملحمة كلكامش ما نصه :

(ليرافقك إلهك الشخصي

ليجعلك (تسلك) الطريق (الحسن)

حتى (عودتك) إلى مرسى اوروك – الساحة – الكبيرة)[٥٩٠].

ولم تخلو قراءة الفأل من ذكر للإله الشخصي وتوجيه المشورة لصاحب هذا الإله بضرورة أن يراعي إلهه لئلا يهجره ومن ذلك نستنتج أن لكثرة حاجات الإنسان ، وتمنياته ، وتخوفه ، تأثير في تقريب مفهوم الإله الشخصي ، ليكون حاضراً ، جالساً ، إلى جانب صاحبه، غير متعال في السموات ، أو متوارٍ عنه في أعماق الأرض

٥٨٨- شمار ، المسؤولية الجزائية ، ص٥٧.

٥٨٩- جاكوبسن وآخرون ، ما قبل الفلسفة ، ص٢٤٣.

٥٩٠- لابات ، المعتقدات الدينية ، ص١٨٧.

أو المياه ، إلا أن تعظيم الآلهة سواء كان الإله الشخصي أم الآلهة الأخرى ، التي يتقرب إليها بوساطة هذا الإله ، لا يعني بالضرورة أن الإنسان سينال ما يصبو إليه حتماً ، بل قد يصادف ما لا طاقة له على تحمله ، من مشاق ، وهذا ما دلت عليه قصيدة العدل الإلهي[٥٩١] ، إذ يبادر هذا التقي إلى استشارة صديق له يتصف بالحكمة ورجاحة العقل بشأن توصله إلى قرار شخصي يقضي بترك التعبد للآلهة ، فكان جواب الصديق الحكيم مخالفة لنوايا هذا العابد اليائس :

(لقد تخليت عن الحق وهزأت بنوايا الإله !

ورغبت في داخلك أن تتوقف عن ممارسة الطقوس الإلهية ،

و[في داخلك] نسيت الأنظمة الحقيقية

لاحتفالات الآلهة

مقاصد الإله [هي بعيدة عنا] كما هي

بعيدة أعماق السموات ،

لا يسعنا أن نسمع ما يخرج من فم الآلهة

ويبقى [البشر] عاجزين عن فهمها تماماً ،

أفكار (الآلهة) تبقى متعذّرة على البشر])[٥٩٢].

وتبيّنَ أن ما صدر عن المعذب هو تعبير عن شعور هذا الإنسان من أن الآلهة ليس لها تأثير في إرادة الإنسان ، وإرادات الكائنات الأخرى[٥٩٣] ، إلى جانب إظهار أن

---

[٥٩١]- يعود تاريخ تدوين هذه القصيدة إلى الألف الثاني قبل الميلاد ؛ لابات ، المعتقدات الدينية ، ص٣٨٢.

[٥٩٢]- قاسم الشواف ، ديوان الأساطير ، ج٢ ، ص٤٥٦.

التقيد الصارم بأوامر ، ونواهي الآلهة ، وطاعتها ، لا يضمن للإنسان أن يتلقى ما يظنه من خير[٥٩٤] ، وهنا جاءت مشورة الحكيم للمعذب التقي لتصحح له مسار فهمه للآلهة بتأكيده على أن فهم الآلهة ، وأفكارها، متعذر على البشر ، والرضوخ لها أسلم لمن يرغب تجنب غضبها.

وفي الجانب الديني أيضاً نرى ان الملوك قد اتخذوا منحى ينم عن مكانة المعابد ، وقدسيتها لهم ، بأن دعوا من يخلفهم في المُلّك أن يبادر إلى تعمير المعبد من دون أن تُغفل المشورة عن مسألة إعادة أسماء من سبق أن بادروا إلى ترميم هذا المعبد من الملوك في موضعها وهذا ما نطالعه في لوح صغير من الذهب ، يعود إلى الملك الآشوري توكلتي ننورتا الأول (١٢٤٤ – ١٢٠٨ ق .م) :

(وذات يوم زدت البناء ، أنا توكولتي – نينورتا وال للإله بيل[٥٩٥] ، كاهن الإله آشور ، بعشرين طبقة أخرى . وأنا وضعت جسوراً وأبواباً من الخشب ، وأنابيب وأكملت المعبد ، ورتبت غرفة العبادة ووضعت نينتو[٥٩٦] ، سيدتي ، بغبطة وسرور في غرفة عبادتها وجلبت وثائقي ، وحبذا لو يعمر المعبد من بعدي حاكم ويضع كتابة الأسماء في موضعها . ولتتقبل نينتو صلواته)[٥٩٧].

٥٩٣- حسن فاضل جواد ، حكمة الكلدانيين ، القسم الأول (مقدمات ونصوص) ، مراجعة عبد الأمير الأعسم ، بيت الحكمة ، (بغداد : ٢٠٠٠) ، ص٣٦.

٥٩٤- كلشكوف ، الحياة الروحية ، ص١٢٨.

٥٩٥- بيل أحد أسماء الإله مردوخ ؛ بوستغيت ، حضارة العراق وآثاره ، ص١٢٨.
٥٩٦- نينتو إلهة أمومة إليها يرجع خصب الأرض ونماء النباتات وعُدت سيدة الولادة وجاءت هيئتها على شكل امرأة ترضع طفلاً ؛ ثروت عكاشة ، تاريخ الفن ، ج٤ ، ص٦٠.

٥٩٧- فالتر اندريه ، معابد عشتار الحديثة في آشور ، تر : عبد الرزاق كامل الحسن ، المؤسسة العامة للآثار والتراث ، (بغداد : ١٩٨٦) ، ص٦٦.

كانت جدران المعابد على الأغلب تضم آجراً ، دوّنَ عليه اسم المعبد ، واسم الإله واسم الملك الذي أمر بتشييد المعبد ، أو تشريفاً له[٥٩٨] ، وهذه الألواح كانت تدفن مع تماثيل الأسس ، أسفل هذه الجدران ، وهي حجر مستو أو محدب[٥٩٩].

والعدالة في العراق القديم حظيت كباقي المفاهيم الإنسانية، باهتمام الإنسان؛ كونها عاملاً يوطد دعائم حياة الإنسان، ويفرض هيبة الدولة، وكان للمشورة في هذا المجال تأثير واضح في بلورة القوانين، والنظام القضائي، على حد سواء ، وإن كره السومريين التجاوز على حقوقهم الشخصية من أي شخص كان ملكاً ، أم رئيساً، أو مواطناً مساوياً له بالمنزلة ، كان سبباً لأن يكونوا أول من سنّ القوانين ، والشرائع ، ليكون الجميع عارفاً بالواجبات ، والحقوق ، دون لبس ، أو غموض[٦٠٠] ، وتتجلى أولى أشكال المشورة في الجانب القانوني في تصدي مجالس دويلات المدن للممارسات القانونية.

والمحاكم العراقية القديمة ربما أوجدت مستشارين ينوبون عن المتهمين في القضايا الهامة[٦٠١]، ولعل هذا الرأي ينطبق على أعضاء مجلس المدينة من المسنين الذين أصبحوا مستشارين لمجلس القضاة[٦٠٢] ، مع ظهور السلطات المركزية ، بدءاً بالاكديين (٢٣٧٠ – ٢١٦٠ ق . م) ، ولم تعد حتى التسمية "مجالس دويلات المدن" مناسبة ؛ لأن البلاد قد توحدت تحت نظام واحد ، ومن المناسب على ما

٥٩٨- ليونارد وولي ، نبش الماضي ، تر : عزيز العلي العزي ، دار الرشيد ، (بغداد : ١٩٨٢) ، ص٤٢.
٥٩٩- صبحي أنور رشيد ، تماثيل الأسس السومرية ، دار الرشيد ، (بغداد : ١٩٨٠) ، ص٦.

٦٠٠ - كريمر ، السومريون ، ص ص٤ – ٥؛ يعد اوروانمكينا أول من قنن القوانين وهذا يؤكد حقيقة أن السومريين عرفوا القوانين والإصلاحات الاجتماعية قبل عام (٢٥٠٠ ق . م) ؛ فوزي رشيد ، الشرائع العراقية القديمة ، ص٧.

٦٠١ - رالف لنتون ، شجرة الحضارة قصة الإنسان منذ فجر ما قبل التاريخ حتى بداية العصر الحديث ، تر : احمد فخري ، المركز القومي للترجمة ، (القاهرة : ٢٠١٠) ، ج٢ ، ص٢٣٨.

٦٠٢ - سامي سعيد الأحمد ، العراق القديم ، ج٢ ، ص٢٨٧.

يبدو تسميته بـ"مجلس المدينة" ، وللمجلس بحسب ما تقدم مهام تتعلق : بالنظر في قضايا الإدارة المحلية ، والقضايا العقارية، والسلطة القضائية المتعلقة بشؤون الملكية، والعائلة[٦٠٣] ، وعمل المجلس الجديد جعل منه محل استشارة الملوك في الشؤون القانونية ، فإلى بداية الألف الثاني قبل الميلاد جاءنا نص من مدينة "نُفّر" يدلنا بما لا يقبل الشك عن هذا العمل الاستشاري ، إذ قامَ ملك ايسن اور ننورتا (١٩٢٣ – ١٨٩٦ ق . م) بنقل قضية قتل تم استشارته فيها إلى هذا المجلس؛ للتشاور بشأنها، وإصدار الحكم فيها، وبعد سلسلة مشاورات بين تسعة من أعضائه[٦٠٤]، أصدر المجلس حكمه:

("ن" و "ك" الحلاق و "ا" عبد "د" البستاني قتلوا "ك" الكاهن وبعد أن قتل "ك" اخبروا "س" ابنة "ص" زوجة "ك" إن "ك" زوجها قد قتل. "س" ابنة "ص" لم تفتح فاهها وغطتها (القضية) . عرضت قضيتهم أمام الملك في "ايسن" وأمر الملك اور – ننورتا" أن تقبل للمحاكمة في مجلس مدينة نيبور . وخاطب كل من (أسماء تسعة أشخاص) المجلس وقالوا : "أن الرجال الذين قتلوا رجلا لا يحق لهم أن يكونوا رجالا أحياء . أولئك الرجال الثلاثة وتلك المرأة يجب أن يقتلوا أمام كرسي "ك" الكاهن " وخاطب كل من "ش" و "ب" (المجلس) وقالوا : "لعل (س ابنة ص) قد قتلت زوجها ، ولكن ماذا يمكن أن تفعل امرأة في (مثل هذه الحالة) حتى تقتل ؟" وفي مجلس مدينة "نيبور" خاطبهم هكذا : " المرأة التي لا تطيع زوجها قد تعطي معلومات إلى عدوه لعله (يتمكن) من قتل زوجها ولعله (العدو) يخبرها بان زوجها قد قتل فلماذا إذن لا يضطرها على السكوت حوله أنها قتلت زوجها (أكثر

٦٠٣ - أمل مخائيل بشور ، تاريخ الإمبراطوريات السامية ، ص٢١٩.

٦٠٤ - كريمر ، من ألواح سومر ، ص١٢٣.

من غيرها) إن جريمتها اكبر من (جريمتهم) إنهم قتلوا رجلا وفي مجلس "تيبور" دقق الموضوع وسلم كل من "ن" و "ك" الحلاق و"هـ" عبد "د" البستاني و"س" ابنة "ص" زوجة "ك" ليقتلوا، القضية قبلت للمحاكمة في مجلس مدينة "تيبور")[٦٠٥].

وعُرف من مدينة سبار في عهد الملك البابلي حمورابي (١٧٩٢ – ١٧٥٠ ق . م) ، انعقاد مجلس عام يضم كبار الحكام ، والموظفين فيها بين الحين والآخر[٦٠٦] ، وهذه واحدة من صور تبادل المشورة ، ويبدو إن هذا المجلس كان مكاناً لمختلف أنواع النقاشات بشأن مختلف أنواع القضايا المعروضة ، وكان أعضاء مجالس المدن احياناً ، مستشارين لمجلس القضاء الذي يتخذ من بوابة المدينة مكاناً للانعقاد[٦٠٧] ، وأن حق إقرار المواطنة من بين ما يتم استشارة مجلس المدينة بشأنه[٦٠٨] ، وكان إصدار مجلس الشيوخ للأحكام القضائية يأتي انطلاقاً من كونهم مساعدين للحكام المختصين ، أو عن كونهم مستقلين في أحكامهم ، وذلك انطلاقا من مبدأ الأعراف والتقاليد التي يجسدونها[٦٠٩] ، وهذا المبدأ هو ما أستند إليه حمورابي فضلاً عن طبيعة المجتمع ، وأخلاقه ، في ذلك الزمان في سن قانونه[٦١٠].

ومن بين أوجه المشورة القانونية التي لها علاقة بالمجلس، النصح بعدم الاقتراب من مكان تجري فيه مشاجرة ؛ لتجنب استحضاره إلى هذا المجلس طلباً للشهادة بشأن هذا النزاع :

---

٦٠٥ - عامر سليمان ، القانون ، ص١٠٢.

٦٠٦- فيصل عبد الله وعيد مرعي ، المدخل إلى تاريخ الحضارة ، ص١٠٣.

٦٠٧- سامي سعيد الأحمد ، العراق القديم ، ج٢ ، ص٢٨٧.

٦٠٨- شعيب أحمد الحمداني ، قانون حمورابي ، العاتك لصناعة الكتاب ، (بغداد : ١٩٨٩) ، ص٤٠.

٦٠٩- رضا جواد الهاشمي ، القانون والأحوال الشخصية (حضارة العراق) ، دار الحرية للطباعة والنشر ، (بغداد: ١٩٨٥) ، ج٢ ، ص٨٠.

٦١٠- ادون بفن ، أرض النهرين ، تر : انستاس الكرملي بمساعدة لويس مرتين الكرملي ، مطبعة المعارف ، (بغداد : ١٩٦١) ، ص٣٠.

(إياك وكثرة التردد على دار القضاء

وإياك أن تتباطأ في مكان يجري فيه نزاع

لأنهم سيجعلونك طرفا في ذلك النزاع

ويأتون بك شاهدا

ويحضرونك في قضية هي ليست قضيتك

فإذا ما لاقيت نزاعا، سر في طريقك ولا تلتفت إليه أبدا

أما إذا كان النزاع يخصك أنت، فأخمد ناره على الفور

فالنزاع حفرة مخبأة)(٦١١).

وكما في قصة استشارة ملك ايسن اور ننورتا ur – Nnurta، كان من بين أوجه المشورة الأخرى في الجانب القانوني استشارة الملك في المسائل التي تتطلب أحكاماً قضائية ، إذ كان الملك هو القاضي الأعلى في القضايا التي تعرض عليه(٦١٢) ، وإن وجود مساعدين للملك من ذوي الخبرة في مجال العمل القانوني القضائي(٦١٣) ، ربما اعانوه في إصدار حكمه بالقضايا التي تطرح عليه ، وإن وجود مساعدين من ذوي الخبرة القانونية ، لابد أن يترك أمر استشارتهم من قبله تأثيراً على طبيعة الحكم الصادر من قبله ، وإلى جانب ذلك كان القاضي في بابل يجلس إلى جواره اثنين من المشاورين للنظر في القضية ؛ ليكون حكمهم شورى ، وليقل بذلك خطأ القاضي في

٦١١- فاضل عبد الواحد علي ، سومر أسطورة وملحمة ، ص ص٢٧٠.

٦١٢ - سامي سعيد الأحمد ، العراق القديم ، ج١ ، ص٣٤٨.

٦١٣ - عامر سليمان ، القانون ، ص١٣٧.

إصدار الحكم[٦١٤]، وجاء في رسالة مرفوعة من قبل محكمة بابل إلى أحد الحكام :

(هكذا يقول قضاة بابل ... فيما يخص القضية (بين فلان وفلان) لقد دققنا (نظرنا) افاداتهم ومنحناهم الادلاء بحججهم طبقاً لتعليمات (اوامر ملكية) سيدنا)[٦١٥].

والحالات القضائية الصعبة هي من يتم إحالتها من المحاكم الاعتيادية إلى الملك ، وبعض القضايا التي لم يحصل لها نظير في السابق ، وبدوره الملك أما أن يحكم بالقضية ، أو يعطي مشورته ، وتوجيهاته بشأنها[٦١٦] ، وقد تضمن قانون اشنونا[٦١٧] (١٩٠٠ – ١٨٥٠ ق . م) هذا الامتياز إذ جاء في المادة ٤٩ من هذا القانون :

(وزيادة إلى ذلك ؟ (ففي القضايا التي تتضمن غرامة) من ثلثي المنا وإلى المنا الواحد سوف يحاكمون الرجل (المعتدي محاكمة رسمية) والقضية التي تتعلق بالنفس (أي القتل) تحال الى الملك (للنظر فيها)[٦١٨].

وجاء في قصة اتهام عمال خدمات بقبول رشوة قيام الملك حمورابي بالتدخل شخصياً في الموضوع :

(إذا كانت هناك رشوة بالفعل ، أرسل تلك الرشوة (النقود) (فضة) كانت أم مواد أخرى إلي ، وأرسل لي كذلك الرجال الذين يأخذون الرشوة مع الشهود)[٦١٩].

---

[٦١٤] - محمد طه الاعظمي ، حمورابي ، ص١٤٤.

[٦١٥] - المصدر نفسه والصفحة.

[٦١٦] - باتيرو ، بلاد الرافدين ، ص٢١٥.

[٦١٧] - عُرفت هذه القوانين بهذه التسمية نسبة إلى مملكة اشنونا التي ذاع صيتها في نهاية الألف الثالث قبل الميلاد؛ عامر سليمان ، القانون ، ص٢٠٥.

[٦١٨] - فوزي رشيد ، الشرائع العراقية القديمة ، ص٤٩.

وقد أمر الملك بالتحقيق بالموضوع ، ومن ثم إصداره حكماً ؛ كونه حاكماً أعلى ، ومُشّرعاً في الوقت ذاته[٦٢٠] ، وإن استشارة الملك بأمر الحكم يرضى أو لا يرضى به ، لا يشير إلى تدخل الملك في سياقات المحاكمة ، بل يقتصر تدخله على اخذ رأيه في تنفيذ الحكم من عدمه ، وهي تدل لا محالة على قدسية الإنسان ، لدرجة اخذ رأي الملك قبل تنفيذ عقوبة الموت بحق المدان.

ومن أوجه المشورة الأخرى المتعلقة بالقانون ، توصية الملوك لمن يخلفهم الالتزام بالقوانين ، ويأتي في مقدمة هؤلاء الملوك الذين انتهجوا هذا النهج الملك لبت عشتار (١٩٣٤ – ١٩٢٤ ق . م) خامس ملوك سلالة ايسن (٢٠١٧ – ١٧٩٤ ق . م) الذي جاءت مقدمة قانونه توجيهه الناس ، قائلاً بأن الإلهة ننسون والإلهين آنو وانليل قد اختاروه لينشر العدالة ويوطد دعائم الاستقرار في بلاده[٦٢١] ، فيما جاءت خاتمة قوانينه بنصحه عدم تغيير نصوص قانونه أو أن يدعي أحدهم كذباً بأنه هو من وضعها ، بتثبيت اسمه محل أسم الملك لبت عشتار ؛ لأن لعنة الآلهة ستسلط عليه[٦٢٢].

وقد عُرف عن الملك حمورابي كونه دائم التوصية والمشورة لمن يخلفه من الحكام بالالتزام بقوانينه[٦٢٣] ، وقد جاء بهذا الخصوص ما يأتي في خاتمة قوانينه :

(إلى نهاية الزمان ، حتى الأبد ،

---

٦١٩ - محمد طه الأعظمي ، حمورابي ، ص٩٧.

٦٢٠ - كلينغل ، حمورابي ، ص١٢٩.

1- Steele , Francisr , The Code Of Lipit – Ishtar , FAJ , No 2 , (1948) , p5.

٦٢٢ - فوزي رشيد ، الشرائع العراقية القديمة ، ص ص٤٦ – ٤٧.

٦٢٣ - ساكز ، الحياة اليومية ، ص٢١٦.

عسى الملك الذي يظهر في البلاد

أن يتقيد بكلمات العدالة التي كتبتها على مسلتي ،

وعسى أن لا يغير قوانين البلاد التي شرعتها

وأنظمة البلاد التي وضعتها ،

وعسى أن لا يتلف قوانيني .

فإذا نال ذلك المرء إقرار (الآلهة)

وكان قادراً على توطيد العدالة في بلاده

فليتدبر الكلمات التي دونتها على مسلتي ،

ولتريه تلك المسلة الطريق القويم ،

الطريق الذي يسلكه ،

إلى إحكام البلاد التي شرعتها

وقرارات البلاد التي أصدرتها)[٦٢٤].

وهذه الوصية تدل على مشورة تظهر مدى أهمية القانون في توطيد العدالة لا محالة، لأن وجود القانون يُعد أمراً يرشد الحاكم ، ويحمي الرعية[٦٢٥] ، وقد تبع ذلك وصية

٦٢٤ - ساكز ، الحياة اليومية ، ص٢٣١؛ وينظر :

Mack , Rosamond E , THE CODE OF HAMMURABI , Stste Organization of Antiguities and Heritage , (Baghdad – 1979) , pp 44 – 45.

٦٢٥ - سبيزر ، حضارة وادي الرافدين نور لا يخبو ، ص٣٦.

بعدم التجاوز على قانونه، كمحو القوانين ، أو تغيير شرائعه ، أو محو أسمه صاباً اللعنات على من يفعل ذلك :

((و) إذا لم يتدبر ذلك الشخص كلماتي التي كتبتها على مسلتي وتجاهل لعناتي ولم يخشَ لعنات الآلهة ومحا القوانين اللتي شرعتها وأبطل أحكامي وغّير شرائعي ومحا أسمي المكتوب وكتب أسمه (محل أسمي) أو أمر آخر (ليقوم بهذا العمل) بسبب هذه اللعنات عسى أنليل أبو الآلهة الذي دعاني إلى الحكم أن يجرد ذلك الشخص سواء كان ملكاً أو أميراً أو حاكماً أو أي إنسان يحمل لقباً من أبهة الملك ويحطم صولجانه ويلعن طالعه .....)[٦٢٦].

ويبدو أن لكلمات الملك حمورابي وقعها الكبير ، إذ عُرف عن الملك العيلامي شتروك ناخونتي الأول Shutruk Nakhunte 1 (١٢٠٧ – ١١٧١ ق .م) ، الذي قام بسرقة مسلة حمورابي عام (١١٧١ ق . م) أن الخوف قد أصابه عند قراءته للعنات التي سطرها الملك حمورابي لكل من يقوم بمحو معالم هذه المسلة ويكتب اسمه عليها[٦٢٧].

نصائح الإنسان للإنسان

أرجع الفكر العراقي القديم إلى الآلهة قيامها بحثّ البشر على تقديم النصح كما يلاحظ في النص التالي من أسطورة "إنانا وأنكي" وفيه جاء على لسان الإلهة إنانا :

٦٢٦ - فوزي رشيد ، الشرائع العراقية القديمة ، ص١٤٠.

٦٢٧ - بهيجة خليل إسماعيل ، مسلة حمورابي ، ص ١٨.

(فليقدم القدماء نصائحهم

ولتعرض المسنات آراءهن)[٦٢٨].

وهذه إحدى الجوانب الدينية التي صاغها الفكر العراقي القديم وفيها أرّجعَ إلى الآلهة دعوتها الإنسان إلى تقديم النصائح مما يدل على تأصل فكرة تلقي وإسداء النصح في ذات الشخصية العراقية ، وأن ذلك مرجعه حسبما نتوقع عائد إلى صعوبة البيئة العراقية التي كانت تتطلب من إنسانها التكاتف والتآزر لمواجهة تقلباتها ، وأن من أوجه التعاون في هذا الجانب تقديم النصح وكان لسان حال كلكامش خامس ملوك الوركاء في عصر فجر السلالات يدعو إلى الحصول على من يسدي له النصح ، مع ما امتلكه هذا الملك من قوة وجبروت وقد عبر عن هذا نص الملحمة الآتي :

(عسى أن تتحقق (الرؤيا) بمشيئة الإله انليل

فأحصل على صديق يسدي لي النصح)[٦٢٩].

وبدءاً من الجانب السياسي نلاحظ إن أولى أشكال دفاع العراقي القديم عن موطنه تتمثل بإقامة الأسوار[٦٣٠] ، ويبدو أن انعدام الحدود الطبيعية بين دويلة وأخرى[٦٣١] ، كانت سبباً في أن يتم التركيز على تشييد الأسوار التي في مضمونها موانع مصطنعة لصد الأعداء ، وأن بناء الأسوار من بين الأمور التي كانت مجالس دويلات المدن السومرية تناقشها في اجتماعها العام[٦٣٢] ، وكان لدويلات المدن في عصر فجر السلالات ، البالغ عددها ثلاث عشرة دويلة ، أسوار تحيط بها ؛ لحمايتها من الأخطار الخارجية[٦٣٣] ، وكان السور ، وعظيم أهميته قد دلت

---

٦٢٨ - قاسم الشواف ، ديوان الأساطير ، ج٣ ، ص٢١٨.

٦٢٩- فاضل عبد الواحد علي ، سومر أسطورة وملحمة ، ص١٩٣.

٦٣٠- كانت الحصون الدفاعية تزود بأبراج مراقبة ويحيط بالحصن سور خارجي وللسور أبواب معقدة التركيب يصعب اقتحامها ؛ زودن ، مدخل ، ص٩٦؛ واتساع قمة السور وكثرة الأبراج يسهل على المدافعين القيام بالتحشيد اللازم لرد العدو أما الخوف من حصول المجاعة في ظل طول أمد الاحتماء بالسور فتم تلافيها بزيادة مساحة المدن لتهيئة ما يلزم من الأراضي الزراعية داخل السور ؛ غوستاف لوبون ، حضارة بابل وآشور ، تر: محمود خيرت المحامي ، المطبعة العصرية ، (مصر : ١٩٤٧) ، ص ص١١٧ – ١١٨.

٦٣١- ايمار واوبوايه ، الشرق ، ص١٣٦.

٦٣٢- فاليري غولاييف ، المدن الاولى ، تر : طارق معصراني ، ج١ ، دار التقدم ، (موسكو : ١٩٨٩) ، ص٩٦.

الأمثال السومرية على وجوده فنقرأ : **(البلاد ذات التسليح الضعيف لن تطرد العدو عن أبوابها)**[٦٣٤].

وأشارت نصوص كتابات عثر عليها في مدينة الوركاء ، الى بناء كلكامش أسواراً[٦٣٥] ، أحاطت بالمدينة[٦٣٦] ، فجاء في ملحمة كلكامش توجيه المجتمع ، وإرشاده ؛ للرضوخ لهذا الملك، لعظمته ، وأمجاده ، التي جسدها في أعماله الخالدة ، ومن بينها أشادته للأسوار :

(بنى أسوار "اوروك" ، المحصنة ،

وحرم "اي – انا" المقدس والمعبد الطاهر

فأنظر إلى سوره الخارجي تجد أفاريزه تتألق كالنحاس

وأنعم النظر في سوره الداخلي الذي لا يماثله شيء

واستلم (أمسك) أسكفته الحجرية الموجودة منذ القدم

أقترب من "اي – انا" ، مسكن عشتار

الذي لا يماثله صنع ملك من الآتين ولا إنسان

أعلُ فوق أسوار "اوروك" ،

وأمش عليها متأملاً

تفحص أسس قواعدها وآجر بنائها

٦٣٣- عبد القادر الشيخلي ، الإدارة والسياسة (العراق في موكب الحضارة الأصالة والتأثير)، ج١ ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد : ١٩٨٨) ، ص ص٣٢١ – ٣٢٢.

٦٣٤- قاسم الشواف ، ديوان الأساطير ، ج٣ ، ص٣٤٨.

٦٣٥- كان السور الذي تغنى به كلكامش هو ذاته السور الذي أكتشف في الوركاء والذي بلغ طوله ستة أميال ؛ عن هذا السور ينظر : The Foundation ston of the new Iraq Museum , The land of the Tow Rivers , G . w . Dray And son ltd Barking Essex , (England) , p9.

٦٣٦- فرج بصمجي ، الوركاء ، ص٧.

أفليس بناؤها بالآجر المفخور؟)[٦٣٧].

وقد اظهر ملك لكش اورنانشة (٢٥٢٠ – ٢٤٩٠ ق . م)[٦٣٨] ، ذات الفكرة ، بإقرانه تشييد المعابد ، بتشييد السور في نص خلد به أعماله :

(اور نانشة ملك لكش ، ابن جوني دو ، بنى معبد نينكرسو ... بنى معبد نانشة ... بنى معبد كاتمدوك ....عندما بنى معبد نينكرسو ، جلب إلى المخزن سبعين كارو حبوب . في الجبال ... جمع الأخشاب ، بنى سور لكش)[٦٣٩].

ومن جهته عبر اينتمينا (٢٤٠٤ – ٢٣٧٥ ق . م) عن فخره بتخليده لذكرى حفره خندقاً دفاعياً: **(إن "اينتيمنا" ، حاكم لكش ، الذي نطق بإسمه "تنجرسو" ، حفر خندق الحدود هذا من دجلة إلى (نهر) "ادنن"**[٦٤٠]**)**[٦٤١].

أن سياسة تهديم أسوار المدن[٦٤٢] ؛ لبسط السيطرة ، التي انتهجها سرجون الاكدي (٢٣٧١ – ٢٣١٦ ق . م)[٦٤٣] ، كونها إحدى تجسيدات الفرقة في بلاد الرافدين القديمة[٦٤٤] : **(كان سرجون هو المنتصر في أربع وثلاثين حملة عسكرية وانه جرد المدن من كل وسائل دفاعاتها حتى ساحل البحر)**[٦٤٥] ، لم يحصل ما يناقضها على ما يبدو من قبل خلفائه في الحكم ، وأن فكرة السور ، ربما طرأ عليها تغيير ، يتمثل بكونه أصبح يعني ما يحيط ببلاد الرافدين ، أو بعض أجزاءه ، تجاه ما يجاوره من بلدان في ذلك الزمان ، وأنعدم وجود الأسوار

٦٣٧- طه باقر ، ملحمة كلكامش ، ص٧٤؛ كذلك : حسين احمد سلمان ، كتابة التاريخ ، ص٦٦.

٦٣٨- مؤسس سلالة لكش في عصر فجر السلالات الثالث ؛ بوستغيت ، حضارة العراق وآثاره ، ص١٤٢.

٦٣٩- مورتكات ، تاريخ الشرق ، ص٥٩.

٦٤٠- أطلقت تسمية ادنن على أحد فرعي نهر الفرات اللذين أوجدهما سد قديم أقيم في منطقة دقدقة في مدينة أور وفرع أدنن خصص لإرواء مدينة أور أما الفرع الثاني فتم تخصيصه لإرواء مدينة أور ؛ طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج١ ، ص٦٤.

٦٤١- كريمر ، من ألواح سومر ، ص١٠١.

٦٤٢- عدا العاصمة إذ احتفظت بسور يحميها ؛ عامر سليمان ، الجيش والسلاح في العصر الاكدي (الجيش والسلاح) ، ج١ ، ص١٣١.

٦٤٣- ساكز ، عظمة بابل ، ص٦٩.

٦٤٤- فوزي رشيد ، سرجون الاكدي ، ص ص٤١- ٤٢.

٦٤٥- فاضل عبد الواحد علي ، الأدباء ، آفاق عربية ، العدد ٧ ، ص٧٥.

التي تحجب مدينة عن أخرى تجاورها ، وهذا ما يمكننا استقرائه من خلال النصب الذي تركه نرام سن الذي ينصح فيه بضرورة وجود الأسوار ؛ كونها تبعث على الثقة بالنفس :

(لا تخف بعد ولا ترتعد ،

أن أردت أن تكون قواعدك ثابتة ،

وأن تتمتع بالحب مع زوجتك ،

ضع ثقتك في أسوارك ،

وأملأ خنادقك ماء)[٦٤٦].

إلا أن الأمر عاد على ما هو عليه في عصر سلالة أور الثالثة (٢١١٣ – ٢٠٠٦ ق .م) ، من وجود أسوار تحيط بمدنها ، مما يعني نقض التوجه الذي أختطه الملك سرجون الاكدي وسار عليه خلفائه ، وهو ما تؤكده قصيدة النواح على أور[٦٤٧] ، إذ جاء فيها : **(يا جدار أور ، تفجعاً مريراً لرثائك أنشد !)**[٦٤٨] ، وفي موضع آخر من النص :

(يا جدار أيسن ، تفجعاً مريراً لرثائك أنشدْ !

يا جدار (مدينة) أوروك ، تفجعاً مريراً لرثائك أنشدْ !

يا جدار أريدو ، تفجعاً مريراً لرثائك أنشدْ !)[٦٤٩].

إن تعرض البلاد للأخطار الخارجية ، التي شكلت قبائل المارتو[٦٥٠] طليعتها[٦٥١] ، واهتمام الملوك الأواخر من سلالة أور الثالثة بالأسوار[٦٥٢] ومن بينهم الملك شو – سن (٢٠٣٨

٦٤٦- لابات ، المعتقدات الدينية ، ص٣٧٦.

٦٤٧- يعود زمن تدوين هذه المرثية إلى العهد البابلي القديم (٢٠٠٤ – ١٥٩٥ ق . م) فيما يعود تاريخ أقدم نسخة منها إلى عهد الملك البابلي سمسو ايلونا (١٧٤٩ – ١٧١٢ ق . م) ؛ حكمت بشير الأسود ، أدب الرثاء ، ص٤٣.

٦٤٨- قاسم الشواف ، ديوان الأساطير ، ج٢ ، ص٣٩٢.

٦٤٩- المصدر نفسه ، ص ص٣٩٢ – ٣٩٣.

٦٥٠- مصطلح المارتو مسماري سومري الأصل وقد شمل مفهومه جميع القبائل وقابله بالمعنى ذاته مصطلح امورو باللغة الاكدية وهذا الأمر يشير إلى عدم صواب أطلاقه على كل القبائل البدوية لتنوع الأقوام والقبائل التي تم أختزالها تحت هذا المسمى ويشار إلى أن لفظة مارتو سجل أول ذكر لها في عصر فجر السلالات

– ٢٠٣٠ ق . م) للتصدي لهذه القبائل الآمورية ، ببناء سور كبير لهذا الغرض[٦٥٣] ، يشير إلى وجود نصح، وتوجيه ، وإرشاد ، من قبل ملوك أسرة أور الثالثة لشعبهم ، بإعادة الأسوار إلى ما كانت عليه في عصر دويلات المدن السومرية ، وكان اختراق هذا السور من قبل العيلاميين في عهد الملك ابي سين (٢٠٢٩ – ٢٠٠٦ ق . م) قد أذن بنهاية سلالة أور الثالثة[٦٥٤].

ومن بين ما اتخذته سلالة بابل الأولى (١٨٩٤ – ١٥٩٥ ق . م) لتدعيم مكانتها، أقامتها الحصون[٦٥٥] ، فعُرف عن سوموآبوم مؤسس سلالة بابل الأولى في سنة حكمه الأولى إقامة أسوار لمدينة بابل[٦٥٦] ، وكان السور من بين أهم مكونات المدينة البابلية القديمة[٦٥٧] ، ولأهمية الأسوار ؛ وثق الملك حمورابي (١٧٩٢ – ١٧٥٠ ق . م) بكتابة باللغتين السومرية ، والبابلية ، على مسمار طيني انجازه لعملية تشييد سور لمدينة سبار ، مما يدل على استمرار النهج الهادف إلى إقامة الأسوار لمدن بلاد الرافدين ، على الرغم من المركزية التي حكم بها حمورابي البلاد معللاً ذلك بأنه أمر إلهي ، لضمان الأمان ، وهذا فيه دلالة على النصح ، والتوجيه باتخاذ السور وسيلة لحماية المدن من الأخطار :

(عندما أعطى الإله شمش السيد العظيم للسماء والأرض ، ملك الآلهة... أوامره ٠لي) ليعيش سكان سبار وبابل في أمان وطمأنينة (وعندما) أمرني ببناء سور سبار وأعلى قمته في ذلك الوقت ، أنا حمورابي ، الملك العظيم ، الملك المقتدر لبابل ، عابد الإله شمش...رفعت قمة أسس سور سبار بالتراب مثل الجبل العظيم ، شيدت سورا مهيبا لم يعمل ملك مثله إلى الإله

الثالث في عقود بيع عقارات وقصد بهذه اللفظة حينها معنى جهة الشمال وهو اتجاه الرياح في بلاد الرافدين ؛ باتيرو ، الشرق الأدنى ، ص١٧٦.

٦٥١- حكمت بشير الأسود ، أدب الرثاء ، ص٤٤.

4- Laessoe, Jorgen , People Of Ancient Assyria , (1963) , p15.

٦٥٣- ساكز ، البابليون ، ص١٤٠ ؛ وينظر :

Mieroop , Marc Van De , A History of the ANE ca (3000 – 323 BC) , Blackwell Publishing , (2005) , No2 , P83.

6- Hallo , William . w . B , David , A Guided Tour through Babylonian History (Cuneiform Inscriptions in the Cincinnati Art Museum) , p57.

٦٥٥- عامر سليمان وأحمد مالك الفتيان ، محاضرات ، ص١٢٥.

٦٥٦- بيلافسكي ، أسرار بابل ، ص ص١٨٣ ــ ١٨٤.

٦٥٧- اوبنهايم ، بلاد ما بين النهرين ، ص١٣٧.

شمش من قبل ، سميت ذلك السور: بأمر الإله شمش عسى أن لا يكون لحمورابي أعداء ... وحفرت قناتها وجلبت إلى أرضها ماء دائما إلى الأبد ... عسى أن يبقى اسمي مذكورا مثل الآلهة ، وان يبقى إلى الأبد في أفواه الناس)[٦٥٨].

وفي آشور كان السور قد شهد تحسينات ملموسة ؛ لكثرة الحروب الخارجية ، ولحماية عروش الملوك الآشوريين من الثورات الداخلية ، وقد ورثت الدولة البابلية الحديثة عنهم هذا الأمر أيضاً[٦٥٩] ، ويشير الملك الآشوري آشور ريم نشيشو (١٤١٠ – ١٤٠٣ ق . م) في وثيقة[٦٦٠] تاريخية إلى أن سور المدينة القديمة الذي يعرف بـ"لب آلي" أي المدينة القديمة ، والمقصود بها مدينة آشور ، قد سبقه في إعادة تشييده كل من الملك كيكيا الملك الآشوري القديم الذي يعود تاريخ حكمه إلى نهاية الألف الثالث قبل الميلاد وأيكنم ، وسرجون الأكدي ، وبوزر آشور الثاني، الذين حكموا في بداية النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد ، وآشور نيراري الأول في النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد[٦٦١] ، وجاء في الوثيقة نفسها نصح ، وتوجيه ، وإرشاد إلى من يخلفه في الحكم ، بأن إعادة بناء السور ستضمن له قبول الصلوات من قبل كل من الإلهين آشور Aššur [٦٦٢] وأدد :

(اشير ريم نشيشو ، كاهن اشير ، ابن اشير نراري ، كاهن اشير ، ابن اشير رابي ، الكاهن. السور الذي بناه كيكيا ، ايكونوم ، شروكين _ (؟) كات _ اشير (اسمان لحاكمين اثنين ؟) ،

٦٥٨- محمد طه الاعظمي ، <u>حمورابي</u> ، ص١٢٢.

٦٥٩- ايمار و أوبوايه ، <u>الشرق</u> ، ص١٨٣.

٦٦٠- تعود هذه الوثيقة إلى العصر الآشوري الوسيط وبالتحديد للنصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد وهي من مخلفات الحاكم آشور ريم نشيشو ؛ فالتر اندريه ، <u>استحكامات آشور</u> ، تر : عبد الرزاق كامل الحسن ، المؤسسة العامة للآثار ، (بغداد : ١٩٨٧) ، ص٤٢.

٦٦١- نائل حنون ، <u>مدن قديمة ومواقع أثرية (دراسة في الجغرافية التاريخية للعراق الشمالي خلال العصور الآشورية</u> ، دار الزمان ، (دمشق : ٢٠٠٩) ، ص٩٦.

٦٦٢- آشور إله الدولة الآشورية في أوج عظمتها وهو غير معروف وقد حملت مدينة آشور نفس الاسم ؛ ادزارد ، <u>قاموس الآلهة والأساطير</u> ، ص٦٨؛ وينظر :

Saycy , A , H, <u>Assyria Its Princes Priests And People</u> , RTS , No . 5 , (London : 1895), p66.

ابن شمشي – دجان ، آبائي ، كان آيلا إلى السقوط . لحياتي ولصالح مدينتي قمت ببنائه من أساسه إلى حافته و مخاريطه ٠(السور) أعدتها إلى موضعها السابق . إذا أقدم أمير في المستقبل حين يتداعى هذا السور على إعادة بنائه فإن اشير وأدد سيتقبلان صلواته وليضع مخاريط السور ثانية في محلها)[٦٦٣].

وفي نص مطول تم توثيقه على لوح حجري يعود إلى الملك الآشوري ادد نيراري الاول (١٣٠٧ – ١٢٧٥ ق . م) نطالع النصيحة لمن يخلفه بحفظ حقه في عدم طمس ذكراه بتشييد السور مما جاء فيه :

(للمستقبل حين يكون هذا السور (هذا

الجدار ،هذه المسناة) متداعيا

وآيلا إلى السقوط (أو مقوضا بفعل

الفيضان) ليجدده الأمير المقبل ، ويضع

ثاني ألواحي الحجرية والوثائق الموسومة

باسمي (وتيمنس العائدة لي)

وهكذا سيتقبل آشور صلواته)[٦٦٤].

وبقية هذا النص المطول تشير إلى نصح الملك وإرشاده لمن يخلفه إلى تجنب اللعنات الفردية التي سيلحقها به الآلهة ، واللعنات الجماعية التي تنال عائلته ، ومريديه ، وكل بلاده ، في حالة تجرأ وبادر إلى طمس هذا اللوح.

ومن أوجه النصح في الجانب العسكري ، ما يتعلق بتحديد مسار وطريق الحملة ، وهذا ما نلمسه من قصة "ملك المعركة"[٦٦٥] ، التي بادر فيها الملك سرجون الاكدي (٢٣٧١ –

٦٦٣- اندريه ، استحكامات ، ص٢٧٦.

٦٦٤- المصدر نفسه ، ص٢٧٩.

٢٣١٦ ق . م) إلى نجدة تجار بلاد الرافدين في مدينة بورشخندا purshkhanda وتعرف أيضاً بتسمية كانيش kANSH[٦٦٦] في آسيا الصغرى[٦٦٧] ، وفي هذه القصة يسدي مستشار الملك الاكدي نصيحة لسيده قائلاً :

(الطريق إلى بورشخندا يا سيدي ، طريق صعب ومرهق عند السفر ويستغرق وقتاً طويلاً لقطعه والجبال التي ستواجهنا جبال ضخمة وتحتوي على الأثمد (الكحل) وحجر اللازورد والذهب وتنبت عليها أشجار التفاح والتين وخشب البقس ومليئة بالأحراش)[٦٦٨].

إلا أن سرجون الاكدي قاد حملته من دون أن يلتفت لنصح مستشاره ، ومن دون أن يجعل من صعوبات الطريق حجة للنأي عن نصرة التجار الذين استنجدوا به : **(هل يأتي السلام إلينا من ذاته ونحن جالسين على الكرسي ، لا بد لي من الذهاب إلى هناك حتى لو كان الطريق متعباً لنا)**[٦٦٩] ، وقد لاقى سرجون الاكدي حقيقة كل أنواع المتاعب التي كان للتضاريس الطبيعية من صخور كبيرة والغابات الكثيفة والأشواك الدور الأكبر فيها[٦٧٠] ، وهو ما يثبت صدق ما صدر عن مستشاره ، الذي نصحه بعدم التوجه نحو تلك البلاد ، إلا أنه فضل نجدتهم ، وهذا ما يؤكد حصوله الملك الحثي[٦٧١] خاتوشيلي الأول (١٦٥٠ ق . م) بحسب نص مدون باللغة الحثية[٦٧٢]، وبالخط المسماري يعود إليه جاء فيه :

(لا أحد تمكن من عبور نهر مالا (نهر الفرات) ،

٦٦٥- عثر على لوح مدون لهذه القصة في تل العمارنة يعود تاريخه إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ؛ طه باقر، مقدمة في أدب العراق القديم ، ص١٧٣ ؛ ويؤيد الأستاذ فرانكفورت تاريخية هذه القصة بدلالة أن الملك نرام سن أستخدم في تشييد قلعة على نهر الخابور باستخدام أخشاب أشجار غير متوافرة في بلاد الرافدين وقد تم استيرادها ؛ فجر الحضارة ، ص٩٤.

٦٦٦- تُعد من بين أشهر المدن الأناضولية القديمة و آثارها اليوم يضمها تل أثري يعرف بـ"كول تبة" ؛ جرنوت فيلهلم ، الحوريون تاريخهم وحضارتهم ، تر : فاروق إسماعيل ، دار جدل ، (حلب : ٢٠٠٠) ، ص٤٠.

٦٦٧- سامي سعيد الأحمد ، العراق القديم ، ج٢ ، ص ص٢٣ – ٢٤.

٦٦٨- فوزي رشيد ، سرجون الاكدي ، ص ص٥٦ – ٥٨.

٦٦٩- المصدر نفسه ، ص٥٦.

٦٧٠- سامي سعيد الأحمد ، العراق القديم ، ج٢ ، ص٢٤.

٦٧١- الحثيون جاءت تسميتهم نسبة إلى قبائل الحاتي التي استوطنت آسيا الصغرى ؛ دياكوف وكوفاليف ، الحضارات القديمة ، ج١ ، ص١٥٥.

٦٧٢- اللغة الحثية تعود إلى أسرة اللغات الهندو أوربية وهي شبيهة باللغتين اليونانية واللاتينية وتضم مفرداتها ألفاظ سومرية وبابلية مما يؤكد تأثرها بهما وكتبت بالخط التصويري والخط المسماري الذي تعلموه من البابليين؛ محمد سهيل طقوش ، الحضارة الحثية (موسوعة الحضارات القديمة) ، دار النفائس ، (بيروت : ٢٠١١) ، ص ص١٣٩ – ١٤٠.

ولكن أنا الملك العظيم تابارانا (ختوشيلي) ،

قد عبرته على الأقدام وعبره جيشي من بعدي .

ولكن الملك سرجون قد عبره على الأقدام كذلك)[٦٧٣].

لم يكن تفكير ملوك بلاد الرافدين بالسياسة الداخلية للبلاد ، وطبيعة تنظيمها ، أو الدفاع عنها ، منصباً على حياتهم ، من دون التفكير بما هي عليه من حال بعد مماتهم ، فنجد أن الملك سرجون الأكدي (٢٣٧١ – ٢٣١٦ ق . م)[٦٧٤] ، يسدي النصح والتوجيه إلى من يخلفه في الحكم قائلاً :

(فأي كان الملك من بعدي

[...]

فعسى أن يسوس ويحكم ذوي الرؤوس السود

ويقهر الجبال الشاهقة بفؤوس من البرونز قاطعة

ويتسلق القمم العليا

ويعبر القمم السفلى

ويطوف حول بلاد البحر[٦٧٥] ثلاث مرات

٦٧٣- فوزي رشيد ، سرجون الاكدي ، ص٦١.

٦٧٤- شروكين هو اسم سرجون في النصوص الاكدية ويعني اسمه الملك الثابت أو الصادق أو المكين وقد أطلقت تسمية سرجون على هذا الملك في المصادر المتأخرة غير المسمارية وحتى تسمية شروكين تغدو غير التسمية الحقيقية لهذا الملك قبل تسنمه الملك فمن غير المعقول أن تطلق عليه أسرته تسمية الملك المكين في ظل حكومة يحكمها ملك ؛ فوزي رشيد ، سرجون الاكدي ، ص٢٧.

٦٧٥- بلاد أو ارض البحر تعني منطقة الأهوار في جنوب العراق ولربما تشمل الخليج العربي بكليته أو معظمه وعلى وجه الخصوص ساحله الغربي ؛ سامي سعيد الأحمد ، تاريخ الخليج العربي من أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي ، مطبعة جامعة البصرة ، (البصرة : ١٩٨٥) ، ص٢٥١؛ هناك سلالتان حاكمتان قامتا في ارض البحر هما الأولى وعرفت بسلالة (شيش كو) والثانية وقد عرفت (مات تام تيم) ؛ المصدر نفسه، ص٢٧٢.

(وتستولي يداه على دلمون[٦٧٦])

ويقصد مدينة دير[٦٧٧]العظيمة

... من مدينة اكد ...)[٦٧٨].

وكانت المملكة التي أسسها الملك سرجون الاكدي ، قد أمتد عمرها إلى مدة أطول من الزمن ، قياساً بغيرها ؛ ولعل ذلك جاء لكونه من العناصر الشمالية التي تسنى لها الحكم لأول مرة في بلاد الرافدين ، ومن ثم مجيئه بأساليب جديدة في إدارة الحكم[٦٧٩] ، بمعنى أن هذه الأساليب لم يألفها الحكام السابقين لبلاد الرافدين مع إقرارنا بأن لوكال زاكيزي كانت تراوده فكرة توحيد البلاد التي تسنى للاكديين تحقيقها على أرض الواقع ، وإذا كان القصد من ذكر الشعب ذو الرؤوس السود ، للدلالة على وحدة السومريين القومية[٦٨٠]، وبتأكيدنا على عدم وجود صراع قومي بين السومريين ، والاكديين ، وغيرها من الأقوام المكونة لبلاد الرافدين[٦٨١] ، نستطيع الاستدلال على أن معنى هذا المقطع من النص كان يمثل نصح ، وتوجيه للملك ، الذي يأتي بعده بأن تكون السياسة هي من يحكم هذا الشعب بعيداً عن استعمال القوة ، وفي هذا التوجيه أمر أساسي يرغب الملك سرجون الاكدي تحقيقه يتمثل بتجنب الثورات التي تنجم عادة عن ممارسة القوة للسيطرة على الشعب.

وعُرِفَ سرجون الاكدي بطموحاته الكبيرة[٦٨٢] ، وكانت النصيحة التي أسداها لمن يأتي بعده تشير إلى هذه المزّية في شخصه ، وقد أثبتت الحقائق التاريخية قيامه بفتوحات عديدة ، فقد

٦٧٦- تعني ديلمون أو دلمون أو تيلمون بلاد البحرين الحالية ؛ ديكانوف وآخرون ، تاريخ الشرق ، ص٢٥٨.

٦٧٧- دير أو (دور – ايلو) بمعنى حصن أو مدينة الإله آنو تعرف بقاياه اليوم بتلول العقر في ضواحي مدينة بدرة الحالية الواقعة شمال شرقي بابل ؛ طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج١ ، ص٤٦١.

٦٧٨- عامر سليمان ، الجيش والسلاح في العصر الاكدي (الجيش والسلاح) ، ص١١٢.

٦٧٩- فرانكفورت ، فجر الحضارة ، ص٩٠.

٦٨٠- المصدر نفسه ، ص٩٤.

٦٨١- عامر سليمان ، الجيش والسلاح في العصر الاكدي (الجيش والسلاح) ، ج١ ، ص١١٤.

٦٨٢- جورج رو ، العراق القديم ، ص٢٠٩.

عدّ الإله داكان هو من وهبه المنطقة العليا ، التي تضم ماري ، وإيارموتي[٦٨٣] ، وإبلا[٦٨٤] ، وصولاً إلى غابة الأرز في لبنان ، وجبل الفضة ، التي تعني جبال طوروس[٦٨٥] ، ونجدته للتجار الاكديين في بلاد آسيا الصغرى ، وتحقيقه الانتصار[٦٨٦] ، وكذلك قيادة جيوشه تجاه مدينة اوان ، وغيرها من جهة الشرق ، وضمها إلى مُلكه[٦٨٧] ، ومن المؤكد غزوه لبلاد البحر ثلاث مرات ، لقوتها الكبيرة التي دفعتها إلى الثورة عليه بعد كل مرة يغزوها ، وأن غزوه لها كان لإمكاناتها البشرية ، والمادية الهائلة ، وربما كان من دواعي فتحها في كل مرة كونها ؛ ملجئ للثائرين بوجه الاكديين[٦٨٨] ، ويتبين من كل فتوحاته وتحركاته أنها جاءت لتأديب القوى المعادية[٦٨٩] ، وإلى جانب حماية البلاد حققت فتوحاته الثروات ، ومدت في خطوط مواصلاته التجارية ، وأمنتها[٦٩٠]، وهذه الأخيرة لها أهميتها الخاصة ؛ لأن بلاد الرافدين على الرغم من خصوبتها إلا إنها كانت تعاني من عدم توفر الخشب اللازم للبناء إلى جانب خلوها من المعادن والأحجار[٦٩١].

ولم تشهد المملكة الاكدية الانهيار إلا في عهد خامس ملوكها شاركالي شري (٢٢٥٤ – ٢٢٣٠ ق . م) الذي خلف أباه نرام سن[٦٩٢]، وقد أقتصر تحقيق النجاحات في عهد خلفاء سرجون الأوائل ، إذ تسنى لكل من ريموش (٢٣١٥ – ٢٣٠٧ ق . م) ، ومنشتوسو (٢٣٠٦ – ٢٢٩٢ ق . م) ، الحفاظ على ما قد بلغه سرجون من نفوذ ، في حين تمكن نرام سن (٢٢٩١ –

٦٨٣- ايارموتي أو يارموتي تقع شمال غرب مدينة ماري ؛ فوزي رشيد ، سرجون الاكدي ، ص٣٣.

٦٨٤- ايبلا وتعني تل مرديخ شمال سوريا ؛ ديكانوف وآخرون ، تاريخ الشرق ، ص٢٥٤.

٦٨٥- جورج رو ، العراق القديم ، ص ص٢١٠ - ٢١١.

٦٨٦- سامي سعيد الأحمد ، العراق القديم ، ج٢ ، ص٢٣.

٦٨٧- جورج رو ، العراق القديم ، ص ص٢١٠.

٦٨٨- سامي سعيد الأحمد ، العراق القديم ، ج٢ ، ص٢١.

٦٨٩- عبد القادر الشيخلي ، الإدارة والسياسة (العراق في موكب الحضارة) ، ص٣٢٨.

٦٩٠- سامي سعيد الأحمد ، العراق القديم ، ج٢ ، ص٢٧.

٦٩١- أمل مخائيل بشور ، تاريخ الإمبراطوريات السامية في بابل وآشور ، ص٦٢.

٦٩٢- قيس حاتم هاني الجنابي ، تاريخ الشرق الأدنى القديم ، دار صفاء ، (عمان : ٢٠١٢) ، ص١٣٠.

٢٢٥٥ ق . م) من توسيع هذا النفوذ[٦٩٣] ، وهذا على ما يبدو للالتزام بالنهج الذي أختطه مؤسس السلالة الاكدية ، ولم يبخل بالوصية لمن بعده بإتباعها ، من دون أن نجزم بأن سقوط هذه الدولة في عهد خامس ملوكها ، كان لعدم الالتزام بهذه النصيحة ، وقد حذا الملك نرام سن ، حذو مؤسس السلالة ، بتركه نصب ، يخلد نصره على قبائل اللولوبو Lulubi ، وما يلفت النظر أن مقدمة النص الذي تضمنه النصب ، فيه ما يشابه مطلع نص الملك سرجون من مخاطبة للملك الذي يأتي من بعده ناصحاً إياه بما يفعل :

(أنت الذي ستأتي في وقت لاحق) ، اقرأ لذاتك هذا النصب

الذي أنا نرام سن الذي هو) ابن سرجون

(كتبت وتركت) للأزمنة العتيدة!)[٦٩٤].

وكان على الدول الضعيفة الانخراط في أحلاف ، أو معاهدات ، تضمن لها ومن تتحالف معها دفاعاً مشتركاً عن أراضيها ، وكانت هذه هي طبيعة الوضع السائد في عصر حمورابي[٦٩٥] فيما بعد.

وأن تبادل النصح ، وإبداء الرأي ، بين ملوك العراق القديم كان امراً سائداً ، فهذا ريم سن ملك لارسا (١٨٢٢ – ١٧٦٣ ق . م) ، يقترح على ملك بابل حمورابي (١٧٩٢ – ١٧٥٠ ق . م) أبرام معاهدة مشتركة ، ذات طابع دفاعي هجومي[٦٩٦] :

(قومي مجتمعون في بلادي : لعل قومك كذلك مجتمعون في بلادك ؟ إذا ما هاجمك العدو فقواتي وسفني تقدم لك الدعم . أما إذا هاجمني الخصم ، عندئذ أرجو أن تكون قواتك وسفنك متحدة مع قواتي وسفني)[٦٩٧].

٦٩٣- زودن ، مدخل إلى حضارات الشرق القديم ، تر : فاروق إسماعيل ، دار المدى ، (دمشق : ٢٠٠٣) ، ص٥٧.

٦٩٤- لابات ، المعتقدات ، ص٣٦٧.

٦٩٥- محمد طه الأعظمي ، حمورابي ، ص٦٩.

٦٩٦- سامي سعيد الأحمد ، الإدارة نظام الحكم (حضارة العراق) ، ج٢ ، ص٣٣.

٦٩٧- كلنغل ، حمورابي ، ص٤٥.

وأن قبول الملك حمورابي بهذا المقترح ناجم عن ؛ قوة الملك ريم سن[٦٩٨] ، وتتماشى مع سياسة حمورابي ، التي اتصفت بعدم الثبات على موقف واحد تجاه معاصريه من الملوك لأنه ؛ وضع نصب عينيه إقامة دولة كبيرة يكون هو حاكمها الأوحد ، وقد انهى حمورابي تحالفه مع ريم سن، باحتلاله لارسا عقب سيطرته على اشنونا وحليفتها عيلام[٦٩٩].

وعلى الرغم من أن بعض أوجه النصيحة في السياسة الخارجية الكشية تنم عن واقع جداً متدني من التفكير ، وهذا ما يتجلى لنا في نصح الملك الكشي كدشمان خربي الأول إلى الملك المصري امنوفس الرابع المعروف باخناتون (١٣٧٥– ١٣٥٨ ق . م)[٧٠٠] ، عندما دعاه إلى إرسال أي فتاة مصرية ليظهرها على الملأ بأنها أميرة مصرية وبالتالي الإسهام في تدعيم اركان هذا الملك الكشي على الصعيد الداخلي وليصب ذلك ايضاً في خدمة الملك المصري كون الكشيين حلفاء للمصريين في هذه المرحلة التاريخية :

(أنظر ! إذا كنت يا أخي لا تعطيني أبنتك لأتزوجها وتكتب لي إنه منذ أقدم الأزمان لم تعطَ بنت ملك مصري لأحد ، لماذا تقول هكذا ؟ أنك ملك وتستطيع أن تفعل ما تشاء ، فلما بلغتني كلماتك كتبت إلى أخي أن عندك بنتاً كبيرة ، كذلك هناك نساء جميلات أرسل لي حسب اختيارك أي امرأة جميلة . من يستطيع أن يقول هنا أنها ليست بنت ملك ؟)[٧٠١].

وهذه الرسالة تكشف مدى اختلال المقاييس الحضارية بين الكشيين والبابليين[٧٠٢] ، ونجد في الطرف المقابل نصيحة سياسية تنم عن إدراك لواقع الساحة السياسية وآلية التعامل معها ، وهذا ما نلحظه من الرسالة الموجهة من قبل ملك بابل الكشي بورنابورياش الثاني (١٣٧٥ – ١٣٤٧ ق . م) إلى الملك المصري اخناتون :

٦٩٨- محمد سياب محان ، المعاهدات السياسية ، ص٨٩.

٦٩٩- كلنغل ، حمورابي ، ص٤٥.

٧٠٠- اخناتون هو أحد ملوك الأسرة الثامنة عشرة في مصر (١٥٨٠ – ١٣٥٠ ق . م) وعُرف وذاع صيته لقيامه بثورة دينية ؛ ينظر : جيمس هنري برستيد ، تطور الفكر والدين في مصر القديمة ، تر : زكي سوس ، دار الكرنك ، (القاهرة : ١٩٦١) ، ص٤٢٧ وما بعدها.

٧٠١- محمود حسين الأمين ، الكاشيون (١٥٣٠ – ١١٦٠ ق . م) ، مجلة كلية الآداب جامعة بغداد ، العدد ٦ ، ١٩٦٣ ، ص٥٢٤.

٧٠٢- مورتكات ، تاريخ الشرق ، ص١٩٣.

(في عهد أبي كوريكالزو أرسل أليه الكنعانيون يقولون : لنذهب إلى حدود مصر ولنغزها جميعنا وسوف نعقد معك حلفاً ، أما ابي فقد أجاب على هذه الرسالة قائلاً كفوا عما تنشدونه من الحلف إذا كنتم أعداء ملك مصر ، أخي فليكن الحلف فيما بينكم ، ولكن لتحذروا جانبي ، إذ لما كان ملك مصر حليفي فمن ذا الذي يصدني عن أن أغزوكم)[٧٠٣].

ان واقع الكشيون الذين اتصفوا في علاقاتهم الخارجية بنوع من الهدوء[٧٠٤] ، يتجسد بصورة جلية من علاقاتهم بمصر التي اتصفت بالحيادية[٧٠٥] ، وهذا ما تؤكده رسالة الملك الكشي بورنابورياش إلى الملك المصري اخناتون.

وفي الجانب الديني كان الخوف من الموت[٧٠٦] والسعي إلى تحقيق الخلود في الدنيا هاجس العراقي القديم ، والذي ترك أثره على طبيعة حياة هذا الإنسان ، الذي وقف متحيراً أمام فقد من هم حوله ، من دون أن يجد سبيلاً إلى منع ذلك ، فالحياة عزيزة لدى الإنسان ، والآخرة انعكاساً كئيباً للحياة على الأرض في أفضل أوجهها[٧٠٧] ، فالآلهة التي أذاقته مرّ الحياة بحرارة صيفها ، وبعواصفها ، وزوابعها ، وفيضانها ، لا يمكن لها أن تسعده في موته[٧٠٨] ، وهذا المشهد الذي وجد العراقي القديم نفسه محاطاً به ، قد تجسد في بعض أنماط المشورة ، ففي ملحمة كلكامش ، سعى بطل هذه الملحمة[٧٠٩] ، إلى نيل الخلود محاولاً أن يقتفي خطى بطل الطوفان البابلي اوتونبشتم ، إلا أن هلاك البشر ، وخلود الآلهة ، لم يستثنِ منه كلكامش ، على الرغم من أن نصفه إله ، ونصفه الآخر بشر ، وذلك ؛ لأن الخلود أمر لابد وأن يكون بصورة كُلية ، فكان أن سلب جزئه الإنساني امتيازات جزأه الإلهي[٧١٠] ، وهو ما دفعه إلى استشارة

٧٠٣- طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج٢ ، ص ص٨٤ – ٨٥.
٧٠٤- قيس حاتم هاني الجنابي ، تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص١٤٣.
٧٠٥- طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج١ ، ص٥٠٦.
٧٠٦- كان الموت عند العراقي القديم يعني انفصال الروح عن الجسد ؛ تقي الدباغ ، الفكر الديني ، ص٤٩.
٧٠٧- اوتس ، بابل ، ص٢٦٢.
٧٠٨- مصطفى حسن النشار ، الفلسفة الشرقية القديمة ، دار المسيرة ، (عمان : ٢٠١٢) ، ص ص١٧٩ – ١٨٠.

٧٠٩- كان الموت أمر غير ذي بال لدى كلكامش أول أمره ؛ جاكوبسن وآخرون ، ما قبل الفلسفة ، ص٢٤٧ ؛ وكان موت صديقه انكيدو قد ترك أثراً في نفسه بخصوص الخوف من الموت والبحث عن الخلود ؛ هوك ، الأساطير ، ص٣٧.
٧١٠- بديعة أمين ، في المعنى والرؤيا (دراسات في الأدب والفن) ، ص٢٢٣.

اوتونبشتم عن كيفية تحقيقه الخلود[٧١١]، وكان متيقناً من قدرته على إسداء النصح إليه[٧١٢] ، ليقوده بحثه عنه إلى اللقاء بـ"سيدوري" ، صاحبة الحانة ، التي نصحته بالكف عن مسعاه الذي لا طائل منه ، والاستمتاع بمباهج الحياة[٧١٣] :

(والحال هذه يا كلكامش ، بالطعام والشراب أملأ معدتك ، ابتهج ليلك ونهارك ، أجعل كل يوم من أيامك عيداً سعيداً . بالناي والقيثارة اطرب نفسك ، وبالرقص أنعش فؤادك ليل نهار . ارتد من الثياب أنظفها ، أغسل رأسك وضمخ شعرك وحمم بدنك بأعذب المياه . أنظر بفرح إلى الصغار الممسكين بيدك ، وتمتع بين أحضان المرأة)[٧١٤].

وهاجس الموت ، والإصرار على نيل الخلود عند كلكامش ، كانا أكبر من أن يلهه عنهما طعام، أو شراب ، وليترك بسببهما كل ما في الحياة من مباهج سعياً لنيل الخلود ، إلا أن مشورة سيدوري باءت بالفشل ، بدلالة النص التالي :

(يا صاحبة الحانة أين الطريق إلى اوتونبشتم

دليني كيف أتجه إليه)[٧١٥].

كانت صدمة كلكامش ، وحزنه كبيرين ، حين اخبره اوتونبشتم الذي أجهد نفسه أيما إجهاد بالوصول إليه ، بأن الخلود لا يناله المرء اعتباطاً[٧١٦] ، فكانت مشورته له :

(لِمَ أنت تطيل من شقائك يا كلكامش ...

وتنهك قواك بالسهر

---

[٧١١]- ساكز ، البابليون ، ص٦٣ ؛ كذلك المؤلف نفسه ، عظمة بابل ، ص ص٤٥٢ – ٤٥٣.
[٧١٢]- دوبلهوفر ، رموز ومعجزات ، تر : عماد حاتم ، دار علاء الدين ، ط٢ ، (دمشق : ٢٠١٠) ، ص١٥٤.
[٧١٣]- ثلماستيان عقراوي ، المرأة دورها ومكانتها ، ص١٩٨.

[٧١٤]- بول فريشاور ، الجنس في العالم القديم ، تر : فائق دحدوح ، دار علاء الدين ، ط ٣ ، (دمشق : ٢٠٠٧) ، ص٦٦ ؛ وينظر :

Jacobsen , Thorkild , The Ttreasures Darkness (A history of Mesopotamian Religion) , YUPN , (New Haven , London: 1976) , p205.

[٧١٥]- طه باقر ، ملحمة كلكامش ، ص١٣٨.
[٧١٦]- فوزي رشيد ، الفكر عبر التاريخ ، ص١٢٠.

وتملأ نفسك بالحزن

أنك بذلك تقرب أيامك البعيدة فقط ...

إن ذكر الإنسان يقطع مثلما يقطع القصب ...

فلا أحد يرى الموت

ولا أحد يرى وجه الموت

ولا أحد يسمع صوت الموت

لكن الموت صارم يقطع الإنسان تماماً)[٧١٧].

وتبدو لهذه النصيحة أهمية ، لأنها صدرت من شخص ليس بإله ، ولا بملك ، ولا بكاهن، أو عضو في مجلس المدينة ، إنها نصيحة الناجي الوحيد من الطوفان اوتونبشتم إلى بطل الوركاء كلكامش ، ونتلمس من ظاهر النص ثمة توافق إلى حد بعيد مع النصيحة التي أسدتها إليه سيدوري صاحبة الحانة ، فكلاهما كان يدعوه إلى العيش الرغيد والابتعاد عن كل ما يشوب النفس من حزن في التفكير بالموت ، لم يتحقق لكلكامش مراده بنيل الخلود ، على الرغم من إقدامه على الظفر بالنبات[٧١٨] ، الذي نصحه اوتونبشتم بالحصول عليه :

(سأفتح لك ، يا كلكامش ، سراً خفياً

أجل ! سأكشف لك عن سر من أسرار الآلهة !

يوجد نبات مثل الشوك ينبت في المياه

وشوكه يخز يديك كما يفعل الورد

فإذا ما حصلت يداك على هذا النبات وجدت الحياة (الجديدة)[٧١٩].

٧١٧- فاضل عبد الواحد علي ، سومر اسطورة وملحمة ، ص٢٢٢.

٧١٨- هناك رأي بأن هذا النبات هو العجرم ومن خواصه السحرية تجديد الشباب ؛ طه باقر ، ملحمة كلكامش ، هامش رقم (١٩٥) ، ص١٦٦ ؛ فيما يشير رأي آخر إلى أن ما دعا اوتونبشتم كلكامش للحصول عليه هو اللؤلؤ؛ سامي سعيد الأحمد ، تاريخ الخليج ، ص ص٢١٠ – ٢١١.

٧١٩- طه باقر ، ملحمة كلكامش ، ص١٦٥.

إذ إن حصوله على هذا النبات ، لم يدم طويلاً بفقده إياه بسرقته من قبل حية[٧٢٠] ، إلا أن ذلك لم يمنع العراقي القديم من حل عقدة الخلود ، التي سعى إليها كلكامش ، فتم التوصل إلى أن ما يُخَلِّفُه الفرد من أبناء ، لا يشكل معنى الخلود الأسمى ، بل السمو ، والخلود ، يكمنان في الأفعال التي تترك أثرها وتتناقلها الأجيال عبر الزمن[٧٢١] ، فخلد أعماله على حجر الأساس ، الذي ضم إلى جانب منجزاته العمرانية ، بطولاته الخارقة[٧٢٢].

وفي الجانب الديني أيضاً كان الخوف من الموت قد لازمته عقيدة دينية مفادها ، تحريم انتهاك حرمة العالم الأسفل بأي ثمن كان[٧٢٣] ، ومحرمات العالم الأسفل نطالع عنها التالي ، في نصح كلكامش لانكيدو لدى نزول الأخير إلى العالم الأسفل ؛ لاسترجاع آلتيه الموسيقيتين اللتين سقطتا منه في العالم الأسفل[٧٢٤] :

(لا ترتد ثوباً نظيف ،

إذ سيكتشف الأموات أنك غريب ،

لا تمسح جسمك بالزيت المعطر[٧٢٥] **،**

فأنهم باستنشاقك ، سيجتمعون حولك ،

لا تلق عصا الرماية في الأرض ،

فأن الذين تصيبهم العصا سيحيطون بك ،

لا تلوح بعصا في يديك ،

فإن أشباح الموتى سيتولاها الذعر أمامك ،

٧٢٠- فوزي رشيد ، الفكر عبر التاريخ ، ص١٢٠.
٧٢١- طه باقر ، ملحمة كلكامش، ص٤٣.
٧٢٢- فاضل عبد الواحد علي ، سومر أسطورة وملحمة ، ص١٨٣.
٧٢٣- شمار ، المسؤولية الجزائية ، ص١٣١.
٧٢٤- قاسم الشواف ، ديوان الأساطير ، ج٤ ، ص١٧٣.
٧٢٥- كان دهن الجسد بالمراهم فعل طقوسي غرضه التطهير ؛ ينظر :
Laneri , Nicola . and the Athers , Performing Death Social Analyses of Funerary Traditions In the ANE And Mediterranean , OIUC , (Chicago : 2007) , p170.

لا تلبس حذاء في قدميك ،

لا تحدث ضجة في الأرض ،

لا تعانق الزوجة التي تحبها ،

ولا تضرب الزوجة التي تكرهها ،

لا تعانق الابن الذي تحبه

ولا تضرب الابن الذي تكرهه)[٧٢٦].

إن النص يدلنا وبصراحة على وجود قوانين تحكم العالم الأسفل ، عالم الأموات ، مثلما كانت هناك قوانين تحكم العالم الأعلى ، عالم الأحياء ، ولكلا العالمين آلهة تحكمهما[٧٢٧]، وأن عدم تمسك انكيدو بنصح صديقه كلكامش ، أفقدته آخر فرصة للخروج من هذا العالم[٧٢٨] ، ولإن الاعتقاد كان قوياً بأن يتم الفصل بين عالم الأحياء وعالم الأموات[٧٢٩] لذا كان عليه أن لا يعمل أي شيء له علاقة بعالم الأرض لان هناك فاصل ما بين العالم العلوي والعالم السفلي.

ولم يتسنَ لكلكامش في ظل مخالفة صاحبه لنصائحه سوى اللجوء إلى الإله انليل ، ومن ثم مساعد البشر الأول الإله (انكي/ايا) ، الذي وجه أوامره إلى الإله اوتو بأن يفتح كوة في الأرض ليتسنى لشبح انكيدو الصعود إلى الأرض[٧٣٠] ، ولعل الخير الذي جنته البشرية من مخالفة انكيدو لنصح كلكامش ، يتجسد في نقله للصورة التي عليها العالم الأسفل ، من شر ، وخير ، والطريق المؤدي إلى كليهما[٧٣١].

وفي الجانب الزراعي بلغت النصيحة من التفصيل الشيء الكثير في إرشادات وجهها أب فلاح لولده ، وقد عرفت هذه الإرشادات بعنوان "في الأزمان القديمة زود فلاح أبنه بهذه

٧٢٦- لابات ، المعتقدات الدينية ، ص ص٢٦٦ – ٢٦٧.

٧٢٧- بديعة امين ، في المعنى والرؤيا ، ص ص٢٢٤ – ٢٢٥.

٧٢٨- المصدر نفسه ، ص١٢٥.

1- Laneri , and the Athers , Performing Death Social Analyses , p171.

٧٣٠- كريمر ، من ألواح سومر ، ص٣٢٩.

٧٣١- عن واقع العالم الأسفل ، ينظر ، قاسم الشواف ، ديوان الأساطير ، ج٤ ، ص ص١٧٤ – ١٧٥.

الإرشادات"[٧٣٢] ويأتي في مقدمة هذه الإرشادات نصح الفلاح لولده الاهتمام بسقي الأرض ، وليس اعتباطاً أن جعل الأب الفلاح في مقدمة نصائحه حفظ الأرض من الجفاف ، أو الغرق ، في ظل تسبب كلا الحالتين في ارتفاع مقدار ملوحة الأرض :

(عندما تجهز للزراعة ، عليك أن تهتم أولاً بفتح أقنية السقاية فلا ترتفع المياه إلى مستوى عال جداً . وعندما تفرغ الأقنية من المياه ، أحرص على أن تكون أرض الحقل الرطبة مسطحة)[٧٣٣].

كان ارتفاع ملوحة التربة ، إلى جانب فيضان نهري دجلة والفرات ، من بين اشد الأمور ترويعا للفلاح في العراق القديم ، وهي ناتجة عن ترسبات مياه الإرواء[٧٣٤] فوق التربة[٧٣٥]، وكان لاحتواء مياه الأنهار على كمية عالية من الأملاح ، التي تترسب فيما بعد في المنطقة السهلية ، وصعوبات البزل وحرارة الصيف العالية تأثيرها في ارتفاع ملوحة التربة[٧٣٦] ، وكانت مسألة معالجة الملوحة ، تتطلب إرواء الأرض بصورة جيدة[٧٣٧].

ولفرض السيطرة على مياه القنوات أهمية كبيرة ، لدرجة أن عّدَ الفكر العراقي القديم لها إلهاً يسيطر عليها ، هو الإله انكيمدو An Kimdu ، كما جاء في أسطورة انكي ونظام الكون : **("انكيمدو"، رجل القناة والسد)**[٧٣٨] ، وكان من دواعي فخر وعظمة ملوك الرافدين ، شق الجداول، وإيصال المياه إلى أراضي البلاد الخصبة[٧٣٩] ، لأن فساد نظام الري يعني ؛ التسبب

٧٣٢- كريمر ، من ألواح سومر ، ص١٣٩ ؛ وينظر : بوتس ، حضارة وادي الرافدين ، ص١١٨.

٧٣٣- جان كلود مارغرون ، السكان القدماء لبلاد ما بين النهرين وسورية الشمالية ، تر : سالم سليمان العيسى ، دار علاء الدين ، (دمشق : ٢٠٠٩) ، ط٣ ، ص١١١.

٧٣٤- كان عصر العبيد حوالي ٤٠٠٠ ق . م قد شهد أولى ممارسة للري المنظم في الزراعة من قبل السومريين ؛ شاه محمد علي الصيواني ، أور ، ص١٥.

٧٣٥- جورج رو ، العراق القديم ، ص ص٢٦ – ٢٧.

٧٣٦- ديفيد وجوان اوتيس ، نشوء الحضارة ، ص ص٣٢ – ٣٣.

٧٣٧- سيتون لويد ، آثار بلاد الرافدين ، ص١٥.

٧٣٨- كريمر ، السومريون ، ص٢٤٨.

٧٣٩- ادون بفن ، ارض النهرين ، ص٢٠.

في ارتفاع ملوحة الأرض[٧٤٠] ، ويعزو الأستاذ كريمر نشوء السلطة بمؤسساتها الحكومية ، إلى عنصر رئيس يتمثل ؛ بالسيطرة على المياه وتنظيم شؤونها[٧٤١] ، وكان من أسباب النزاع بين اكا وكلكامش ، مطالبة الأول للوركاء الإسهام في أعمال الري[٧٤٢].

وجاءت نصيحة الفلاح الثانية لولده بتأكيده على حماية الأرض الزراعية من الحيوانات وهو أمر أحتاط العراقي القديم منه ؛ لتسببه في هلاك المزروعات ، فعلى سبيل المثال ، كانت تربية الأبقار تتم في المناطق التي تكفي لزراعة الناس المستقرين ؛ حتى يتم رعيها في المناطق المجاورة للأراضي الزراعية[٧٤٣] ، وتتواصل نصائح الفلاح الأب لولده بتوجيهه إلى كيفية تنظيف الأرض وحراثتها :

(دع ثيرانا منعلة [أي ثيران ذات أظلاف محمية بطريقة أخرى] تدوسها لك ، وبعد أن تقتلع أعشابها الضارة وتحول الحقل إلى ارض مستوية ، اعزقها على مستوى واحد بفؤوس حادة ، لا يزن كل واحد منها (أكثر) من ثلثي الرطل. [وبعد ذلك] دع حامل المعول يعمل في إزالة [آثار] أظلاف الثور ويمهدها [أي الأرض] لك . ولتساو الشقوق بجرافة ، واجعله [أي حامل المعول] يطوف مع المعول على زوايا الحقل الأربع)[٧٤٤].

والمتّبع في زراعة العراق التقليدية ، أن الحراثة تكون بعد سقوط المطر للحصول على ؛ تربة لينة ، تزيد الحراثة من صلاحيتها للزراعة ، وبخلافه ، أن عدم سقوط الأمطار ، يتطلب من المزارع أن يبادر إلى ترطيب أرضه بالطرق المعتادة[٧٤٥] ، وكان المحراث أول أمره قد تم صنع أسنانه من الخشب المغطى بالنحاس ، وقبيل الألف الثالث قبل الميلاد تم استخدام البرونز إلى جانب

---

[٧٤٠]- ساكز ، عظمة بابل ، ص٥٥.

[٧٤١]- كريمر ، السومريون ، ص٥.

[٧٤٢]- ديكانوف ي . م وآخرون ، تاريخ الشرق القديم ، ص١٨٢.

[٧٤٣]- زودن ، مدخل إلى حضارات الشرق القديم ، ص١٠٥.

[٧٤٤]- كريمر ، السومريون ، ص٤٩٢.

[٧٤٥]- بوتس ، حضارة وادي الرافدين ، ص١٢١.

استمرار النحاس[٧٤٦] ، وأشار الفلاح في نصحه لولده إلى ضرورة أن يراقب عماله الأجراء : **(ولا تتهاون مع أي تسكع في العمل قف على رؤوسهم (أي على عمال الحقل) خلال عملهم)**[٧٤٧]، لضمان ؛ عدم تهاونهم في العمل[٧٤٨] ، وهؤلاء العمال ، كان جلهم من الطبقة المعروفة بـ "شبه الحرة"[٧٤٩] والأجراء هم ؛ العمال الذين يتلقون أجر لقاء عملهم ، ويعمل هؤلاء تحت إشراف أحد المراقبين[٧٥٠].

ومن سياق النصح المتواصل الصادر عن هذا الفلاح نستدل على أن نوع من الباذرات ذات التقنية المتطورة استعملت في ذلك الوقت : **(وعندما تحرث الحقل بالمحراث ذي الباذرة**[٧٥١] **راقب صاحبك الرجل الذي يلقي البذور)**[٧٥٢].

ومن أوجه النصح المهمة التي نصح بها الفلاح أبنه نصحه له بتعظيم الآلهة ، من إقامة الصلوات عن كل عملية زراعية ، وقد جاء تطبيق لهذه الصلوات في نصوص من مدينة "أُما"، على شكل أربع مجموعات : مجموعة واحدة بعد بذر البذور ، والثانية قبل جني المحصول، والثالثة بعد إحضار محصول الشعير الذي تم حصده إلى الساحة المخصصة

٧٤٦- زودن ، مدخل إلى حضارات الشرق القديم ، ص١١٠ ؛ وعن استخدام المحراث في الزراعة ينظر : بوتس ، دانيال تي ، حضارة وادي الرافدين الأسس المادية ، تر : كاظم سعد الدين ، الهيئة العامة للآثار والتراث، (بغداد : ٢٠٠٦) ، ص١٣٨.

٧٤٧- كريمر ، السومريون ، ص٤٩٣.

٧٤٨- سامي سعيد الأحمد ، السومريون وتراثهم الحضاري ، ص٩٦.

٧٤٩- صالح حسين الرويح ، العبيد في العراق القديم ، مطبعة اوفسيت الميناء ، (بغداد : ١٩٧٧) ، ص١٧١.

٧٥٠- نوالة أحمد المتولي ، مدخل في دراسة الحياة الاقتصادية لدولة أور الثالثة (في ضوء الوثائق المسمارية المنشورة وغير المنشورة) ، دار الحوراء ، (بغداد : ٢٠٠٧) ، ص١٩٦.

٧٥١- والباذرة المستخدمة كانت عبارة عن قمع فوق شفرة محراث ، تسمح للبذور أن تسقط بصورة مباشرة في الحفرة ، مع قيام مزارع بمرافقة المحراث ؛ لتجهيز القمع بالبذور مع مراقبته لنزول البذور داخل الحفر إلى عمق عقدة ونصف ؛ ساكز ، الحياة اليومية ، ص١٩٨ ؛ وهذا النوع من المحاريث يضمن إنتاج غلة كثيرة وجيدة ؛ بوتس ، حضارة وادي الرافدين ، ص١٢٩.

٧٥٢- بوتس ، حضارة وادي الرافدين ، ص١٢٩.

لدرسه[٧٥٣] ، والرابعة تضم أنواع مختلفة ، وأن مكمن الاختلاف فيها عائد ؛ إلى نوع الحيوان المضحى به[٧٥٤].

وكان خاتمة ما نصح به الفلاح ولده قوله : بأن هذه الإرشادات من عند الإله نينورتا ، وكأن لسان حاله يقول : بأن الالتزام بها ، التزام بما تمليه الآلهة ، ومخالفتها مخالفة له : **(هذه هي) إرشادات "نينورتا" بن "أنليل" فيه "نينورتا" ، يا فلاح "انليل" الموثوق به أن الحمد لك حسن)**[٧٥٥].

وعلى ما يبدو أن علاقة الإله نينورتا الملقب بـ"الفلاح" بالزراعة والخصب[٧٥٦] ؛ هو ما دفع الفلاح إلى عد هذه الإرشادات من عنده ، وقد تعامل نص الإرشادات مع أرض زراعية مقسمة على قسمين هما : الأرض البور ، فينصح الأب أبنه بغمرها بالمياه وغسلها في فصلي الربيع والصيف على أن يقوم بحراثتها وبذارها في فصلي الخريف والشتاء ، أما القسم الثاني من الأرض فهي المزروعة ، فينصح بحصادها ودراستها في فصلي الربيع والصيف ، وتركها لترتاح في فصلي الخريف والشتاء[٧٥٧].

ولم تقتصر النصائح المتعلقة بالشأن الزراعي على ما تقدم من نصح الفلاح لولده بل عُرف عن ملوك العراق القديم تبادلهم النصح في هذا الشأن ، ومن ذلك ما جاء في نصائح وجهت لـ"زيوسدرا"[٧٥٨] في تعاليم يعود تاريخ تدوينها إلى حدود عام (٢٠٠٠ ق . م) [٧٥٩] ،

٧٥٣- الدرس يطلق على عملية فصل القشور عن الحبوب للتمكن من صنع الخبز الذي يعُد قوام الحياة ؛ ديفيد وجوان اوتيس ، نشوء الحضارة ، ص١٣٧.

٧٥٤- نوالة أحمد المتولي ، مدخل في دراسة الحياة الاقتصادية ، ص١٨٦ ص١٨٧.

٧٥٥- كريمر ، السومريون ، ص٤٩٥.

٧٥٦- فاضل عبد الواحد ، سومر أسطورة وملحمة ، ص١٢٦.

٧٥٧- بوتس ، حضارة وادي الرافدين ، ص١١٩.

٧٥٨- زيوسدرا بطل قصة الطوفان السومرية الذي عُد بحسب إحدى جداول إثبات الملوك آخر ملوك السومريين قبل الطوفان وأعطيت له مدة حكم خيالية مقدارها ٦٤٠٠٠ سنة وفي إثبات آخر مدة حكم مقدارها ٣٦٠٠٠ سنة ، فاضل عبد الواحد علي ، الطوفان ، ص ص٣٥ – ٣٦.

٧٥٩- صلاح سلمان رميض ، أدب الحكمة في وادي الرافدين ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد : ٢٠٠٠) ، ص٧١.

عُرفت بـ"تعاليم شروباك"[٧٦٠] ، أو (تعاليم الحكمة)[٧٦١] : **(ولا ينبغي زراعة حقل على الطريق)**[٧٦٢] ، ومع غموض المعنى والذي ربما يراد به أن وجود الحقل على الطريق سيجعله عرضة لأيادي المارين، إلا أن هذه النصيحة وإن لم تكن بالعمق الذي جسدته النصائح التي ذكرت سابقاً لا تخفي المدلول المطلوب المتمثل ، بأهمية الزراعة ، وما يصدر بشأنها من نصح.

وفي جانب التربية والتعليم أهتم السومريون اهتماما كبيراً بالكتابة[٧٦٣] ، ولم يكن تعلم الكتابة ممكناً دون سنوات من التعلم الجاد[٧٦٤] ، وكان تقبل التعلم ، الذي دعا السومريون اليه ، ورد في أحد نصائح الحكماء في الألف الثالث قبل الميلاد : **(يا بني تقبل تعاليمي)**[٧٦٥].

وما يهمنا هنا من أمر التعلم هو : ما يعنيه من معنى إجادة الكتابة ، لكونها المرحلة الأولى حتماً نحو النبوغ في شتى ميادين العلم الأخرى ، من دون أن ننسى ، أن تعلم بعض العلوم ، كان سابقاً لتعلم الكتابة كالزراعة.

وفي الجانب التربوي يلاحظ أنه بزيادة أعداد السكان في بلاد الرافدين القديمة ، وتعقد الحياة ، نمت العادات ، والتقاليد ، التي باتت أعرافاً ، يسير عليها كل أفراد المجتمع ، وكان من يخرج عليها ينظر إليه باستهجان[٧٦٦] ، وبشأن النصح ، والإرشاد ، المتعلق بالأمور التربوية ، يشير الأستاذ كريمر : إلى وجود ثلاثة مجاميع سومرية تتعلق : بالإرشادات ، والنصائح ، الأولى ؛ هي "تقويم الفلاح" ، والثانية "إرشادات شروباك لابنه زيوسدرا" ، والثالثة عبارة عن نصائح تتعلق بطبيعة السلوك الحكيم[٧٦٧] ، وبعض من العلماء ، لا يفصل بين المجموعتين

٧٦٠- أُختلف فيما إذا كان شروباك أسم رجل هو والد زيوسدرا أم كان أسم لمدينة شروباك المعروفة آثارها الآن باسم مدينة فارة ؛ ينظر : فاضل عبد الواحد علي ، الطوفان ، ص٣٧.

٧٦١- سهيل قاشا ، الحكمة في وادي الرافدين ، دار الرافدين ، (بيروت : ٢٠٠٦) ، ص٨٤.

٧٦٢- عبد العزيز صالح ، الشرق الأدنى القديم ، ص٦٦٢.

٧٦٣- كييرا ، كتبوا على الطين ، ص٦٩.

٧٦٤- ساكز ، عظمة بابل ، ص٢١٢.

٧٦٥- وليد الجادر وعبد الإله فاضل ، دور العلم والمعرفة في العراق القديم ، المورد ، العدد ٣ ، ١٩٨٧ ، ص٨٤.

٧٦٦- فاضل عبد الواحد وعامر سليمان ، عادات وتقاليد الشعوب القديمة ، ص٥٧.

٧٦٧- كريمر ، السومريون ، ص٣٢٠.

الأخيرتين ؛ بجعلها مجموعة واحدة[٧٦٨] ، وقد تضمنت إرشادات شروباك ، لولده زيوسدرا ، مفهوماً تربوياً كبيراً ، من بين ما جاء في الجانب الاجتماعي منها ، نصائحه التي تؤكد على ضرورة احترام نصائح الأب :

(يا بني ، سأرشدك ، فأصغ لإرشادي ،

يا "زيوسدرا" ، سأقول لك كلمة ، فأصغ لها ،

ولا تهمل إرشادي ،

ولا تخالف الكلمة التي نطقت بها ،

نفذ إرشاد الوالد ، الإرشاد القيم بإتقان")[٧٦٩].

ويشكل احترام الفرد لوالديه ، حلقة من بين حلقات أخرى ، نرى فيها طاعة موجهة للدولة، والمجتمع ، وأرباب العمل[٧٧٠] ، فنظام الأسرة كان أشبه بنموذج مصغر لنظام الدولة ، فبينما الدولة يترأسها ملك ، كانت الأسرة يترأسها الأب ، الذي حظي بمنزلته الكبيرة ، كونه : هو من ينفق على الزوجة ، والأطفال[٧٧١] ، وكانت الحياة الفاضلة عند السومريين هي ؛ الحياة (المُطيعة) ، المتمثلة بسلسلة حلقات ، وأقربها إليه تتمثل بالأب ، والأم ، والأخ الأكبر ، والأخت الكبرى[٧٧٢] ، وقد عُدت مسألة احترام الابن لأبيه ، وكذلك احترام الصغير السن ، وصغير القدر، أو المنزلة ، لمن هم أكبر سناً، أو قدراً ، بأنها من مسببات إظهار الاحترام في البلاد ، كما يتضح ذلك من النص الآتي :

٧٦٨- سهيل قاشا ، الحكمة في وادي الرافدين ، ص٨٤.

٧٦٩- كريمر ، السومريون ، ص٣٢١.

٧٧٠- جمال المرزوقي ، الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي ، دار الآفاق العربية ، (القاهرة : ٢٠٠١) ، ص١٩٦.

٧٧١- فاضل عبد الواحد وعامر سليمان ، عادات وتقاليد الشعوب القديمة ، ص٦٣.

٧٧٢- زهير صاحب ، أغنية القصب (دراسة في الحضارة السومرية) ، دار الجواهري ، (بغداد : ٢٠١١) ، ص ص١٠٤ – ١٠٥.

(يوم يحجم المرء عن السفاهة إزاء غيره ، ويكرم الابن أباه ،

يوم يبين الاحترام جلياً في البلاد ، ويبجل صغير القدر الكبير ،

يوم يحترم ( ) الأخ الصغير ...أخاه الكبير ،

ويرشد الولد الأكبر الولد الأصغر ويتمسك (الأخير) بقراراته)[٧٧٣].

وللأم ذات المنزلة من الرفعة ، والسمو ، والنصح بحقها ، لم تقِلْ شأناً عن النصائح المعنية بالأب ، ومن ذلك نقرأ : **(أطع كلام أمك كأنه أمر إلهي)**[٧٧٤] والمرأة حظيت بحماية قانونية، إلى جانب ما أظهره هذا النص من حماية أخلاقية ، إذ عُرف عن الأمير أوروانمكينا Ur–anmkina (٢٣٧٨ – ٢٣٧١ ق . م) ، تضمين إصلاحاته تثبيت لحقوق النساء ، سواء كُنَّ أرامل ، أم كحماية مطلقة لهن من سطوة المتنفذين ، والأقوياء[٧٧٥].

واحترام الصغير للكبير ، لم تكن لتتوقف عند حد احترام الابناء للآباء والامهات ، كما يظهر ذلك في نص المجادلة بين تلميذ مغرور والأخ الكبير[٧٧٦] ، إذ يقرر الأول أن يكتب ما يريد من تعليمات ، دون أن يرجع للأخ الكبير : **(لقد تقدمت في السومرية ؛ أنا أبن ناسخ بينما أنت طبلاً فارغاً ، أنك لا تتمكن من تنظيف الرقيم وحتى مسكه ، فأنت تدعو معرفة السومرية مثلي؟)**[٧٧٧] ، فيخاطبه الأخ الكبير ناصحاً اياه ، بأن يحترم من هو أكبر منه سناً :

(إذا ما أعطيت أنت التعليمات

فلن أكون أنا الأخ – الكبير

وأين يصبح مركز الأخ – الكبير عندئذٍ ؟

٧٧٣- جاكوبسن وآخرون ، ما قبل الفلسفة ، ص٢٣٩.

٧٧٤- طه باقر ، مقدمة في أدب العراق القديم ، ص١٩٦؛ وينظر : قاسم الشواف ، ديوان الأساطير ، ج٣ ، ص٣٤٦.

٧٧٥- ثلماستيان عقراوي ، المرأة ، ص٣٠.

٧٧٦- دُعيّ مساعد المدير بالأخ الكبير ؛ سامي سعيد الأحمد ، السومريون وتراثهم الحضاري ، ص١٠٦.

٧٧٧- سامي سعيد الأحمد ، السومريون وتراثهم الحضاري ، ص١٠٩.

اعلم أن الغرور يقضي على العلاقة مع الأخ الكبير ،

يا للذكاء الخارق [...]

قد تكون يدك بارعة ولكن ،

ليس باستعمال قلم الكتابة على لوحة !)[٧٧٨].

إن التلميذ الصغير السن ، ما أن يصل إلى المرحلة الدراسية الوسطى ، حتى تنشأ لديه أفكار خاصة به ، تقوده إلى الاصطدام بالأخ الكبير ، مما يستدعي تدخل المدير الذي يعمد إلى؛ استعمال العقوبة الجسدية بحق التلميذ الصغير[٧٧٩] ، ولعل الغيرة ، والحسد ، هما من دفعهما إلى المجادلة ، كونهما أصبحا بمنزلة واحدة من التعلم[٧٨٠] ، وجاء أيضاً في نصائح شروباك لولده ما يعبر عن أخلاقيات المجتمع ، ورقيه الاجتماعي، كما يُرى في النص الآتي :

(عليك مراقبة ما يقوله فمك والسهر على مضمون خطابك ،

ففي ذلك مقدرة الرجل ، وليكن قولك ذا قيمةٍ أكيدة ،

وليكن التجديف والنميمة مكروهين لديك ،

لا تتلفظ بسخريات ولا بآراء غير صادقة :

لأنه بازدراء ينظر إلى صانع المشكلات !)[٧٨١].

والملاحظ على هذه النصائح : مدى اهتمام العراقي القديم ، بحفظ اللسان ، وعدم مس الآخرين ، بأي شكل من الأشكال ، كالكلام الذي يجرحهم ، وإلى هذا المعنى أيضاً ، يشير المثل السومري:

٧٧٨- قاسم الشواف ، ديوان الأساطير ، ج٣ ، ص ص٣٠٤ – ٣٠٥.

٧٧٩- ساكز ، الحياة اليومية ، ص١١٧.

٧٨٠- صلاح سلمان ، أدب الحكمة ، ص١٥٠.

٧٨١- قاسم الشواف ، ديوان الأساطير ، ج٣ ، ص٣٥٦.

(القلب لا يقود إلى العداوة ، إن اللسان هو الذي يقود إلى العداوة)[٧٨٢] ، وقد عُدَّت الغيْبة من المحرمات ، التي يعاقب عليها المرء ، من قبل الآلهة ، كما مبين في النص الآتي :

(لا تغتب ، وقل قولا حسنا

لا تتكلم بالشر بل بالخير

إن من يغتب ومن يقل الشر

سيعاقبه شمش بقطع رأسه)[٧٨٣].

وكانت واحدة من بين سبل إظهار العطف من قبل الإنسان، لأخيه الإنسان، وأن كان هذا ضعيفاً، أو مسكيناً، يكون بالكف عن إيذائه، فعلاً، أو قولاً، كما مبين في النص:

(أظهر العطف للضعفاء

لا تهن المساكين

قم بالأعمال الصالحة ، وقدم العون في كل أيامك ...

لا تشهر بالآخرين وحدث بالحسنات ،

لا تقل أشياء خبيثة ، وقل في الناس قولا جميلا)[٧٨٤].

وكانت أعمال الازدراء بالضعفاء ، تستوجب عقوبة الآلهة ، كما يظهر من النص الآتي:

([لا تنتهر] قليل العقل ، بل أشفق عليه

لا تزدر الذين هم عرضة لتجربة ،

لا تتوجه إليهم بغطرسة:

٧٨٢- كريمر ، السومريون ، ص٣٢٢.

٧٨٣- شمار ، المسؤولية الجزائية ، ص١٠٠.

٧٨٤- جورج رو ، العراق القديم ، ص١٤٤.

لأنه من اجل ذلك يهجرك إلهك الشخصي

الذي يحميك

وهذا أيضاً مكروه لدى شمش ويعاقب عليه)[٧٨٥].

وقد اتخذت النصائح في الجانب التربوي ، أوجه مختلفة ، ومتنوعة أخرى ، كأن تكون في نصح المرء بأن يُحكم تصرفاته ، كما في المثل السومري : **(إن تصرفاتك صبيانية ، ليست فيها رجولة أبداً)**[٧٨٦] وكذلك التوجيه بعدم التسرع والصبر : **(لا تقطفها الآن ، وستحمل الثمر فيما بعد)**[٧٨٧].

ومن جهتها كانت المدرسة[٧٨٨] السومرية تهدف إلى تدريب الكتبة[٧٨٩] ، لسد متطلبات البلاد الاقتصادية والإدارية ، وبشكل خاص ما يحتاج إليه المعبد ، والقصر ، من الكتاب[٧٩٠] ، والمدرسة شغلت مكاناً لها داخل المعبد[٧٩١] ، قبل أن تستقل فيما بعد في بيوت خاصة[٧٩٢] ، وكان اختراع الكتابة المسمارية هو من قاد إلى إيجاد المدرسة[٧٩٣] ، وقد حظي أمر تعلم الكتابة بالنصيحة ، لدرجة تكشف معها مقدار أهمية هذا الميدان العلمي ، كونه بوابة لسبر غور باقي

٧٨٥- قاسم الشواف ، ديوان الأساطير ، ج٣ ، ص٣٥٧.

٧٨٦- عبد الهادي الفؤادي ، بحث في الأمثال العراقية دراسة مقارنة لأمثال المجتمع العراقي القديم والمعاصر ، سومر ، مجلد ٣٠ ، ١٩٧٤ ، ص٣٤.

٧٨٧- كريمر ، السومريون ، ص٣٢٢.

٧٨٨- بيت الألواح (É-DUB-BA) هي التسمية السومرية للمدرسة وعبّرت اللفظة الأكدية (bit ţu pp) عن معنى بيت الألواح أو بيت الرقيم ؛ طالب منعم الشمري ، المدارس في العراق القديم (أبحاث المؤتمر العلمي الثالث لكلية التربية / جامعة واسط) ، ٢٠٠٨ ، ص٥١.

٧٨٩- كان من أهداف المدرسة في العهد البابلي القديم تعليم السومرية للحفاظ على الموروث الحضاري عقب زوال نفوذهم السياسي ؛ المصدر نفسه ، ص٥٦.

٧٩٠- كريمر ، من ألواح سومر ، ص٤٥.

٧٩١- ايمار واوبوايه ، الشرق واليونان القديمة ، ص١٦٨.

٧٩٢- سبيزر ، حضارة وادي الرافدين ، ص١١١.

٧٩٣- كريمر ، من ألواح سومر ، ص٤٣.

العلوم ، كما يتضح من النص الآتي : (**إن الكاتب الذي لا يعرف السومرية ، كيف يمكنه أن يحصل على نص سومري مترجم ؟**)[٧٩٤] ، علماً هناك نمطان للتعلم في المدرسة الأول : علمي يقوم على أساس البحث ، والثاني قائم على أسس إبداعية كالإنتاج الأدبي[٧٩٥]. كانت من أبلغ صور ولع العراقي القديم بتعلم الكتابة ، نصح تلميذ لوالده بأن يستدعي معلمه ، إلى بيتهم ، لكي؛ يّلين الأب قلبه عليه ، فكان جواب الأب على هذه النصيحة ، بأن استدعاه إلى بيته حسبما جاء في النص[٧٩٦] :

(لقد استمع الأب إلى نصيحة ابنه التلميذ وجاء المدرس من المدرسة ، وبعد أن دخل البيت أجلسه في اشرف مكان ، وقام التلميذ على خدمته ، واخذ يستعيد أمام أبيه كل ما تعلمه من فن كتابة الألواح ثم ... قدم الأب للمدرس الهدايا ... وطابت نفس المعلم من هذا الإكرام وحسن الضيافة فأخذ يطمئن ذلك الناشئ الطامح بتعلم الكتابة ...)[٧٩٧].

وليتحول بذلك رأي المعلم الذي كان دائم التوبيخ لتلميذه لرداءة خطه إلى مداح له لحسن دراسته وتحسن خط يده واعداً إياه بالنجاح أن واصل خطاه بهذا الجد والنشاط في التعلم[٧٩٨] ، وبينما يذهب الأستاذ كريمر إلى وصف هذه الحادثة بكونها أول حالة تملق[٧٩٩] ، نرى أن من الأنسب وصف هذه الحالة بأنها أول حالة رشوة مدونة ، ومثبتة تاريخياً ، بدليل أن المعلم بادر إلى القول بعد قبول دعوة والد التلميذ ، بأن ابن صاحب البيت كان تلميذاً جيداً يلتزم بتعاليمه ، وإرشاداته :

(أيها الشاب ، لأنك لم تهمل قولي ولم تنبذ إرشادي ، عساك أن تبلغ القمة في فن الكاتب ، وعسى أن تتقنه غاية الإتقان . ولعلك تكون القائد بين أخوتك وأن تصبح رئيساً على جميع

---

[٧٩٤]- كرستوفر لوكاس ، <u>حضارة الرقم الطينية وسياسة التربية والتعليم في العراق القديم</u> ، تر : يوسف عبد المسيح ثروة ، دار الجاحظ ، (بغداد : ١٩٨٠) ، ص٤٢.

[٧٩٥]- سبيزر ، <u>حضارة وادي الرافدين</u> ، ص١١١.

[٧٩٦]- ألف النص مدرس مجهول الاسم عاش في الألف الثاني قبل الميلاد ؛ كريمر ، <u>من ألواح سومر</u> ، ص٥٥.

[٧٩٧]- عامر سليمان ، <u>العراق في التاريخ القديم</u> ، ج٢ ، ص٢٦٩.

[٧٩٨]- روثن ، <u>علوم البابليين</u> ، ص ص٣٦ – ٣٧.

[٧٩٩]- كريمر ، <u>من ألواح سومر</u> ، ص٥٥.

أصدقائك ، وليتك تبلغ أعلى الرتب بين طلاب المدرسة .. حقاً لقد أحسنت في أنجاز أعمال المدرسة كل الإحسان وأصبحت رجل علم !)[٨٠٠].

في حين ؛ كانت دعوته على أساس ، ما يعانيه التلميذ من مشاكل في المدرسة.

ويصنف الكتبة بحسب مستوى تعليمهم إلى الكتبة الصغار ، والمتقدمون ، والملكيون ، وكتبة المعابد ، والكتبة ذوي التخصص العالي في الشؤون الإدارية[٨٠١] ، ويلاحظ في هذه الأصناف ، مقدار الأهمية المادية التي يجنيها الشخص الذي يتقن الكتابة ، وهذا ما يؤكده نص النصح الآتي الموجه إلى أحد التلاميذ :

(ماذا فعلت وما فائدة جلوسك هنا ؟ لقد أصبحت رجلا ناضجا ، وتكاد تكون مسنا ! انك لم تعد قابلاً للتعليم مثل حمار مسن . لقد تجاوزت الموسم مثل حبة ذاوية .إلى أي مدى ستبقى تلهو ؟ لكن لم يفت الأوان بعد ! لو درست ليل نهار وعملت طوال الوقت بتواضع وبلا عنجهية واستمعت إلى نصائح زملائك ومدرسيك ، فيمكن أن تصبح كاتبا ! وبعد ذلك تنضم إلى مهنة الكتابة المربحة لصاحبها ويحرسك ملاك طيب ، وتعمل ببراعة وهذا ما يحتاجه القصر)[٨٠٢].

وجاء في رسالة مرسلة من قبل أديب إلى معلم ولده ، نصح يدعو فيه المعلم إلى تشجيع ولده إلى الذهاب للمدرسة ، وتقوية يده في الكتابة : **(علمه أن يذهب إلى المدرسة ، راقب يده وساعده)**[٨٠٣] ، وهذا دليل اهتمام الآباء بأبنائهم ، فيما يتعلق ؛ بتعليمهم حرفة الكتابة ، لعله ؛ لضمان أن يجد أبنائهم فرصة للعمل ، وجني ما يساعدهم على تمشية أمور حياتهم من متطلبات مادية ، وبالمقابل نجد في نص آخر ، مقدار أهمية تعلم الكتابة في نص نصح وإرشاد صادر

٨٠٠- المصدر نفسه ، ص٥٧.

٨٠١- المصدر نفسه ، ص٤٤.

٨٠٢- اوتس ، بابل ، ص٢٥٠.

٨٠٣- لوكاس ، حضارة الرقم الطينية ، ص٢٢.

عن مدير مدرسة[٨٠٤] لتلاميذه ، ولا نستبعد أن يكون ذلك في ساعة اصطفاف التلاميذ للإيذان لهم بالتوجه إلى مقاعد الدرس ، كما معمول به في مدارسنا بالوقت الحاضر :

(جاهد من اجل أن (تسيطر) على فن النسخ ، فإنه سيغنيك . كن مجتهدا في هذا الفن لأنه سيضفي عليك الثروة والخير ، لا تكن لا مباليا بصدد فن النسخ ، ولا تنبذه خلف ظهرك ، (هو بيت الغنى) وسر انكي ، اعمل جاهدا وبلا هوادة في هذا الفن ، لأنه سيكشف سره لك ... إن فن النسخ حظ سعيد وغنى وخير ، إذا هجرته فأن الناس سيغمزون قناتك بإشارات مقذعة . لما كنت طفلا عانيت ما عانيت من (هذا الفن) . (لكن) عليك أن تعمل جاهدا من اجله .. (لأنه سيجلب لك الفلاح الجميل)[٨٠٥].

ويتضح من هذا النص ، أهمية إجادة الكتابة للمتعلم ، وقد أفضى مدير المدرسة بذلك بصورة لا تقبل الشك ، ناصحاً التلاميذ بأن تعلمها سيوفر لهم فرصة عمل تَدُر عليهم بالخيرات التي يتطلعون إليها ، ومما يحسب لهذا المدير أنه ؛ لم يعمد إلى أتباع أساليب أخرى لحث المتعلمين على إجادة الكتابة ، كالتهديد بالعقوبة ، أو بإلقاء عبارات إنشائية ، لتجميل مهنة الكتابة في نفوسهم ، بل ذهب وبكل صراحة إلى الجانب المادي ليشحذ به هممهم على التعلم.

أوامر الإنسان للإنسان

يجدر بنا قبل البدء بتناول موضوع الأوامر في شن الحرب ، وبدء المنازلات العسكرية ، التطرق إلى الآلية التي يتم فيها تعبئة الجيش[٨٠٦] ، والتي لم تخلو من وجود إصدار للأوامر بشأنها، فقيام دويلات المدن السومرية بمغامرة الحرب ، لا يمكن تصوره دون أن تكون هناك خدمة عسكرية إلزامية ، وأن كانت نوعية الجُند الجديرين قليلة قياساً بالعدد الكُلي[٨٠٧] ، وكان

٨٠٤- عُرف مدير المدرسة بتسمية الخبير أو أب المدرسة أما التلميذ فسُميّ بابن المدرسة ؛ سامي سعيد الأحمد ، السومريون وتراثهم ، ص ص١٠٦ -١٠٧.

٨٠٥- لوكاس ، حضارة الرقم الطينية ، ص ص٣٩ – ٤٠.

٨٠٦- لا توجد إحصائيات محددة لقوات الجيش لكن بالاستناد إلى رسائل مدينة ماري في العهد البابلي القديم كانت أعدادهم تصل إلى ثلاثين ألف مقاتل ؛ زودن ، مدخل إلى حضارات الشرق القديم ، ص٩٤.

٨٠٧- ايمار واوبوايه ، الشرق ، ص١٤٤.

من لديه القدرة على القتال يساق إلى الجندية ، وفي حالة فقدانه لهذه القدرة يتم إعفائه[٨٠٨] ، ومعنى القدرة على القتال قد لا يتحدد بضمان تمتع الشخص المعني باللياقة البدنية ، فهذا نص من ملحمة كلكامش وأرض الأحياء[٨٠٩] ، يضع فيه بطل الملحمة شروط لمن يرغب بمرافقته في حملته من بين المقاتلين الذين رغبوا بذلك ، آمراً من لديه أسرة ، أو أم ، بالامتناع عن مرافقته لضمان قتالهم بشراسة ، من دون أن يشغلهم شيء ، وربما قصد بذلك ضمان عدم تذمر أهالي الوركاء بسوقه أبنائهم إلى مصير مجهول العواقب :

(من كان منكم يملك بيتاً (فليعد) إلى بيته

ومن كان له أُم فليعد إلى أمه ،

ليكن منكم خمسون رجلاً أعزب يفعلون كما أفعل

هم الذين يقفون إلى جانبي)[٨١٠].

وأن القوانين القديمة لاسيما البابلية ، حددت حقوق ، وواجبات أفراد الجيش ، وطبيعة هذه القوانين تشير إلى مبدأ الإلزامية ، ومنع البديل عن الشخص المعني بالخدمة العسكرية[٨١١] ، وهذا ما يظهر جلياً في المادة (٢٦) من شريعة حمورابي ، التي جاءت كتحذير ، وأمر للشخص المعني بالخدمة العسكرية من مغبة التهرب من أدائها :

(إذا طلب التحاق جندي أو سماك (يعمل في الجيش) في حملة للملك ولم يذهب أو أجر بديلاً بديلاً عنه (أجيراً) وأرسله عوضاً عنه ، فأن ذلك الجندي أو السماك يعدم . أما بديله (أي الذي أجر من قبله) فله أن يأخذ بيته (أي بيت الجندي أو السماك)[٨١٢].

٨٠٨- فوزي رشيد ، الجيش والسلاح في عصر فجر السلالات (الجيش والسلاح) ، ص٨٨.

٨٠٩- كلكامش وأرض الأحياء يرجع تاريخ تدوين آخر نسخة منها إلى مطلع الألف الثاني قبل الميلاد ، طه باقر ، مقدمة في أدب العراق القديم ، ص١٥٧.

٨١٠- كريمر ، من ألواح سومر ، ص ص٢٩٦ – ٢٩٧.

٨١١- فاضل عبد الواحد علي ، من سومر إلى التوراة ، ص٩٠.

٨١٢- فوزي رشيد ، الشرائع العراقية القديمة ، ص٩٣.

وكذلك جاء في المادة (٣٣) من نفس الشريعة ، التوجيه بأقسى العقوبات للقائم بالتجنيد(٨١٣) ، أن هو قبل بديلاً عن المعني بالخدمة العسكرية : **(إذا وافق رئيس أو عريف على تخلف جندي عن حملة الملك وقبل أجيراً وأرسله عوضاً عنه لحملة الملك ، فأن هذا الرئيس أو العريف يعدم)**(٨١٤).

ولم تكن هناك آلية محددة للتجنيد ، ولم يكن هناك ما يشير إلى كيفية منحهم الأرزاق لقاء خدمتهم في الجيش(٨١٥) ، إلا أن إصلاحات اوروانمكينا أشارت إلى أن أتباع الملك كانوا يمنحون أراضي زراعية ، وهي تدل أما إلى كونهم ضمن الحرس الملكي ، أو إلى كل المجندين، وفي حالة الأخذ بالرأي الأول ، تصبح مسألة تحديد كيفية ضمان معيشة بقية أفراد الجيش مبهمة(٨١٦)، ومن المرجح أن سرجون الأكدي هو أول من قام بتأسيس جيش نظامي دائمي(٨١٧) ، وهذا يجعلنا نفترض بوجود ما يساعد الجنود على إعالة أنفسهم ، وأسرهم ، لقاء خدمتهم هذه في الجيش.

وإن القول بحصول الجندي على مقابل لقاء أدائه الخدمة العسكرية ، لم يمنع ايضاً من وجود أساليب عنيفة لضمان أداء هذه الخدمة ، ففي رسالة من الملك الآشوري شمشي ادد الأول إلى نائبه على ماري يسمح ادد يأمره فيها ، بتوجيه شيوخ القوم إلى أن من واجبهم إحضار جميع الرجال للمشاركة في الحرب ، وأن أياً منهم في حال تخلف ولو كان رجل واحد من بين رجاله عن الخدمة العسكرية يعد بمثابة مرتكب لخطيئة بحق الملك : **(إذا شن الملك حملة [عسكرية] يجب أن يستعد الجميع حتى الأطفال فوراً . وكل شيخ لا يتجمع رجاله جميعاً، يرتكب خطيئة**

٨١٣- كانت تقع مهمة التجنيد في عهد حمورابي على عاتق شخصيتين هما (الريدوم) أي القائم بأعمال التعبئة العامة والبيروم وهو المسؤول عن تجنيد ما يعرف اليوم برجال الشرطة ؛ دولابورت ، بلاد ما بين النهرين ، ص٧٩.

٨١٤- فوزي رشيد ، الشرائع العراقية القديمة ، ص٩٥.

٨١٥- فاضل عبد الواحد و عامر سليمان ، عادات وتقاليد الشعوب القديمة ، ص١٢٣.

٨١٦- فوزي رشيد ، الجيش والسلاح في عصر فجر السلالات (الجيش والسلاح) ، ج١ ، ص٩٢.

٨١٧- فاضل عبد الواحد و عامر سليمان ، عادات وتقاليد الشعوب القديمة ، ص١٢٤.

بحق الملك حتى لو ترك رجلاً وراءه !)[٨١٨].

ويتضح من رسائل ماري أن إحصاء عام كان يتم إجراؤه في العصر البابلي القديم ؛ لتحديد القادرين على حمل السلاح[٨١٩] ، وكان في عهد الملك حمورابي من أتخذ الجندية مهنة له، وهم جنود الحرس الملكي ، وآخرون وهم الأكثر عدداً كان تجنيدهم يتم وقت الحاجة[٨٢٠] ، إلا أن ذلك لم يمنع من وجود اوامر عنيفة تصدر من أتباع الملك لضمان سرعة الالتحاق بالخدمة العسكرية من قبل المكلفين بها ، ومنها مقترح صدرَ عن أحد الضباط على ما يبدو إلى أحد الملوك[٨٢١] ، في ضوء تأخر الناس بالاستجابة لنداء الخدمة العسكرية : **(إذا وافق الملك ، فليقتلوا أحد المدنيين ويقطعوا رأسه ، ويدوروا به بين تلك المدن ... ليخاف الناس ويحضروا مسرعين)**[٨٢٢] ، وفي العهد الآشوري كانت نسبة العسكر قياساً بالسكان هي الأغلب، مما يدل على وجود التجنيد الإجباري[٨٢٣] وكان تجنيد أبناء القرى في هذا الجيش يأخذ منحى الضريبة[٨٢٤].

وكان ضرب الصف الداخلي للأعداء ، من بين ما عمل على تحقيقه ملوك العراق القديم؛ ليتسنى لهم بالأوامر الصادرة عنهم لهذا الغرض إضعاف الجبهة الداخلية للعدو ، والسيطرة عليه بسهولة ، ومن بين أبرز ما صدر من امر بهذا الشأن ، قيام الملك الآشوري شمشي ادد الأول (١٨١٤ – ١٧٨٢ ق . م) بإرسال رسالة إلى ولده يسمح ادد نائبه في ماري يأمره فيها قائلاً :

٨١٨- اوتس ، بابل ، ص٨٦.

٨١٩- فاضل عبد الواحد و عامر سليمان ، عادات وتقاليد الشعوب القديمة ، ص١٢٦.

٨٢٠- ايمار واوبوايه ، الشرق ، ص١٤٤.

٨٢١- تذكر الباحثة اوتس نص مشابه لهذا النص وفيه إشارة إلى أنه رسالة موجهة من قبل باهدي ليم إلى حاكم ماري يسمح ادد جاء فيه **(إذا كان ذلك يلقى تأييد سيدي ، فيجب إعدام أحد المجرمين المسجونين . لتُقطع رأسه ويحمل خارج المعسكرات حتى تصل هوتنيم وآبان لكي يزداد خوف الجنود ويتجمعون هنا بسرعة)** ؛ بابل ، ص٨٦.

٨٢٢- ساكز ، الحياة اليومية ، ص٩٦.

٨٢٣- ايمار واوبوايه ، الشرق ، ص١٤٥.

٨٢٤- كونتينيو ، الحياة اليومية ، ص٢٥١.

(أعطِ التعليمات الخاصة بالهجوم إلى الشخص الأول الذي استؤجر لك وأجعله يذهب إلى وسط البلاد ... وأجعل كل أهل مدينة زلماقم يقولون الآتي : "سيدنا الملك هو شيخنا ، سوف لن ينهبنا" ، هذا ما سيفهمونه وسيصغون إليه ... وعندما أتوجه (بحملتي) إلى تلك البلاد ، سيقومون بالثورة كلهم وبوقت واحد ، تصرف بموجب ذلك)(٨٢٥).

وتأتي الاوامر أحياناً بحسب ما تمليه الوقائع السياسية ، ومن ذلك ، أن نقص المؤن في بلاد سومر ، الذي رافق تقدم القبائل الآمورية صوب بلاد الرافدين ؛ نتيجة تدهور الأعمال الزراعية التي رافقت تقدمهم(٨٢٦) ، دفعت آخر ملوك سلالة أور الثالثة الملك ابي سن (٢٠٢٨ – ٢٠٠٤ ق . م) من إيجاد صيغة حل لإنهاء الضائقة الاقتصادية التي ألمت بمدينة أور ، جاعلاً نصب عينه مدينة أيسن ، وحاكمها اشبي ايرا(٨٢٧) ، وسيلة ممكنة لإنقاذه ، إلا أن الملك ابي سن، نجده يتلقى النصح من بوزر – نوموشدا الحاكم المُنصَبّ من قبله على مدينة كازالو ، يخبره فيها بأن اشبي ايرا ينوي استمالته إليه ؛ لتنفيذ مخططه بالانفصال عن سيده ، وتكوين مملكة خاصة به :

(إن رسول "اشبي – ايرا" وضع عينه علي (قائلا) ؟ إن مليكي "اشبي _ ايرا" أرسل الرسالة (التالية) : إن "انليل" مليكي ، أعطاني بأمره رعاية البلاد وأمرني "انليل" بأن اجلب إلى حضرة الإلهة "تينسينا" المدن ، والآلهة ، ومعسكرات ضفاف نهري دجلة والفرات ، وضفاف قناة "تونسي" وضفاف قناة "مي – انليل" ، من بلاد "حمازي"(٨٢٨) إلى بحر "ماكان"(٨٢٩) ، وإقامة "ايسن" كمقر (لحكم) "انليل" ولجعلها تسمى باسم (عظيم) ، ولجعل ...، ولجعل مدنها مستوطنة

٨٢٥- فاروق ناصر الراوي ، التعبئة وأساليب القتال في الجيش الآشوري (الجيش والسلاح) ، ج٢ ، ص ص١٢٥– ١٢٦.

٨٢٦- باتيرو وآخرون ، الشرق الأدنى ، ص١٥٧.

٨٢٧- كان اشبي ايرا قائداً للفرقة العسكرية الشمالية ، حسين أحمد سلمان ، كتابة التاريخ ، ص٢٥٩.

٨٢٨- إحدى مدن ما بعد الطوفان وقد شهدت إقامة سلالة ملكية ؛ طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج١ ، ص٣٢٤.

٨٢٩- ماكان هي خليج عُمان ؛ كلين دانيال ، موسوعة علم الآثار ، ج٢ ، ص٥٠٥.

بالناس . فلماذا أنت الآن تقاومني)[٨٣٠].

إلا أن الملك ابي سن لا يأخذ بنصحه فنراه يجيب آمراً :

(أما الآن فاجلب إلى هنا (العون) من اجل إحياء الكلمة الطيبة ولوضع حد للتضليل : ولينجزوا... بين سكانها. لا تنصرف، ولا تكن ضدي. أن يده لن تنال المدينة ، ولن يمارس رجل "ماري" السيادة وفقا لخطته العدائية (لان) "انليل" قد أثار الآن الـ"مارتو" من بلادهم، إنهم سيضربون العيلاميين ويأسرون "اشبي – ايرا" . وبإعادة البلاد إلى مكانتها (السابقة) ، ستصبح قوتها معروفة في كافة أنحاء الأقطار)[٨٣١].

ولم يستمع الملك ابي سن لنصح بوزور نومشدا حاكم مدينة كازالو ، الذي حذر من عدم الاعتماد على اشبي ايرا حاكم أيسن[٨٣٢] ، وربما أن الملك كان يعلم بنوايا حاكمه ، لكن ليس بمقدوره فعل شيء تجاهه ، لذا بقي يسايره ؛ أملاً في أن يستجيب إليه وينجده[٨٣٣] ، في ظل تقدم الآموريين ، وطردهم الحكام المُنصبيّن من قبله ليحلوا هم محلهم ، وهو ما عبر عنه نص فأل جاء فيه : **(الذين يأتون من السهوب سيدخلون ويخرجون من كان قاعدا في المدينة)**[٨٣٤].

وكانت الأراضي التي هاجمتها قبائل المارتو ، المعروفة بمنطقة أكد ، أكثر خصوبة من الأراضي التي بقيت تحت سيطرة الملك ابي سن ، المتمثلة بمنطقة سومر[٨٣٥] ؛ لارتفاع نسبة الملوحة فيها[٨٣٦] ، ويبدو ان اشبي _ ايرا لم يأخذ باقتراح سيده ، الاستعانة بـ(انسي) مدينة

---

[٨٣٠]- كريمر ، السومريون ، ص٤٨٢.

[٨٣١]- المصدر نفسه ، ص٤٨٣.

[٨٣٢]- فوزي رشيد ، ابي سن ، ص٤٧.

[٨٣٣]- المصدر نفسه ، ص٤٩.

[٨٣٤]- باتيرو وآخرون ، الشرق الأدنى ، ص١٥٧.

[٨٣٥]- فوزي رشيد ، ابي سن ، ص ص٤٢ – ٤٣.

[٨٣٦]- نوالة احمد محمود المتولي ، مدخل في دراسة الحياة الاقتصادية لدولة اور الثالثة ، ص٣٠٨.

أخرى؛ لضمان نقل الحبوب التي يحتاجها إلى العاصمة[٨٣٧] ، وعلى الرغم من مضاعفته لمقدار الأموال اللازمة لشحن الحنطة ، بالانتفاع من الأشياء الثمينة في معبد نُفرّ ، إلا أن اشبي ايرا لم يبادر إلى شحنها[٨٣٨] ، ليكون الضغط الاقتصادي الذي مارسه سبباً في إسقاط سيده ، ولينتهي به المطاف إلى الاستقلال في السنة الحادية عشرة من حكم الملك أبي سن[٨٣٩].

وسياسة الأمر الواقع قد مارسها اشبي – ايرا ، إذ بعد أن اخبر في رسالة بعثها إلى سيده ابي سن ؛ انه اشترى كميات كبيرة من الحنطة من مدينتي ايسن وكازالو إلا أن توغل الآموريين واجتياحهم المدينة تلو الأخرى ، يحّول دون إيصاله الحنطة إلى مدينة أور ، يختتم اشبي – ايرا رسالته ، بتحذير ، ومقترح في آن معاً ، فمن جهة يحذر سيده بعدم التحالف مع العيلاميين ؛ لأنهم ضعفوا في المعركة ، ولنفاد قمحهم ، ومن جهة أخرى يعرض على سيده أن ينصبه حاكماً على مدينة أيسن ونيبور :

(أجعلني مسؤولاً عن المواقع التي سترسو فيها السفن ...، كل الشعير سيخزن في حالة جيدة، وإذا احتجت إلى الشعير ، فأنني سأجلب الشعير لك يا ملكي ، أن العيلاميين قد ضعفوا في المعركة ، قمحهم ... قد انتهى ، فلا تضعف ، ولا توافق على أن تكون عبداً لهم ، ولا تمشي وراءهم ، أن لدي من الشعير ما يكفي مدة ١٥ عاماً لسد جوع قصرك ومدنه ، يا ملكي ضعني مسؤولاً عن الإشراف على كل من أيسن ونُفّر)[٨٤٠].

وبينما نراه قد وافق على مقترحه الأخير ، بجعله حاكماً على إيسن ونُفّر[٨٤١] ، إلا أنه على ما يبدو قد فشل في تأمين تحالف مع العيلاميين ضد اشبي ايرا[٨٤٢].

٨٣٧- باتيرو وآخرون ، الشرق الأدنى ، ص١٥٨.

٨٣٨- ساكز ، البابليون ، ص١٤١.

٨٣٩- نوالة أحمد المتولي ، مدخل في دراسة الحياة الاقتصادية ، ص٣٠٧.

٨٤٠- المصدر نفسه ، ص٣١٢.

٨٤١- ساكز ، عظمة بابل ، ص٧٦.

٨٤٢- نوالة أحمد المتولي ، مدخل في دراسة الحياة الاقتصادية ، ص٣١٦.

كانت خاتمة تبادل الرسائل بين الملك أبي سن وحاكم ايسن اشبي ايرا ، انفراط عقد البلاد ، ففي حين بسط الأخير نفوذه على الأراضي التي طمع بها ، تخندق الأول في العاصمة أور [٨٤٣] ، ليؤثر ذلك بالتأكيد في واقع البلاد الداخلية ، بافتقادها للتماسك والاستقرار.

وسياسة الأمر الواقع تتضح أيضاً في الرسالة التي بعث بها أبي سامار أحد الحكام التابعين إلى ملك ماري يخدن ليم (١٨٢٥ – ١٨١٠ ق . م) ، يخبره فيها بتقدم الجيش الآشوري بقيادة شمشي ادد باتجاه مملكته[٨٤٤] آمراً اياه بعقد حلف:

(إلى يخدوليم قل : هكذا يقول أبي سامار : أعقد حلفاً ! ... أن مدني التي لم يستولى عليها بعد سيستولى عليها الآن . ولم تفقد هذه المدن بسبب الأعمال الأعتدائية التي قام بها حاكم خاشوم[٨٤٥] (أو) اورسم[٨٤٦](أو) حاكم كركميش[٨٤٧] (أو) يمخد[٨٤٨] ، ولكن) فقدت بسبب الأعمال الأعتدائية التي قام بها شمشي ادد (ملك آشور)...)[٨٤٩].

إلا أن الملك يخدن ليم لم يأخذ بما جاء من امر بعقد حلف ، بحسب ما جاء في هذه الرسالة ، لعلو شأنه مقابل من بعث الرسالة ، فبعث أبو سامار برسالة أخرى يتضح من لهجتها أن فيها تذلل وخضوع :

(إذا تركت أبي سامار فأنك تكون بذلك قد تركت مدنك فربما تقول أن أبي سامار ليس بولدي وليست مقاطعته بمقاطعتي ولكن الواقع أن مقاطعتي مقاطعتك وأن أبي سامار أبنك)[٨٥٠].

٨٤٣- سعدون عبد الهادي الأمير ، الأزمات السياسية الداخلية ، ص ص٦١ – ٦٢.

٨٤٤- سعدون عبد الهادي الامير ، الأزمات السياسية الداخلية ، ص٨٥.

٨٤٥- خاشوم وتعرف اليوم بتسمية غازي عنتاب ؛ سالم يحيى المعموري ، المضامين السياسية والاقتصادية ، ص٢٣٩ ؛ وغازي عنتاب تقع بين في منتصف الطريق تقريباً بين انطاكية ومرعش ؛ طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، دار الوراق ، (بغداد : ٢٠١١) ، ج٢ ، هامش رقم (٢) ، ص٣٠٨.

٨٤٦- وتعرف اليوم بتسمية سمسات ؛ نفس المصدر والصفحة ؛ وهي إلى جانب مدينة خاشوم من بين أربعة ممالك أسسها الحوريين غربي نهر الفرات ؛ لاندزبرجر نقلاً عن جرنوت فيلهلم ، الحوريون تاريخهم وحضارتهم ، ص٤٥.

٨٤٧- تقع على نهر الفرات عند دخوله من الأراضي التركية إلى السورية ؛ المصدر نفسه ، ص٤٥.

٨٤٨- يقصد بـ يمخد مملكة حلب التي تأسست في أوائل الألف الثاني قبل الميلاد ؛ بوستغيت ، حضارة العراق وآثاره ، ص١٤٣.

٨٤٩- ساكز ، عظمة بابل ، ص٢٦٣.

٨٥٠- سامي سعيد الأحمد ، العراق القديم ، ج٢ ، ص٢٣٨.

إن موقع بلاد الرافدين الأقل عزلة من مصر ، أهمية في استثماره من الناحية التجارية[٨٥١]، وكان لمقدار الأمن المتوافر ، تأثيره في اتساع حجم التجارة من عدمه بين هذا المركز أو ذاك[٨٥٢] ، وأن من بين متطلبات السياسة الداخلية ، وحفظ استقرارها ، كان حماية طرق التجارة ، سواء كان ذلك لتأمين التجارة الداخلية ، أم الخارجية ، من أعمال السلب والنهب ، وكان أمن طرق القوافل التجارية ، عاملاً يؤرق الحكام ، والملوك ، في بلاد الرافدين القديمة ، وهذا ما تؤكده رسالة مرسلة من ملك بابلي إلى آخر يأمره فيها بمعاقبة من تسبب بالهجوم على قافلة تجارية عائدة لبلاده وقتل أفرادها :

(لقد أعتدي عليّ في بلدك أخرجهم (أي اللصوص) إلى الموضع وأرجع المبالغ التي سلبوها ، أقتل الناس الذين قتلوا رجالي وأنتقم لدمائهم ولكنك إذا لم تقتل أولئك الناس ، فستبدأ إما قوافلي أو سعاتك مرة أخرى بالقتل وبذلك تنقطع المواصلات فيما بيننا)[٨٥٣].

وعلى الرغم من اتساع حركة النقل النهري ؛ لانتشار معظم المدن على ضفاف نهر الفرات[٨٥٤] ، إلا أن ذلك لم يمنع من وجود التجارة البرية ، التي يعود تاريخها في بلاد الرافدين إلى عصر قبل فجر التاريخ[٨٥٥] ، وإن الدولة كانت هي من يدير النشاط الاقتصادي في العصر البابلي القديم ، في حين كان المعبد في العصرين السومري الأول ، والبابلي الحديث ، هو من تقع عليه هذه المهمة[٨٥٦].

وأن تضمن قانون حمورابي لمادة قانونية (المادة ١٠٣) ، يعفي فيها البائع المتجول الذي على ما يبدو كان يقوم ببيع المنتجات التي يتاجر بها لحساب تاجر كبير من الغرامة ، في حالة سرقته من قبل قطاع الطرق ، تؤكد شيوع ظاهرة التعرض للقوافل التجارية في عهد حمورابي ، على الرغم من قوة الدولة التي أسسها :

---

[٨٥١]- ايمار واوبوايه ، الشرق ، ص١٥٨.
[٨٥٢]- رضا جواد الهاشمي ، التجارة (حضارة العراق) ، دار الحرية ، (بغداد : ١٩٨٥) ، ج٢ ، ص١٩٨.
[٨٥٣]- براندت ، رحلة إلى بابل القديمة ، ص٥٨.
[٨٥٤]- دولابورت ، بلاد مابين النهرين ، ص١٣٠.
[٨٥٥]- ساكز ، عظمة بابل ، ص٣١٥.

[٨٥٦]- فاضل عبد الواحد علي وعامر سليمان ، عادات وتقاليد الشعوب القديمة ، ص٩٦.

(فإذا كان سائراً في (طريق) رحلته التجارية وسلبه عدو (أي قاطع طريق) ما كان يحمله فعلى البياع المتجول أن يقسم بالإله (لما حدث له) وعندئذ يُخلى سبيله)[٨٥٧].

وكانت الإدارة المحكمة ، أو المراقبة المستمرة اليقظة ، سبيلاً للسيطرة على الأقطار ، والبلدان ، وصهر شعوبها في بوتقة واحدة[٨٥٨] ، وأن الرسائل الملكية ، وان تضمنت توجيهات ، وإرشادات ، ونصائح ، لا تعني بالضرورة أن من أرسلت إليهم هذه الرسائل مخيرين بان يأخذوا بها ، أو لا ؛ لان الملك هو الحاكم الناهي في الأمر[٨٥٩] ، وكانت الإدارة المركزية قويت في زمن الملك شولكي (٢٠٩٥ – ٢٠٤٨ ق . م) جاعلاً من الأمراء مجرد حكام محليين[٨٦٠] ، وهذا ما يمكننا أن نلتمسه في رسالتين متبادلتين ، بين الملك شولكي ، وأحد موظفيه ، إذ كتب الأخير إلى ملكه قائلاً :

(لقد كلفتني بحفظ طرق الحملة إلى بلاد "سومر" في حالة صالحة ، وترسيخ حدود بلادك ، ويجعل طرق البلاد معروفة ، وبإبداء المشورة إلى عقلاء المجمع ضد (؟) البذرة (؟) الحمقاء (؟) ويدفع الجميع إلى الطاعة ، حتى توضع كلمة اليوم (أي الكلمة الطيبة) في أفواههم)[٨٦١].

ويبدو أن رسالة هذا الموظف التي خاطب بها سيده الملك شولكي ، قد بعثها مع أحد الأشخاص، فنرى على أثر ذلك الملك شولكي يأمره بعدم الاعتماد عليه ؛ لعدم أهليته ، وعدم التزامه بالتعليمات ، التي تصدر إليه : **(إن الرجل الذي أرسلته لا فائدة لك فيه ، إنه لا يلتزم بالتعليمات التي (يستلمها)من يدك)**[٨٦٢].

٨٥٧- فوزي رشيد ، الشرائع العراقية القديمة ، ص١٠٦.

٨٥٨- ايمار واوبوايه ، الشرق ، ص١٤٥.

٨٥٩- كبيرا ، كتبوا على الطين ، ص١٢٦.

٨٦٠- زودن ، مدخل إلى حضارات الشرق القديم ، ص٥٨.

٨٦١- كريمر ، السومريون ، ص٤٧٩.

٨٦٢- المصدر نفسه ، ص٤٨٠.

اتصف الملك شمشي ادد الأول (١٨١٤ – ١٧٨٢ ق . م)[٨٦٣] بمقدرته الإدارية[٨٦٤] ، التي أهلته ليكون أول من تلقب بلقب ملك في بلاد آشور ، في حين أن الملوك الخمس والثلاثين الذين سبقوه في آشور ، كانوا يلقبون بلقب الأمير[٨٦٥] ، ولعدم اتصاف ولده يسمح _ ادد حاكم ماري الجديد بالكفاءة اللازمة مقارنة بأخيه اشمي _ داكان ، قد تطلب منه توجيه النصح ، والإرشاد ، وكذلك الاوامر المستمرة له[٨٦٦] ، وهذا ما تظهره الرسالة التالية :

(إلى أي مدى سنظل نوجه خطواتك بصفة دائمة ؟ إنك ما تزال فتى صغيرا ، فأنت لست برجل، وان ذقنك لم تنبت فيه لحية ، ففي الوقت الذي يفتك فيه أخوك بـ"الدافيديوم"[٨٦٧] تضطجع أنت هناك على ظهرك بين النساء ، كن رجلا)[٨٦٨].

وهذه الرسالة التي تؤشر تقاعس هذا الملك عن القتال ، ومن ثم نصحه بضرورة أن يحذو حذو أخيه محارباً ، لم تكن الأولى أو الأخيرة التي يتلقاه هذا الملك من لدن والده ، إذ يطالعنا امر آخر له مؤشراً حقيقة تقاعسه عن تلبية متطلبات الإدارة الناجحة :

(أما زلت طفلا وليس رجلا ؟ الم تنبت اللحية على ذقنك ؟ انك لم تفلح حتى الآن في تحقيق النضج ، ولم تنشئ لنفسك منزلا .. من يعنى بمنزلك . ألا تنهار الإدارة إذا لم يؤدِ الإداري مهامه إلا يوماً أو يومين ؟ إذن لماذا لم تعين رجلاً في هذا المنصب؟)[٨٦٩].

٨٦٣- شمشي ادد ابن أحد الأمراء الغار في منطقة الفرات الأوسط أطاح بالسلالة الآشورية القديمة ليؤسس مملكة دفعته سعتها إلى تنصيب ولده الأكبر اشمي داكان نائباً عنه على جزء من بلاد آشور والأصغر يسمح ادد على ماري ؛ ساكز ، البابليون ، ص١٤٨.

٨٦٤- عامر سليمان ، العراق في التاريخ ، ج١ ، ص١٩٧.

٨٦٥- نائل حنون ، حقيقة السومريين، ص١٢١.

٨٦٦- سعدون عبد الهادي الأمير ، الأزمات السياسية ، ص٨٦.

٨٦٧- الدافيديوم وتلفظ أيضاً الداويدوم تعطي معنى قائد واللفظ في النص يعني قائداً في جيش العدو ؛ سامي سعيد الأحمد ، العراق القديم ، ج٢ ، ص١٨٥.

٨٦٨- اندريه بارو ، بلاد آشور ، تر : عيسى سلمان وسليم طه التكريتي ، دار الرشيد ، (بغداد : ١٩٨٠) ، ص٣٠٨.

٨٦٩- اوتس ، بابل تاريخ مصور ، ص٩٨.

وإن كثرة طلب المشورة ، بسبب ، أو بدون سبب ، أو لأسباب لا تستوجب طلبها ، كان سبباً للانتقاد ، والتوبيخ ، الذي يتلقاه يسمح ادد من لدن والده طالباً منه ، أن يكون كنائبه على اكلاتم Aklatum[٨٧٠] ، أخيه الأكبر اشمي – داكان[٨٧١] ، ودوام مخاطبته لأبيه طالباً مشورته ، شملت كل الأمور ، من قرارات ، وتعيين موظفين كبار ، كالحكام ، وكانت الكلمة الفصل في ذلك تعود لأبيه بأن يعين من رشحه لهذا المنصب ، أو أن يستبدله [٨٧٢] ، كما يتضح من نص الرسالة التالي:

(لا تستخدم رجال منطقة زلماقم[٨٧٣] الذين طالما استخدموا كجواسيس ولا تعتمد على خدماتهم، وكل الذين أجروا لحسابك ، اكسهم وأبعدهم ..)[٨٧٤].

وأن عدم أهلية يسمح ادد في منصبه ، كانت سبباً بأن يأمر والده بإحاطته ببعض المقربين منه؛ ليحيطهم علماً بالرسائل التي ترده من أبيه وتلك التي يرسلها لأبيه[٨٧٥] ، وهذا الأمر فيه إشارة واضحة إلى عدم تحقيق النصح والإرشاد من نتيجة معه.

وكانت استشارة الملوك من قبل موظفيهم ، تتعلق معظمها بمسائل ذات أهمية ، فيما بعضها كان يثير البسمة ، فهذا يسمح – ادد (١٧٩٦ – ١٧٨٠ ق . م) ملك ماري ، يستشيره موظفوه تارة : عن الإجراء الذي يفعلونه بسفينة تحطمت في الفرات ، فيما استشارتهم الثانية كانت تتعلق بثور تم تخصيصه للقصر ، إلا انه سمن كثيرا ولا يعُرف كيفية إيصاله للقصر ؛

٨٧٠- تلول الهيكل حالياً وهي احد المدن الآشورية وتقع على الضفة اليسرى لنهر دجلة على بعد ٣٥ كم من قلعة الشرقاط (آشور) ، ينظر : W.W.Hallo ,Road to Eawar,Jcs . vol .18 . (1964) , p76. ؛ وينظر : نائل حنون ، مدن قديمة ومواقع أثرية ، ص١١٣ ، ص٢٢٣.

٨٧١- ساكز ، عظمة بابل ، ص ص٨٧ – ٨٨.

٨٧٢- محمد عبد اللطيف محمد علي ، سجلات ماري وما تلقيه من اضواء على التاريخ السياسي لمملكة ماري (من حوالي ١٨٢٠ – ١٧٦٠ ق . م) ، دار المعرفة الجامعية ، (الاسكندرية : ١٩٨٥) ، ص ص٣٦ – ٣٧.

٨٧٣- تقع بالقرب من سروج وحران ؛ سالم يحيى المعموري ، المضامين السياسية والاقتصادية ، ص٢٣٩.

٨٧٤- فاروق ناصر الراوي ، التعبئة وأساليب القتال في الجيش الآشوري (الجيش والسلاح) ، ج٢ ، ص١٢٥.

٨٧٥- محمد عبد اللطيف محمد علي ، سجلات ماري ، ص٣٨.

لعدم قدرته على الوقوف والسير إلى ماري ، فتم رفع الاستشارة التالية إلى الملك : **(ليرسل مولاي إرشاداته بشأن المسألة)**[٨٧٦].

وقد اتسم يسمح ادد بالضعف موازنة بأخيه اشمي داكان مما أثر على واقع علاقته بالأقاليم أو المناطق الخاضعة لسيطرته وهذا ما تبينه الرسالة التي رفعها إلى الملك ، وفيها يظهر أنه توجيه للملك بما هو فاعل بشأن تعيين حاكماً بدلاً عن آخر توفي جاء فيها :

(إلى أمر مولاي يسمخ – ادد للبت فيه ، هذا ما يقوله تريم – شكيم "موظف مدني رفيع الرتبة" يا قوم الرجل "أي الحاكم" على مدينة تيزراخ[٨٧٧] **قد ذهب إلى مصيره "مات" ، وقد جاء أهل تيزراخ وقالوا : نصّب كالي – ايل ليكون وكيلا علينا وفضلا عن ذلك فقد دفع "منا"**[٨٧٨] **من الفضة إلى القصر (مقابل) إصدار مرسوم بذلك لذا فاني أرسلت كالي – ايل ليمثل أمام مولاي فليعينه مولاي لمشيخة تيزراخ وليقبل منه "منا" الفضة لهذا الغرض)**[٨٧٩].

ولا نستبعد أن يقع هذا الملك في أخطاء ، بشأن تقدير الموقف ، من تعيين هذا الحاكم الجديد ، إذ جاء عنه تلقيه التوبيخ من أخيه اشمي داكان بشأن تعيينه حاكم على مدينة قطانم[٨٨٠]: **(بخصوص ثبات (تعيين) أياش تولا على مدينة قطانم ، تلوم (نفسك) وملامتك تعيد (ها) إلى الملك ، لماذا تلوم (نفسك) بخصوص ذلك ولماذا نتكلم بذلك ، ذلك ليس عظيما (كبيرا) لماذا لأطيل عليك (و) لأكتب لك ... في ذلك لم ينصحوك (يشاورونك) وأنت لأدعو لك الإله)**[٨٨١].

من جهته الملك البابلي حمورابي (١٧٩٢ – ١٧٥٠ ق . م) ، كان على تماس تام بالواقع ؛ لتسلمه المراسلات من رسله في الأقاليم تخبره بشتى أنواع القضايا ، من مشاكل تتعلق بالأراضي العائدة ملكيتها إلى المعبد ، أو رشوة موظف يستحق العقاب ، أو ما يتعلق بترسب الطمئ ، وما

٨٧٦- ساكز ، الحياة اليومية ، ص٨٧.

٨٧٧- ربما تقع في اعالي نهر الفرات ولا تبعد كثيراً عن حدود مملكة ماري.

٨٧٨- المنا يساوي (٥,٥ غم) ؛ حسين أحمد سلمان ، كتابة التاريخ ، هامش رقم (١) ، ص٣٦١.

٨٧٩- ساكز ، الحياة اليومية ، ص٩١.

٨٨٠- مدينة تقع على نهر الخابور ؛ سالم يحيى المعموري ، المضامين السياسية والاقتصادية ، ص٢٣٩.

٨٨١- سالم يحيى المعموري ، المضامين السياسية والاقتصادية ، ص٦.

يتطلبه من تحرك لكريه ، بموجب أمر الوالي في تلك المنطقة وغيرها[٨٨٢] ، وقد امتاز إلى جانب مقدرته الحربية ، والسياسية ، بموهبته الإدارية ، ومن بين ما اتصف به إرساله التقارير البريدية التي تتضمن اوامره وتوجيهاته ، وتوصياته ، إلى حكامه المحليين[٨٨٣] ، ومن خلفه في المُلك ، فضلاً عن موظفيه في شتى الأمور كالتقاضي ، ومعالجة ما يتعلق بإبرام العقود ، فنراه يخاطب أحد موظفيه مبيناً له آلية الحكم : **(استناداً إلى الأوامر الملكية التي أمامك)**[٨٨٤].

وكان توطيد نفوذه الداخلي بكسب الطبقة العسكرية إلى جانبه تتضح من الرسالة التي بعثها إلى حاكم عائد إليه موبخاً إياه لعدم الالتزام بنصائحه جاء فيها :

(أرسلت لك في العام المنصرم بعض الركبو من

حملة الأقواس للإسكان في الأرض وقد مضى

عليهم عندك ثمانية أشهر دون أن ترضي رجلاً واحداً)[٨٨٥] .

ويتبع ذلك بتوجيهات إليه مختتماً ذلك بالتهديد :

(إذا لم يرض هؤلاء الركبو بسرعة ... فسوف

لن يعُفَ عنك)[٨٨٦].

وكان حكام المدن والمقاطعات يعينهم الملك حمورابي في وظائفهم ، ويسيرهم كيفما شاء، عبر آلية تعتمد المراسلات ، والتقارير ، بين المركز والأطراف[٨٨٧] ، ومن الأمثلة على ذلك حاكمه على لارسا سن _ ادينام Sin – Edinm الذي ما كان ليفعل شيء قبل استشارة ملكه حمورابي

٨٨٢- ملرش ، قصة الحضارة ، ص٥٧.

٨٨٣- حسين أحمد سلمان ، كتابة التاريخ ، ص٢٦٩.

٨٨٤- ساكز ، عظمة بابل ، ص٢٢٤.

٨٨٥- ساكز ، عظمة بابل ، ص٢٧٨.

٨٨٦- المصدر نفسه والصفحة.

٨٨٧- ايمار واوبوايه ، الشرق ، ص١٤٦.

حتى بلغ به مبلغا أن يستشيره في الأمور القليلة الأهمية[٨٨٨] ، إلى جانب تلقيه الأوامر الحازمة ، كما في الرسالة الآتية التي وجهها إليه الملك : **(قل لسين – ادينام أن حمورابي يقول : حالما تلمح لوحتي هذه توجه إلى بابل وأمثُل بين يديّ ، ولا يجوز أن تتأخر أحضر بسرعة!)**[٨٨٩].

ومقدار صرامته تعكسه رسالة بعثَ بها إلى اثنين من مشرفيه على الغابات آمراً أياهم بقوله: **(لا تهملوا غاباتكم ، (بل) اهتما بها ، إذا رأيت ضررا يقع على غصن واحد فيها سوف لن ادع الشخص المسؤول عنها أن يعيش)**[٨٩٠] ، وهذا التوجيه الصارم من قبل الملك حمورابي يأتي ؛ كون الغابات من أملاك الدولة الخاصة ، وأهميتها التي جعلتها من أملاك الدولة الخاصة هو ؛ لمنع سرقة أخشابها ، لخطورة ذلك كونها ، تدخل في صناعة السلاح ، مما قد يؤدي إلى حصول مؤامرة ضد الملك ، والأمر الثاني الذي جعلها ذات أهمية قلة الأشجار في بلاد الرافدين[٨٩١].

من جهته اشمي داكان (١٧٨١ – ١٧٤٢ ق . م) الذي اختاره أبيه ملكاً ينيب عنه في حكم اكلاتوم على نهر دجلة[٨٩٢] ؛ وذلك لقدراته وقابلياته الإدارية[٨٩٣] ، وليخلف أباه في حكم آشور قرابة أربعين عاماً[٨٩٤] ، وكانت مؤهلاته كفيلة بإسداء الأوامر والنصح ، والمشورة ، وعلى وجه التحديد إلى أخيه يسمح ادد ملك ماري الذي شمله بمختلف أنواع الأوامر ومن بينها مساعدته في تجاوز خطأ إرسال إشارات مشاعل التنبيه :

(إلى يسمخ – ادد قل ، هكذا يقول اشمي –

داكان أخوك:

٨٨٨- باتيرو وآخرون ، الشرق الأدنى ، ص٢٠٤.

٨٨٩- كلينغل ، حمورابي ، ص١٢٨.

٨٩٠- محمد طه الاعظمي ، حمورابي ، ص٩٩.

٨٩١- فوزي رشيد ، الملك حمورابي ، ص٨٧.

٨٩٢- باتيرو وآخرون ، الشرق الأدنى ، ص١٩٤.

٨٩٣- حسين أحمد سليمان ، العراق في التاريخ ، ج١ ، ص١٩٨.

٨٩٤- ساكز ، عظمة آشور ، ص ص٥١ – ٥٢.

لأنك أشعلت نارين خلال الليل ، فريما ستأتي

جميع البلاد لمساعدتك . اكتب رقما إلى جميع

البلاد ... وأرسل سعاتك الشباب السريعين

(لتسليمها) وعليك أن تقول :

لقد قامت جماعة كبيرة من الحدود بغارة على

البلاد ولذلك فقد أشعلت نارين وليس هناك

حاجة للمجيء لمساعدتي)[٨٩٥].

وإشارات المشاعل كانت قد تم اعتمادها بصورة كبيرة لاستدعاء القوات العسكرية في مملكة شمشي ادد ، وكانت الإشارة الواحدة الصادرة من هذا النوع لها أكثر من معنى ، أما الإشارتان بهذه الطريقة فتعني طلب المساعدة العاجلة ، وقد ساعدت الأرض المستوية المحيطة بالفرات الأوسط وعلى طول نهر الخابور ، على استعمال هذه الوسيلة ، في ظل وضوح الحصون القديمة ، في الأحوال المناخية الطبيعية[٨٩٦] ، وأن مقدار أهمية هذه الإشارة كوسيلة اتصال عسكرية معترف بها ، دفعت بالملك أشمي داكان إلى نصح أخيه بالادعاء بحصول غارة، وأن لم يحصل ذلك على أرض الواقع ، وكان لمقدرته الإدارية الفائقة على ما يبدو تأثيراً في تحمل مسؤولية تقديم النصح نيابة عن أبيه شمشي ادد ملك آشور لأخيه يسمح ادد ، إذ تراه يطلب من أخيه أن يستشيره بداعي ؛ أن إقليم اكلاتوم الذي يحكمه اشمي داكان أقرب إلى ماري من مقر حكم الملك في آشور :

(لا تكتب للملك ، الإقليم الذي أقيم فيه (أي اكلاتوم) قريب من مقر الملك والشيء الذي تنوي كتابته للملك ، أكتبه لي ، حتى أستطيع نفسي أن أنصحك)[٨٩٧].

٨٩٥- ساكز ، عظمة بابل ، ص٢٧٦ ؛ كذلك : اوتس ، بابل ، ص١٠٨.

٨٩٦- دالي ، ماري وكارانا ، ص٢٦٧.

٨٩٧- محمد عبد اللطيف محمد علي ، سجلات ماري ، ص٣٩.

وقد بلغ النصح الموجه ليسمح – ادد التهوين من شدة قلقه على منصبه نائباً للملك في ماري ، عقب وفاة أبيه ملك آشور شمشي – ادد كما جاء في الرسالة التي بعث بها اشمي – داكان الذي خلف أباه في آشور :

(دع عنك القلق فأن عرشك هو ملكك قطعاً وأنا أمسك بيدي (الآلهة) ادد وشمش . لقد لجمت شعب عيلام ورجل اشنونا[٨٩٨] فلا تخف . وستجلس على عرشك إلى الأبد ما دمنا نحيا سوية، فدعنا نتبادل الأيمان المغلظة للآلهة ونلتقي معاً فنعمر بيننا أخاء دائماً)[٨٩٩].

ويبدو أن القلق الذي ساور الملك يسمح – ادد عقب وفاة أبيه ، كان في محله إذ ما أن فقد أخيه ملك آشور اشمي – داكان عرشه على يد جيش اشنونا حتى خفي ذكره عن التاريخ وإلى الأبد[٩٠٠].

وكانت نوايا زمري – ليم ملك ماري (١٧٧٩ – ١٧٦١ ق . م) بالحفاظ على ملكه تجاه رغبات مد النفوذ المتصاعدة لملك بابل حمورابي ، قد عبر عنها هذا الملك ، بإسدائه الأوامر والنصح لهذا الملك لمحاربة هذه الدويلة ، أو تلك لاتقاء خطره ، فتراه تارة وبوساطة وزيراً له يخبر الملك حمورابي بعدد القوات الخارجية التي أرسلت لمساعدة ملك لارسا ريم سن : **(هناك ١٠ آلاف رجل من الكوتيين ومن (النورادوم) تأهبوا وأنظارهم تتوجه إلى لارسا)**[٩٠١] ، وتارة أخرى يوجهه بإعلان نفسه ملكاً عليها ، أو يخلف تابعاً له فيها[٩٠٢] ، ولا نستبعد أن يكون توجيهه لاحتلال لارسا ، جاء عقب عقد حمورابي وريم سن حلفاً بينهما فأستشعر منه خطراً على نفسه.

ونجد أن التوجيهات تتم من أعلى المراتب إلى أدناها ، ففي رسالة جوابية يوضح ابل بي ايل مبعوث ملك ماري زمري – ليم إلى ملك بابل حمورابي بأنه ألتزم بتوجيهاته التي امر بها ، فيما يخص قوات كان قد أرسلها إلى بابل ؛ لمساعدة ملكها في إحدى حروبه برسالةٍ جاء فيها :

٨٩٨- اشنونا وتعرف بقاياها بتل الأسمر على بعد ٥٠ كم شمال شرق بغداد كانت عاصمة لدويلة عُرفت بهذا الأسم؛ نائل حنون ، حقيقة السومريين ، ص٢١٠.

٨٩٩- جورج رو ، العراق القديم ، ص٢٦٩.

٩٠٠- محمد عبد اللطيف محمد علي ، سجلات ماري ، ص ص٤٤ – ٤٥.

٩٠١- محمد طه الأعظمي ، حمورابي ، ص٧٧.

٩٠٢- سامي سعيد الأحمد ، العراق القديم ، ج٢ ، ص١٩٩.

(قل لسيدي ، هكذا يقول ابال – بي – ايل خادمك : وفقاً

لتوجيهات سيدي التي أرسل حولها سيدي الرسائل .. لقد

تكلمت مع حمورابي بكلمات جيدة .. وقلت هكذا :

طالما أن الآلهة قد قضت على الأعداء وأن الأيام الباردة قد

حلت لماذا تبقي خدم أخيك (أي حليفك من نفس

المركز) ؟ خولني حتى أتمكن من الرجوع وحتى يتمكن

قائد القوات من أن يصل قبل حلول الجو البارد . هكذا

تفاوضت معه وبأمور عديدة (مشابهة) أخرى ...)[٩٠٣].

وهذا النص إلى جانب ما أظهره من ممانعة الملك حمورابي من الاستجابة لطلب عودة هذه القوات ، وما أظهره من حكمة كبيرة لدى هذا الملك تجسدت بانتظار ما سيكشف عنه التقرير الخاص بنشاطات دويلة اشنونا[٩٠٤] ، نجد أن النص يظهر كذلك ضرورة الالتزام من قبل القادة العسكريين ، أو الموفدين ، والرسل بالأوامر والتوجيهات الصادرة من قبل ملوكهم ، وكذلك يشير النص ضمناً إلى أن لـ(حمورابي) كلمة الفصل في أمر رجوع قوات ماري ، إذ إن استشارته ومعرفة رأيه ، أمر لابد منه ، وهذا قد ينطوي على بيان علو كعبه ، مقابل نظيره ملك ماري الذي على ما يبدو غير قادر على تحريك قواته من دون إذن منه.

وفي الجانب الديني نرى أن اعتقاد العراقي القديم كان بأن الآلهة ينبوع العدالة ومصدر القانون[٩٠٥] ، وهي الحامية لهما[٩٠٦] ، وإصدار القوانين ونشر العدالة يستلزم معرفة رأي الآلهة ورغباتها ، وذلك بالالتجاء إلى العرافين ومفسري الأحلام لاستشارتهم[٩٠٧]، والقانون في نظره

٩٠٣- ساكز ، عظمة بابل ، ص٢٦٥.
٩٠٤- محمد سياب محان ، المعاهدات السياسية ، ص٩٢.
٩٠٥- عامر سليمان ، القانون في العراق القديم ، ص١٣١.
٩٠٦- زودن ، مدخل إلى حضارات الشرق القديم ، ص١٤٩.
٩٠٧- عامر سليمان ، القانون ، ص١٣٧.

مرشداً للحاكم ومحامياً للرعية[٩٠٨]، وأن تشريع القوانين وتطبيقها يتم بتفويض من الإله إلى الملك[٩٠٩]، ومن ذلك أن ملك لكش اوروانمكينا (٢٣٥٥ – ٢٣٤٧ ق.م) قد أدعا في إصلاحاته[٩١٠] بأن الإله ننكرسو قد اختاره آمراً اياه بإعادة تطبيق "القوانين الإلهية"[٩١١]، وإن مسلة الملك حمورابي[٩١٢] ، صورت الملك لحظة تسلمه مواد الشريعة من الإله شمش[٩١٣] ، وأن خاتمة مسلته جاء فيها تأكيده تسلم هذه القوانين من الإله شمش **(أنا حمورابي ، ملك العدالة ، الذي أهداه الإله شمش القوانين)**[٩١٤].

إن أبرز مظهر لمشورة الآلهة للبشر في تنفيذ القوانين التي سنها العراقيون القُدامى يتمثل في الاختبار النهري ، وكان لعدم توافر الأدلة المادية[٩١٥] اللازمة لإثبات التهمة يتم اللجوء إلى الاختبار النهري[٩١٦] ، وهو يمثل طريقاً للحصول على قرار الإله[٩١٧] ؛ لعدم اكتمال العناصر

٩٠٨- سبيزر ، حضارة وادي الرافدين نور لا يخبو ، ص٧٢.

٩٠٩- جمال مولود ذيبان ، تطور فكرة العدل في القوانين العراقية القديمة ، ص٥٢.

٩١٠ - عثر في مدينة لكش على إصلاحات اوروانمكينا وقد تم تدوينها على لوح بيضوي وثلاثة مخاريط طينية. ينظر : رجاء كاظم عجيل العكيلي ، سلالة لجش الأولى (٢٥٥٠ – ٢٣٧٠ ق . م) والثانية (٢٢٥٠ – ٢١١٤ ق . م)، ص٦٣.

٩١١ - كريمر ، السومريون ، ص١١٠.

٩١٢- ضمت مسلة أو شريعة حمورابي ٢٨٢ مادة قانونية دونت بالخط المسماري البابلي القديم ؛ ينظر : ليلى عبد الله سعيد ، المسؤولية المدنية في شريعة حمورابي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد : ٢٠٠١) ، ص٦.

٩١٣- عن تسلم الملك حمورابي للشريعة ينظر :

Davies , W . W , D .PH , The Codes of Hammurabi And Moses (with copious comments , index , and Bible references) , copyright 190 and By Jbnnings and Graham , p12.

٩١٤- فوزي رشيد ، الشرائع العراقية القديمة ، ص١٤٠.

٩١٥- الأدلة المادية اللازمة لإثبات التهمة تتضمن الشهادة والإقرار والكتابة واليمين ؛ ينظر : عامر سليمان ، طرق الإثبات في القانون العراقي القديم (ندوة قوانين حمورابي) ، دار الحكمة ، (بغداد : ١٩٨٨) ، ص١٤٥ – ١٥١.

٩١٦- أكرم سليم الزيباري ، نظرة في بعض سمات ومفاهيم القانون البابلي (ندوة قوانين حمورابي) ، دار الحكمة ، (بغداد : ١٩٨٨) ، ص١٩.

٩١٧- ساكز ، البابليون ، ص١٥٩.

اللازمة لإصدار الحكم[٩١٨] فجاء في ابتهال موجه إلى النهر :

(ايا ومردوك منحاك الحكمة

لكي تفصل شخصياً في قضايا البشر ...)[٩١٩].

أن مراجعة نصوص المواد القانونية التي تم ذكرها تظهر أن القضايا التي يتم استشارة إله النهر بها تنحصر في أمور تتعلق بالزنا وممارسة السحر ، ففيما يخص الزنا فمن الظاهر كما في المادة ١٣٢ من قانون حمورابي أنها تشير إلى تطبيقها بحق المرأة الزانية ولعدم وجود الأدلة الثبوتية يصار إلى تنفيذ هذا الأجراء القانوني[٩٢٠]، وبقدر تعلق الأمر بالأوامر الصادرة من إنسان لآخر نقرأ من العصر البابلي القديم رسالة تبدو إنها صادرة من ملك إلى حاكم مدينة جاء فيها ما نصه :

(أما بخصوص هذين الرجلين اللذين أرسلتهما مع (أ) ... فقد اتهموا على النحو التالي : لقد تناقشا مع (ب) رفيق (س) ولديهما معلومات عن الموضوع لذا فسأجلبهما إلى النهر المقدس وأن متهمهما الآن تحت الحراسة في الموقف هنا . دع أحد رجالك ، وليكن ضابط امن ، يقود هذين الرجلين بصحبة (أ) إلى النهر المقدس . فإذا عاد هذان الرجلان سالمين فسأحرق متهمهما بالنار وإذا مات هذان الرجلان فسأعطي أملاكهما وعيالهما إلى متهمهما . أخبرني النتيجة رجاءً)[٩٢١].

ومن الواضح أن المطلوب من الشخص الذي صدر إليه التوجيه أن ينفذ الاختبار النهري بأن يقوم أحد رجاله كأن يكون برتبة ضابط بأخذ الرجلين إلى النهر لمعرفة نتيجة ما سيقرره إله النهر ليكون بذلك مشورة لمن تقع عليه مسؤولية تطبيق القوانين وتنفيذ ما يلزم من حكم ، ونفهم من رسالة بعث بها الملك ياتاد – آمي ملك كركميش[٩٢٢] إلى زمري – ليم ملك ماري أن تهمة

٩١٨- باتيرو ، بلاد الرافدين ، ص١٦٠.

٩١٩- قاسم الشواف ، ديوان الأساطير ، ج٢ ، ص٧٧.

٩٢٠- رضا جواد الهاشمي ، نظام العائلة في العهد البابلي القديم ، مكتبة الأندلس ، (بغداد : ١٩٧١) ، ص٨٣.

٩٢١- ساكز ، عظمة بابل ، ص ص٢٥٩ – ٢٦٠.

٩٢٢- تقع على الحدود التركية السورية وتدعى حالياً "طرابلس" وتطل على نهر الفرات ولها علاقات وجيء على ذكرها في مصادر ماري والحثيين ؛ بوستغيت ، حضارة العراق وآثاره ، ص١٢٨.

التآمر السياسي كان يتم إثباتها في حال عدم وجود شهود بوساطة الاختبار النهري ، فيؤكد هذا الملك إنه قام بسجن الشخص الذي اتهم شخصان بممارسة العمل السياسي التآمري لحين ظهور النتيجة ، ويخبر الملك زمري – ليم بأن عقوبة من أدعى عليهما الحرق في حالة نجاتهما من الغرق ، أما إذا غرقا فسيكون منزليهما ومن فيه لصالح من أخبر عنهما[٩٢٣]: **(فإذا خرج المتهمان سالمين سأحرق متهمهم أما إذا ماتا فإني سوف أعطي ممتلكاتهما إلى متهمهما)**[٩٢٤].

وعن الطقوس الدينية المصاحبة لبناء المعابد ، والالتزام بالأوامر المتعلقة ببناء المعابد ، وترميمها جاء في أحد النصوص الطقوسية جملة أوامر للشخص المكلف بالبناء وما يجب عليه فعله :

(على [المكلف بإشادة] هذا "البيت"

ارتداء كساء طاهر ،

وعليه أن يلبس في يده سواراً من القصدير

وأن يستعمل فأساً من الرصاص

ثم ينتزع [آجرة الأساس السابقة] ،

ويتلو تفجعاً على المعبد ،

(و) يطلق "تحسرات!"

بينما توضع هذه الآجرة [في مكان]

محرم على من هو غير مؤهل بذلك

ومن محرقة البخور ، على الكاهن – كالو ،

٩٢٣- كلينغل ، حمورابي ، ص١٤٩؛ كذلك : ساكز ، الحياة اليومية ، ص٢٥٠.
٩٢٤- فاضل عبد الواحد علي ، من سومر إلى التوراة ، ص٩٦.

نشر وتصعيد روائح (التبخير[٩٢٥] ، بينما) يتم على [الآجرة]

نثر عسل وسمن – دسم وحليب وجعة من

النوع الممتاز ، وخمر ، وزيت حلو

بعد ذلك يتلو الكاهن على الآجرة :

عندما آنو ، خلق السماء

وخلق نوديمود الابسو مقره

أستخرج ايا من الابسو حفنة من الصلصال

وخلق الإله كولا[٩٢٦] للإشراف

على تجديد [المعابد]

(ثم) خلق المقاصب وغياض الشجر

(لتلبية احتياج) مهمة بنائه)[٩٢٧].

من الملاحظ أن الاوامر في النص أعلاه ، طقوسية ، وتختص إجراءاتها بالكاهن ، وتحديداً الكاهن النداب ، وعُرفَ هذا النوع من الكهان ، منذ منتصف الألف الثالث قبل الميلاد ، وكان يعرف بالسومرية باسم "كالا" ، وبالأكدية "كالوم"[٩٢٨] ، ووظيفته هي استخراج آجرة الأساس القديمة للمعبد المنهار ؛ ليخبأها في مكان سري ، ومن ثم يتم تشخيص آجرة جديدة لتوضع محلها ، وهذه العملية تعد محاكاة لعملية الخلق ، التي فيها خلق آنو السماء لتكون مقراً له ، والإله ايا الذي خلق مقراً له في الابسو apsû ، ومن ثم الآلهة الثانويين ، الذين تكون مهمتهم

---

[٩٢٥]- كان التبخير لاستثارة حاسة الشم لدى الآلهة ؛ باتيرو ، الديانة عند البابليين ، ص١٤٢؛ ولعل المقصود إيصال روائح ما تم التقرب به إلى الآلهة عن طريق الدخان المتصاعد لحرق القرابين.
[٩٢٦]- كولا ، إله الآجر ، دالي ، أساطير ، ص٣٨١.
[٩٢٧]- قاسم الشواف ، ديوان الأساطير ، ج٢ ، ص٤٢٥.
[٩٢٨]- ليث حسين ، الكاهن ، ص٩١.

تجديد المعابد ، وما يرافقها من طقوس واحتفالات[٩٢٩].

وأظهرت أوامر الإنسان للإنسان ، في أحد أوجهها ، ما هو خلاف إرادة الآلهة ، وهذا ما يتضح لنا في أسطورة "إنانا والبستاني"[٩٣٠] ، إذ إن بستانياً يدعى شوكاليتودا šukalitudu ، غرس أشجار[٩٣١] ، وارفة الظلال ، لحماية أشجاره ، من حرارة الشمس ، والرياح المتربة[٩٣٢] ، وصادف أن قررت الإلهة إنانا الاستراحة تحت ظلال هذه الأشجار ، وقد وقعت تحت مرمى بصر شوكاليتودا، الذي أقدم على اغتصابها ، والهرب فقررت إنانا تسليط ثلاثة كوارث طبيعية ضد بلاد سومر[٩٣٣]، وبعد كل كارثة كان شوكاليتودا يذهب إلى والده الذي يأمره بالاختلاط بذوي الرؤوس السود ، أي أهل سومر ويبقى قرب مراكز المدن[٩٣٤] ، وهو ما ألتزم به شوكاليتودا :

(أجابه أبوه عندئذٍ ، أجاب الفتى

وقال لشوكاليتودا :

"يا بني أبقَ بقرب إخوتك سكان المدن

اختلطْ دون تردد بالرؤوس – السوداء ، أمثالك

ولن تجدك المرأة أبداً" !

وبطواعية (عمد شوكاليتودا) إلى البقاء

بقرب إخوته سكان المدن

وأختلط تماماً بالرؤوس – السوداء ، أمثاله

٩٢٩- قاسم الشواف ، ديوان الأساطير ،ج٢ ، ص ص٦٢ - ٦٣.
٩٣٠- يعود تاريخ تدوين هذه الأسطورة إلى الثلث الأول من الألف الثاني قبل الميلاد ؛ قاسم الشواف ، ديوان الأساطير ، ج١ ، ص٨٥.

٩٣١- الأشجار التي تم زرعها هي السارباتو ؛ كريمر ، أساطير سومر واكاد ، ص٩٦ ؛ ويرى الأستاذ طه باقر أنها قد تكون شجرة الغرب المعروف تواجدها في العراق على ضفاف الأنهار ؛ كريمر ، من ألواح سومر ، هامش رقم (١) ، ص١٤٥.
٩٣٢- سامي سعيد الأحمد ، العراق القديم ، ج١ ، ص٣٨٦.
٩٣٣- كريمر ، الديانة السومرية (موسوعة تاريخ الأديان) ، ج٢ ، ص ص٢٣١ – ٢٣٢.
٩٣٤- كريمر ، اساطير العالم القديم (أساطير سومر واكاد) ، ص٩٦.

ولم تستطع [المرأة] أن تجده [أبداً]!)(٩٣٥).

وأوامر والد شوكاليتودا جاءت خلاف إرادة الآلهة ، إذ إن ولده وهو إنسان كتب عليه الفناء قد أنتهك حرمة إلهة خالدة ، ونتيجة هذا الانتهاك توجهت إنانا صوب الإله انكي ، في منزله في أريدو ، تسأله العون ، وهو ما لم يتحقق لنا مضمونه ؛ بسبب تهشم النص الذي يحوي نهاية القصة(٩٣٦) ، ومن المرجح أن الأسطورة كانت تهدف إلى إشاعة مفهوم ، أو معتقد ديني ، ينص على تحريم مضاجعة الكاهنات(٩٣٧) ، وبما أن الإلهة إنانا قد وصفت بكونها إلهة الحب الجسدي ، وحامية الزواج ، وراعية نساء المعبد(٩٣٨) ، فقد تم الإشارة على ما يبدو إلى أن شوكاليتودا قد ضاجعها ، كناية عن مضاجعته لكاهنة محرم عليها الزواج.

كان الاغتصاب لوحده يُعد جريمة كبرى في قانون حمورابي(٩٣٩) ، فكيف والحال هذا أن من تم اغتصابها ، كانت كاهنة ، ولعلها كاهنة من نوع الانيتوم ، التي فرضت عليها حياة خاصة تمنعها من الزواج وإنجاب الأطفال(٩٤٠) وفي ظل عدم سلامة النص الكامل لهذه الأسطورة لم نتمكن من معرفة نهاية نوع من أنواع الصراع الفكري ، بين إله هو الإله انكي ، وبين إنسان هو شوكاليتودا ، وما يتوقع من النهاية في بيان طبيعة الصراع ، وما أدت إليه اوامر مقدمة من قبل إله لإلهة ، وأخرى مقدمة من إنسان لإنسان ، وكأن واضع أو واضعوا هذه الأسطورة ، قد جعلوا من هذه الأسطورة ميزاناً لوزن قيمة الأمر والنصح المقدم من إله في كفة ، وقيمة الأمر والنصح الصادر عن إنسان في كفة أخرى ، ويبدو أن مسألة الإبقاء على الأمر معلقاً دون بيان مصير المذنب شوكاليتودا أمر مستبعد ، لأن هدف الأسطورة يهدف إلى إظهار حكمة معينة لعلها دنو شأن الإنسان ، وقدراته تجاه مكانة الآلهة وقدراتها.

٩٣٥- قاسم الشواف ، ديوان الأساطير ، ج١ ، ص٩٥ ؛ ويتبين من نصيحة والد شوكاليتودا لولده ، مدى ارتباط الحاضر ، بالماضي ، فلا تزال المشاكل التي تحصل في مناطق الأرياف ، أو القرى ، أياً كان نوعها ، سبباً في بعض الأحيان ، لدفع الشخص للالتجاء إلى المدن ، وبالعكس ؛ هرباً من العقوبة.

٩٣٦- كريمر ، من ألواح سومر ، ص١٤٦.

٩٣٧- فاضل عبد الواحد علي ، سومر أسطورة وملحمة ، ص٩١.

٩٣٨- فريشاور ، الجنس في العالم القديم ، ص٦٠.

٩٣٩- المصدر نفسه ، ص٧٠.

٩٤٠- أميرة عيدان الذهب ، الكاهنات في العصر البابلي القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة بغداد : ١٩٩٩) ، ص٥٧.

من جهة أخرى كان إطعام الإله هدفاً رئيساً في العبادة ، وقد حدد نوع ومقدار الطعام في كتب طقسية[٩٤١]، لعل هذه واحدة من بينها ، وأن السر في التأكيد على تقديم القرابين ، بل الإشارة إلى نوعية معينة بعينيها ، يأتي لان من يتناول هذا الطعام هم الكهنة ، لا تمثال الإله الجامد[٩٤٢]، وقد يستعجل الإله أو يستبطأ وصول القرابين إليه ، وهذا ما تجسده رسالة بعث بها أحد الموظفين إلى ملك ماري يسمح ادد (١٧٩٦ – ١٧٨٠ ق . م) ، وهو يأمره على ما يبدو بضرورة إرسال القرابين ، مبيناً أن الإله داكان أرسل له رسالة ، يشير فيها إلى نفاد صبره لتأخر وصول القربان :

(أرسل لي داكان رسالة : أرسل لمولاك أن يقدم الباكري[٩٤٣] قرباناً في الرابع عشر من الشهر القادم)[٩٤٤].

وأهمية القربان ، كانت سبباً في أن تكون من موجبات إصدار الملك أوامر إلى حكامه بعدم التغاضي عنه ، فهذا حمورابي يبعث برسالة إلى سن _ إيدينام ، أحد كبار موظفيه في مدينة لارسا[٩٤٥] ، يأمره فيها بكيفية إحضار تماثيل الآلهة ، مع التأكيد على عدم نسيان تقديم القرابين اللازمة لها :

(أرسل الإلهات إلى بابل ، ومعها سدنتها ، على مركب تطواف ، وضع فيه من الأطعمة والأشربة ما يكفي زاداً للإلهات وسدنتها حتى وصولهم إلى بابل ، وأختر لك رجالاً أشداء يجرون المركب إلى البر ولتصل الإلهات إلى بابل دونما عائق ، وبأسرع وقت ممكن)[٩٤٦].

إن استشارة الملوك من قبل الأتباع في بعض الأحيان ، تشير إلى حالة من التملق ، أو لعله لإظهار التابع ، أو الحاكم نشاطاً يرضي به ملكه ، وكان القربان ، والصلاة ، سبيلاً لهذا

٩٤١- ايمار واوبوايه ، الشرق ، ص١٦٨.
٩٤٢- باتيرو ، الديانة عند البابليين ، ص١٤٢.
٩٤٣- كان السومريون يقدمون قرابين (البواكير) للآلهة في اشهر الأول من السنة ؛ روثن ، علوم البابليين ، ص٨٥ ؛ ولعل قربان الباكري يمثل نوع من قرابين الأطعمة.
٩٤٤- ساكز ، الحياة اليومية ، ص ص٨٧ - ٨٨.
٩٤٥- فوزي رشيد ، الملك حمورابي مجدد وحدة البلاد ، ص٩١.
٩٤٦- دولابورت ، بلاد ما بين النهرين ، ص ص٢٣٧ – ٢٣٨.

التملق، أو النشاط ، فهذا أحد كبار موظفي مملكة ماري يقيم عدو– حاكم ساكاراتوم ، يبعث برسالة إلى ملك ماري زمري – ليم ، يستشره فيها طالباً أمره ، في الصلاة نيابة عنه قائلاً :

(الآن ، وصلت ساكاراتوم وقد ماتت بنتان خادمتان في البيت ، نظرت في الأمر واكتشفت أنه كان بسبب التقدمات (القرابين) إلى الإله آمور تيهران[٩٤٧] **، إذا تفضلت مولاي أن تدعني أرضي الإله ، سوف يستغرق ذلك خمسة أيام فقط للذهاب والإياب من هناك (ولن أتأخر) لكي أستطيع أن أصلي نيابة عن مولاي في تلك التقدمة)**[٩٤٨].

[٩٤٧]- آمورو إله الحرب عند الآموريين ؛ فيليب حتي ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، تر : جورج حداد وعبد المنعم رافق ، دار الثقافة ، (بيروت : ١٩٥٨) ، ص٨٣ ؛ ولم نعثر على معنى للفظة تيهران ويبدو أنها ترجمة حرفية للكلمة.

[٩٤٨]- دالي ، ماري وكارانا ، ص١٨٧.

الخاتمة

المشورة لفظة عرفِها العراقي القديم وجاءت النصوص المسمارية ذاكرة لها أو لمرادفاتها (النصح ، التوجيه ، الإرشاد) ومؤكدة على قيام هذا الإله أو ذاك بإسداء المشورة لغيره من الآلهة أو بين البشر أيضاً ، وقد صّورَ الفكر العراقي القديم مجمع الآلهة على أنه مكاناً لتبادل المشورة بين الآلهة وأن من مبررات انعقاده التشاور وتبادل الآراء وصولاً إلى الرأي أو القرار النهائي ، والتشاور لم يمنع من وجود آلهة آمرة وأخرى مؤتمرة ، ولم نعثر على أية مشورة (بمعنى ان الإنسان مخير في ان يستجيب لها أو لا يستجيب) صادرة من قبل إله أو آلهة إلى البشر وأن تم العثور على بعض النصائح وهذا دليل على ان الإنسان كان بحسب الفكر العراقي القديم مؤتمراً من قبل الآلهة إن انعكاس الواقع المتصور عن الآلهة ترك تأثيره على الإنسان العراقي الذي وجد في التشاور أمراً مهماً له فاعليته في الواقع السياسي فكان ما يعرف بالديمقراطية البدائية التي تقوم على أساس وجود مجالس لإدارة شؤون دويلة المدينة ليستمر ذلك إلى تاريخ أول توحيد لبلاد الرافدين على يد سرجون الاكدي في عام (٢٣٧١ ق . م) ، وتميزت بعض الآلهة بحسب الفكر الاستشاري الذي بلغه العراقي القديم بكونها مانحة للمشورة ومتميزة فيها وهذا ناشئ عن طبيعة الجرم السماوي المؤله وعلى وجه الدقة كانت الآلهة ذات المظهر المشع البراق المنير هي الأقرب إلى إسداء المشورة ، ولأن الملك كان رديف الإله على الأرض فحري بالعراقي أن يرى فيه آمراً ومرشداً وناصحاً فهو من أتاحت له الآلهة الحكم في الأرض فلابد وأنها هي من تسدي له النصح فيما يفعل من أمر أو يترك ، والملك على هذا الأساس قادراً على إسداء المشورة والنصح والأمر لأن مصدرها إلهي وكان للكهنة العرافين شأنٌ في إسداء النصح والمشورة لأن لهم القدرة على الاتصال بالآلهة للوقوف على ما ترغب به من أمر ، أو تنذر من عواقب فعله ، فحري بالبشر الرجوع إليهم طلباً للمشورة أو النصح ، وكما أن للآلهة مجلساً يتداولون فيه الآراء وصولاً إلى الرأي النهائي كانت مجالس المدن بحسب الفكر العراقي القديم انعكاس أو ظل لهذا المجلس فكانت الآراء تناقش وصولاً إلى المشورة اللازمة بشأن الأمور المختلفة سواء كانت سياسية أم عسكرية أم اجتماعية وغيرها ، وقد أنعكس الفكر الاستشاري الذي أوجده العراقي القديم على مجمل حياة هذا الإنسان فكانت المشورة حاضرة في شتى ميادين الحياة من دون اقتصارها على الجوانب الدينية والسياسية ، وعدَ العراقي القديم متبنياته الفكرية المتعلقة بالدين

والسياسة والحروب والقانون بأنها نتاج مشورة الآلهة إليه ، ولم تكن المشورة مقدسة على طول الخط فتشير بعض الشواهد إلى مخالفتها وأن كان ذلك نادراً ، وكان الفكر العراقي القديم قد أرجع إلى النصائح والأوامر السبب في إيجاد وديمومة الحياة كما مَرّ بنا من خلق للإنسان وإنقاذه من الكوارث الطبيعية التي كادت تُنهي وجوده في الأرض كالوباء والمجاعة والطوفان ، وأكد طلب المشورة والنصيحة حقيقة وطبيعة الإنسان العراقي الميالة إلى الاجتماع ونبذ الفرقة فطلب النصح أو تقبله دون سؤال دليل واضح على التقارب الاجتماعي ونبذ الفردانية.

Abstract:

The research o (Counsel , advice and order in ancient Iraq from the third millennium till the second millennium B.C.) to focus on the intellectual effects that left by these concepts on Iraqi ancient people. According to the requirements of this research it has divided it to four chapters, and each chapter was divided into themes ,and according to this division the first chapter came with a title(the counsel and advice and order as a language ,idiomatically and semantically). The first chapter was divided into themes dealt with two themes ,the first one about counsel, advice and promotion lingually and semantically ,and the second one dealt

with whom in charge of counsel ,advice and order, and through this chapter the title was identified lingually and idiomatically ,and also identifying with those concerned with orders.

Chapter two title was(Advice, counsel and order between goddess),and this chapter was divided into two themes ,the first one discussed the common counsel and advice between goddess ,the second theme from this chapter discussed the issued orders from one goddess to another, and this chapter reached to that counsel ,device and promotion were common between goddess according to Iraqi ancient Intellectual legend.

Chapter three which carried the title of(advices and goddess orders

to human),and it was divided into two themes ,the first one discussed the goddess devices to human, and the second theme discussed the

orders to human ,and it have been reached by both themes that Iraqi ancient was ready to deliver the orders and devices issued by the goddess, and he was committed to execute both cases ,and the cases that include obstinacy of goddess made him be punished.

Chapter four and the last came with address(Counsel ,devices and orders from human to human),and discussed the human advice to human in first theme and human to human advices in second theme ,and the third one discussed the orders from human to human orders, and includes the advices, counsels and orders from human to human in all different fields such as the political, cultural, religion, social, educational and else from different fields.

The result of research was that the counsel ,advices and orders were included in different fields of Iraqi ancient life, and it focused on which is lower position for counsel or advice and order or which one is higher position if it was related to the relation between the goddess and goddess and goddess and human or the kings or anyone who has no authority or between human themselves concerning the position of those who issuing orders and the recipients.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

أولاً : المصادر العربية

أ – الكتب :

ابن منظور ، محمد بن مكرم الأفريقي المصري

١.لسان العرب ، دار صادر للطباعة والنشر ، ط٤ ، (بيروت : ٢٠٠٥).

الأحمد ، سامي سعيد

٢.الأصول الأولى لأفكار الشر والشيطان ، مطبعة الجامعة ، (بغداد : ١٩٧٠).

٣.السومريون وتراثهم الحضاري ، منشورات الجمعية التاريخية العراقية ، (بغداد : ١٩٧٥).

٤.العراق القديم ، جامعة بغداد ، ج١ ، (بغداد : ١٩٧٨).

٥.المعتقدات الدينية في العراق القديم ، الموسوعة التاريخية الميسرة ، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد : ١٩٨١).

٦.العراق القديم ، جامعة بغداد ، ج٢ ، (بغداد : ١٩٨٣).

٧.الإدارة ونظام الحكم ، حضارة العراق ، ج ٢ ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد : ١٩٨٥).

٨.تاريخ الخليج العربي من أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي ، مطبعة جامعة البصرة ، (البصرة:١٩٨٥).

٩.الجيش والسلاح في العصر البابلي القديم (الجيش والسلاح) ، ج١ ، دار الحرية ، (بغداد: ١٩٨٨).

١٠.كلكامش ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد : ١٩٩٠).

ادزارد . وآخرون

١١.قاموس الآلهة والأساطير في بلاد الرافدين (السومرية والبابلية) في الحضارة السورية (الأوغاريتية والفينيقية) ، تر : محمد وحيد خياطة ، دار الشرق العربي ، (بيروت : د . ت).

ارمسترونغ ، كارين

١٢. تاريخ الأسطورة ، ترجمة وجيه قانصو ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، (بيروت : ٢٠٠٨).

إسماعيل ، بهيجة خليل

١٣. سلالة أيسن الثانية ووثيقة النصر للملك نبوخذنصر الأول (الجيش والسلاح) ، دار الحرية للطباعة ، ج١ ، (بغداد : ١٩٨٨).

١٤. مسلة حمورابي ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد : ١٩٨٠).

الأسود ، حكمت بشير

١٥. أدب الرثاء في بلاد الرافدين ، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع ، (دمشق : ٢٠٠٨).

الاعظمي ، محمد طه محمد

١٦. حمورابي (١٧٩٢ – ١٧٥٠ ق . م) ، عشتار للطباعة والنشر ، (بغداد : ١٩٩٠).

البيديل ، م . ف

١٧. سحر الأساطير دراسة في الأسطورة (التاريخ . الحياة) ، تر : حسان ميخائيل اسحق، ط٢، دار علاء الدين ، (دمشق ٢٠٠٨).

أمين ، بديعة

١٨. في المعنى والرؤيا ، دار الحرية ، (بغداد : ١٩٧٩).

أمين ، سعد عمر محمد

١٩. القرابين والنذور في العراق القديم ، دراسات ، (بغداد : ٢٠١١).

امهز ، محمود

٢٠. في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، دار النهضة العربية ، (بيروت : ٢٠٠٩).

اندريه ، فالتر

٢١. استحكامات آشور ، تر : عبد الرزاق كامل الحسن ، المؤسسة العامة للآثار ، (بغداد : ١٩٨٧).

٢٢. معابد عشتار الحديثة في آشور ، تر : عبد الرزاق كامل الحسن ، المؤسسة العامة للآثار والتراث ، (بغداد : ١٩٨٦).

اوبنهايم ، ليو

٢٣. بلاد ما بين النهرين ، تر : سعدي فيضي عبد الرزاق ، دار الرشيد ، (بغداد : ١٩٨١).

اوتس ، جون

٢٤. بابل تاريخ مصور ، تر : سمير عبد الرحيم الجلبي ، دائرة الآثار والتراث ، (بغداد : ١٩٩٠).

اوتيس ، ديفيد وجوان

٢٥. نشوء الحضارة ، تر : لطفي الخوري ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد : ١٩٨٨).

ايمار ، اندريه . اوبوايه ، جانيت

٢٦. الشرق واليونان القديمة ، تر : فريد م . داغر وفؤاد ج . أبو ريحان ، منشورات عويدات ، (بيروت : ١٩٦٤).

باتيرو ، جان

٢٧. الديانة عند البابليين ، تر : وليد الجادر ، مركز الإنماء الحضاري ، (ب ، ط ، ٢٠٠٥).

٢٨. بلاد الرافدين الكتابة – العقل – الآلهة ، تر : البير ابونا ، مراجعة وليد الجادر ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد : ١٩٩٠).

ـــــــــــــــــ ، وآخرون

٢٩.الشرق الأدنى الحضارات المبكرة ، تر : عامر سليمان ، دار الكتب للطباعة والنشر ، (الموصل ، ١٩٨٦).

بارندر ، جفري

٣٠. المعتقدات الدينية لدى الشعوب (بلاد ما بين النهرين) ، تر : إمام عبد الفتاح إمام ، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، العدد ١٧٣ ، (الكويت : ١٩٩٣).

بارو ، اندريه

٣١. بلاد آشور ، تر : عيسى سلمان وسليم طه التكريتي ، دار الرشيد ، (بغداد : ١٩٨٠).

٣٢. سومر فنونها وحضارتها ، تر : عيسى سلمان و سليم طه التكريتي ، (بغداد : ١٩٧٩).

باقر ، طه

٣٣. بابل وبورسبا ، مطبعة الحكومة ، (بغداد : ١٩٥٩).

٣٤. ملحمة كلكامش ، دار الحرية للطباعة ، ط٤ ، (بغداد : ١٩٨٠).

٣٥. موجز في تاريخ العلوم والمعارف ، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ش . م . م ، (مصر: ٢٠٠٤).

٣٦. مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، دار الوراق ، ج١ ، (بغداد : ٢٠٠٩).

٣٧. مقدمة في أدب العراق القديم ، دار الوراق ، (بغداد : ٢٠١٠).

٣٨. مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج٢ ، دار الوراق ، (بغداد : ٢٠١١).

________، وآخرون

٣٩.تاريخ العراق القديم ، ج١ ، مطبعة جامعة بغداد ، (بغداد : ١٩٨٠).

براندت ، ايفيلين كلينكل

٤٠. رحلة الى بابل القديمة ، تر : زهدي الداودي ، دار المدى للثقافة والنشر ، (بغداد : ٢٠١٠).

برستد ، جيمس هنري

٤١. انتصار الحضارة ، تر : احمد فخري ، مكتبة الانجلو المصرية ، (د . ت).

٤٢. تطور الفكر والدين في مصر القديمة ، تر : زكي سوس ، دار الكرنك ، (القاهرة : ١٩٦١).

٤٣. تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي ، تر : حسن كمال ، مكتبة مدبولي ، ط٢ ، (القاهرة : ١٩٩٦).

بروكسل ، فنيت

٤٤. أهمية النبوءة في مجتمع مملكة ماري (النبؤات البابلية) ، تقديم جوسي آرو ، تر : حسن هيثم الطريحي ، دار نينوى ،(دمشق : ٢٠١٠).

البستاني ، بطرس

٤٥. محيط المحيط (قاموس مطول للغة العربية) ، مكتبة لبنان ، (بيروت : ١٩٧٧).

بشور ، أمل مخائيل

٤٦. تاريخ الإمبراطوريات السامية في بابل وآشور ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، (طرابلس : ٢٠٠٨).

بصمجي ، فرج

٤٧. نُفّر (نيبور القديمة) ، مطبعة الرابطة ، (بغداد : ١٩٦٠).

٤٨. الوركاء ، مطبعة الرابطة ، (بغداد : ١٩٦٠).

بفن ، ادون

٤٩. أرض النهرين ، تر : انستاس الكرملي بمساعدة لويس مرتين الكرملي ، مطبعة المعارف، (بغداد : ١٩٦١).

بوتس ، دانيال تي

٥٠. حضارة وادي الرافدين الأسس المادية ، تر : كاظم سعد الدين ، الهيئة العامة للآثار والتراث، (بغداد : ٢٠٠٦).

بوستغيت ، نيكولاس

٥١. حضارة العراق وآثاره ، تر : سمير عبد الرحيم الجلبي ، دار المأمون ، (بغداد : ١٩٩١).

بيلافسكي ، ف . آ

٥٢. أسرار بابل ، تر : رؤوف موسى جعفر الكاظمي ، دار المأمون ، (بغداد : ٢٠٠٨).

الجوراني ، وداد جاسم

٥٣. الرحلة الى الفردوس والجحيم في أساطير العراق القديم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد : ١٩٩٨).

الجابري ، علي حسين

٥٤. الحوار الفلسفي بين حضارات الشرق القديمة وحضارة اليونان ، دار آفاق عربية ، (بغداد: ١٩٨٥).

وليد الجادر وعبد الإله فاضل

٥٥. دور العلم والمعرفة في العراق القديم ، المورد ، العدد ٣ ، ١٩٨٧.

جاكوبسن ، ثوركيلد

٥٦. أديان ما بين النهرين (إطلالة عامة) (موسوعة تاريخ الأديان) ، تر : محمود منقذ الهاشمي، تحرير فراس السواح ، ط٢، (دمشق : ٢٠٠٧).

__________ ، وآخرون

٥٧. ما قبل الفلسفة الإنسان في مغامرته الفكرية الأولى ، تر : جبرا إبراهيم جبرا ، دار مكتبة الحياة، (بغداد : ١٩٦٠).

الجبوري ، علي ياسين

٥٨. نظام الحكم ، موسوعة الموصل الحضارية ، المجلد الأول ، دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل ١٩٩١).

الجنابي ، قيس حاتم هاني

٥٩. تاريخ الشرق الأدنى القديم ، دار صفاء ، (عمان : ٢٠١٢).

جواد ، حسن فاضل

٦٠. حكمة الكلدانيين ، القسم الأول (مقدمات ونصوص) ، مراجعة عبد الأمير الأعسم ، بيت الحكمة، (بغداد : ٢٠٠٠).

الجوهري ، اسماعيل بن حماد

٦١معجم الصحاح ، ط٣ ، دار المعرفة ، (بيروت : ٢٠٠٨).

حتي ، فيليب

٦٢. تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، تر : جورج حداد وعبد المنعم رافق ، دار الثقافة ، (بيروت: ١٩٥٨).

الحمداني ، شعيب أحمد

٦٣. قانون حمورابي ، العاتك لصناعة الكتاب ، (بغداد : ١٩٨٩).

حنون ، نائل

٦٤. عقائد الحياة والخصب في الحضارة العراقية القديمة ، دار الفارس للنشر والتوزيع ، (عمان: ٢٠٠٢).

٦٥. شريعة حمورابي (ترجمة النص المسماري مع الشروحات اللغوية القواعد اللغوية مقدمة الشريعة المواد القانونية) ، ج١ ، بيت الحكمة ، (بغداد : ٢٠٠٣).

٦٦. حينما في العلى قصة الخليقة البابلية ، دار الزمان ، (دمشق : ٢٠٠٦).

٦٧. ملحمة جلجامش (ترجمة عن النص المسماري مع قصة موت جلجامش والتحليل اللغوي للنص الاكدي) ، دار الخريف ، (دمشق : ٢٠٠٦).

٦٨. حقيقة السومريين ودراسات أخرى في علم الآثار والنصوص المسمارية ، دار الزمان ، (دمشق: ٢٠٠٧).

٦٩. مدن قديمة ومواقع أثرية (دراسة في الجغرافية التاريخية للعراق الشمالي خلال العصور الآشورية) ، دار الزمان ، (دمشق : ٢٠٠٩).

دالي ، ستيفاني

٧٠. أساطير من بلاد ما بين النهرين ، تر : نجوى نصر ، دار جامعة اوكسفورد للنشر ، (ب. ط، ١٩٩١).

٧١. ماري وكارانا مدينتان بابليتان قديمتان ، تر : كاظم سعد الدين ، بيت الحكمة ، (بغداد : ٢٠٠٨).

دانيال ، كلين

٧٢. موسوعة علم الآثار ، تر : ليون يوسف ، دار المأمون ، ج٢ ، (بغداد : ١٩٩٠).

الدباغ ، تقي

٧٣. الفكر الديني القديم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد : ١٩٩٢).

دويلهوفر ، ارنست

٧٤. رموز ومعجزات ، تر : عماد حاتم ، دار علاء الدين ، ط٢، (دمشق : ٢٠١٠).

الدوري ، رياض عبد الرحمن أمين

٧٥. آشور بانيبال سيرته ومنجزاته ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد : ٢٠٠١).

دولابورت ، ل

٧٦. بلاد ما بين النهرين (حضارة بابل وآشور) ، تر : مارون الخوري ، دار الروائع الجديدة ، (بيروت : ١٩٧١).

دياكونوف

٧٧. ظهور الدولة الاستبدادية في العراق القديم (العراق القديم دراسة تحليلية لأحواله الاقتصادية والاجتماعية) ، جماعة من علماء الآثار السوفيت ، تر : وتعليق سليم طه التكريتي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد : ١٩٧٦).

دياكونوف ، إ . م . ترافيموف ، ب . س .

٧٨. جماليات ملحمة كلكامش ، تر : عزيز حداد ، مكتبة الصياد ، (بغداد : ١٩٧٣).

دياكوف . كوفاليف ، س

٧٩. الحضارات القديمة ، تر : نسيم واكيم اليازجي ، دار علاء الدين ، ج١ ، ط٢ ، (دمشق : ٢٠٠٦).

ديكانوف ي . م ، وآخرون

٨٠. تاريخ الشرق القديم (نشوء المجتمعات الطبقية القديمة والمواطن الأولى للحضارات العبودية) ، تر : محمد العلامي ، دار الفكر ، (عمان : ٢٠١٢).

ذيبان ، جمال مولود

٨١. تطور فكرة العدل في القوانين العراقية القديمة ، دار الشؤون الثقافية ، (بغداد : ٢٠٠١).

الراوي ، فاروق ناصر

٨٢. التعبئة وأساليب القتال في الجيش الآشوري (الجيش والسلاح) ، ج٢ ، دار الحرية للطباعة، (بغداد : ١٩٨٨).

رشيد ، صبحي أنور

٨٣. تماثيل الأسس السومرية ، دار الرشيد ، (بغداد : ١٩٨٠).

رشيد ، فوزي

٨٤. الشرائع العراقية القديمة ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد : ١٩٧٣).

٨٥. أقدم الكتابات المسمارية المكتشفة في حوض سد حمرين ، دار الكتب للطباعة والنشر ، (الموصل : ١٩٨١).

٨٦. السياسة والدين في العراق القديم ، دائرة الشؤون الثقافية والنشر ، (بغداد : ١٩٨٣).

٨٧. الديانة ، المعتقدات الدينية ، حضارة العراق ، ج١ ، (بغداد : ١٩٨٥).

٨٨. أبي سن آخر ملوك سلالة أور الثالثة ، الموسوعة الذهبية ، (بغداد : ١٩٩٠).

٨٩. سرجون الاكدي أول إمبراطور في العالم ، الموسوعة الذهبية ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد : ١٩٩٠).

٩٠. الملك حمورابي مجدد وحدة البلاد ، الموسوعة الذهبية ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد : ١٩٩١).

٩١. الفكر عبر التاريخ ، سينا للنشر ، (القاهرة : ١٩٩٥).

روثن ، مرغريت

٩٢. علوم البابليين ، تر : يوسف حبي ، دار الرشيد للنشر ، (بغداد : ١٩٨٠).

رميض ، صلاح سلمان

٩٣.أدب الحكمة في وادي الرافدين ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد : ٢٠٠٠).

رو ، جورج

٩٤. العراق القديم ، تر : حسين علوان حسين ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد : ١٩٨٤).

الرويح ، صالح حسين

٩٥. العبيد في العراق القديم ، مطبعة اوفسيت الميناء ، (بغداد : ١٩٧٧).

زايبرت ، الزة

٩٦. رمز الراعي في بلاد الرافدين ونشوء فكرة السلطة والملكية ، تر : محمد وحيد خياطة، مكتبة الفيحاء ، (دمشق : ١٩٨٨).

زودن ، ف . فون

٩٧. مدخل إلى حضارات الشرق القديم ، تر : فاروق إسماعيل ، دار المدى ، (دمشق : ٢٠٠٣).

ساكز ، هاري

٩٨. عظمة بابل ، تر : عامر سليمان ، الطبعة الثالثة ، دار الكتب للطباعة والنشر ، (الموصل : ١٩٧٩).

٩٩. عظمة آشور ، تر : خالد اسعد عيسى واحمد غسان سبانو ، دار ومؤسسة ارسلان ، (دمشق : ٢٠٠٨).

١٠٠. البابليون ، تر : سعيد الغانمي ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، (طرابلس الغرب : ٢٠٠٩).

١٠١. الحياة اليومية في العراق القديم (بلاد بابل وآشور) ، تر : كاظم سعد الدين ، دار المأمون، (بغداد : ٢٠١٠).

سبيزر ، إي . أي

١٠٢. حضارة وادي الرافدين نور لا يخبو ، تر : كاظم سعد الدين ، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد : ٢٠٠٤).

سعيد ، خليل

١٠٣. معالم من حضارة وادي الرافدين ، مطبعة النجاح الجديدة ، (الدار البيضاء : ١٩٨٤).

سعيد ، ليلى عبد الله

١٠٤. المسؤولية المدنية في شريعة حمورابي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد : ٢٠٠١).

سليمان ، عامر

١٠٥. القانون في العراق القديم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط٢ ، (بغداد : ١٩٧٨).

١٠٦. العلاقات السياسية الخارجية ، (حضارة العراق) ، ج٢ ، دار الحرية ، (بغداد : ١٩٨٥).

١٠٧. الجيش والسلاح في العصر الاكدي ، (الجيش والسلاح) ، ج١ ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد : ١٩٨٨).

١٠٨. العراق في التاريخ القديم – موجز التاريخ السياسي ، دار الكتب للطباعة والنشر ، ج١ ، (الموصل : ١٩٩٣).

١٠٩. العراق في التاريخ القديم – موجز التاريخ الحضاري ، دار الكتب للطباعة والنشر، ج٢ ، (الموصل : ١٩٩٣).

١١٠. اللغة الأكدية (البابلية – الآشورية) ، الدار العربية للموسوعات ، ط٢ ، (بيروت : ٢٠٠٥).

_______ والفتيان ، احمد مالك

١١١. محاضرات في التاريخ القديم ، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، (الموصل : ١٩٧٨).

_______ ، وآخرون

١١٢. المعجم الاكدي معجم اللغة الاكدية (البابلية – الآشورية) باللغة العربية والحرف العربي) ، ج١، منشورات المجمع العلمي ، (بغداد : ١٩٩٩).

سلمان ، حسين احمد

١١٣. كتابة التاريخ في وادي الرافدين في ضوء النصوص المسمارية ، مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي ، (بغداد : ٢٠٠٩).

سليم ، احمد أمين

١١٤. في الشرق الأدنى القديم ، دار النهضة العربية ، (بيروت : د . ت).

السواح ، فراس

١١٥. مغامرة العقل الأولى ، ب . مط ، (ب . ط ، د . ت).

١١٦. جلجامش ملحمة الرافدين الخالدة ، دار علاء الدين ، ط٢ ، (دمشق : ٢٠٠٢).

١١٧. دين الإنسان (بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني) ، ط٤ ، دار علاء الدين، (دمشق: ٢٠٠٢).

١١٨. لغز عشتار ، دار علاء الدين ، ط٨ ، (دمشق : ٢٠٠٢).

١١٩. مدخل إلى نصوص الشرق القديم ، دار علاء الدين ، (دمشق : ٢٠٠٦).

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن

١٢٠. معجم مقاليد العلوم ، تحقيق محمد إبراهيم عبادة ، مكتبة الآداب ، (القاهرة : ٢٠٠٤).

شمار ، جورج بوييه

١٢١. المسؤولية الجزائية في الآداب الآشورية والبابلية ، تر : سليم الصويص ، دار الرشيد للنشر، (بغداد : ١٩٨١).

الشواف ، قاسم

١٢٢. ديوان الأساطير ، أناشيد الحب السومرية ، قدم له واشرف عليه ادونيس ، ج١ ، دار الساقي ، (بيروت : ١٩٩٦).

١٢٣. ديوان الأساطير ، الآلهة والبشر ، ج٢ ، دار الساقي ، (بيروت : ١٩٩٧).

١٢٤. ديوان الأساطير ، الحضارة والسلطة ، ج٣ ، دار الساقي ، (بيروت : ١٩٩٩).

١٢٥. ديوان الأساطير ، (الموت والبعث والحياة الأبدية) ، ج٤ ، دار الساقي ، (بيروت : ٢٠٠١).

الشوك ، علي

١٢٦. الأساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة ، دار اللام ، (لندن : ١٩٨٧).

الشيخلي ، عبد القادر عبد الجبار

١٢٧. الإدارة والسياسة (العراق في موكب الحضارة الأصالة والتأثير) ، ج١ ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد : ١٩٨٨).

صاحب ، زهير

١٢٨. الفنون السومرية ، دار أيكال للطباعة والتصميم ، (بغداد : ٢٠٠٥).

١٢٩. أغنية القصب (دراسة في الحضارة السومرية) ، دار الجواهري ، (بغداد : ٢٠١١).

صالح ، عبد العزيز

١٣٠. الشرق الأدنى القديم ، مكتبة الانجلو المصرية ، (القاهرة : ٢٠٠٤).

صليبا ، جميل

١٣١. المعجم الفلسفي ، ج١ ، دار الكتاب اللبناني ، (بيروت : ١٩٨٢).

الصيواني ، شاه محمد علي

١٣٢. أور ، دار الحرية للطباعة والنشر ، (بغداد : ١٩٧٦).

طقوش ، محمد سهيل

١٣٣. الحضارة الحثية (موسوعة الحضارات القديمة) ، دار النفائس ، (بيروت : ٢٠١١).

عبد الله ، فيصل ومرعي ، عيد

١٣٤. المدخل إلى تاريخ الحضارة ، جامعة دمشق (دمشق : ٢٠٠٨).

عقراوي ، ثلماستيان

١٣٥. المرأة دورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد : ١٩٧٨).

عكاشة ، ثروت

١٣٦. تاريخ الفن – الفن العراقي القديم (سومر وبابل وآشور) ، ج٤ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، (بيروت : ب ت).

علي ، فاضل عبد الواحد

١٣٧. الطوفان في المراجع المسمارية ، مطبعة اوفسيت الإخلاص ، (يغداد : ١٩٧٥).

١٣٨. السومريون والاكديون (العراق في التاريخ) ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد : ١٩٨٣).

١٣٩. صراع السومريين والاكديين مع الأقوام الشرقية والشمالية الشرقية المجاورة لبلاد وادي الرافدين (٢٥٠٠ – ٢٠٠٠ ق . م) ، الصراع العراقي الفارسي ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد: ١٩٨٣).

١٤٠. الأعياد والاحتفالات (حضارة العراق) ، ج١ ، دار الحرية ، (بغداد : ١٩٨٥).

١٤١.الأدب ، (حضارة العراق) ، ج١، دار الحرية ، (بغداد : ١٩٨٥).

١٤٢. العرافة والسحر ، حضارة العراق ، ج١ ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد : ١٩٨٥).

١٤٣. عشتار ومأساة تموز ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط٢ ، (بغداد : ١٩٨٦).

١٤٤. وثيقة حرب التحرير للملك السومري اوتوحيكال (٢١٢٠ – ٢١١٣ ق . م) (الجيش والسلاح) ، ج١ ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد : ١٩٨٨).

١٤٥. من سومر إلى التوراة ، سينا للنشر ، ط٢ ، (القاهرة : ١٩٩٦).

١٤٦. سومر أسطورة وملحمة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد : ١٩٩٧).

________ ، وسليمان ، عامر

١٤٧. عادات وتقاليد الشعوب القديمة ، دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل : ١٩٧٩).

غولاييف ، فاليري

١٤٨. المدن الأولى ، تر : طارق معصراني ، ج١ ، دار التقدم ، (موسكو : ١٩٨٩).

فرانكفورت ، هنري

١٤٩. فجر الحضارة في الشرق الأدنى ، تر : ميخائيل الخوري ، دار مكتبة الحياة، (بيروت: ١٩٥٩).

فريشاور ، بول

١٥٠. الجنس في العالم القديم ، تر : فائق دحدوح ، دار علاء الدين ، ط ٣ ، (دمشق : ٢٠٠٧).

فياض ، عامر حسن . مراد ، علي عباس

١٥١. إشكالية السلطة في تأملات العقل الشرقي القديم والإسلامي الوسيط ، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد : ٢٠٠٥).

فيلهلم ، جرنوت

١٥٢. الحوريون تاريخهم وحضارتهم ، تر : فاروق إسماعيل ، دار جدل ، (حلب : ٢٠٠٠).

قاشا ، سهيل

١٥٣. أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية ، بيسان ، (بيروت : ١٩٩٨).

١٥٤. الحكمة في وادي الرافدين ، دار الرافدين ، (بيروت : ٢٠٠٦).

١٥٥. تاريخ الفكر في العراق القديم ، التنوير ، (بيروت : ٢٠١٠).

كريمر ، صموئيل نوح

١٥٦. من ألواح سومر ، تر : طه باقر ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، (القاهرة : ١٩٥٧).

١٥٧. الأساطير السومرية ، تر : يوسف داود عبد القادر ، مطبعة المعارف ، (بغداد : ١٩٧١).

١٥٨. السومريون (تاريخهم حضارتهم وخصائصهم) ، تر : فيصل الوائلي ، وكالة المطبوعات ، (الكويت : ١٩٧٣).

١٥٩. أساطير العالم القديم (أساطير سومر وأكاد) ، تر : احمد عبد الحميد يوسف ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (القاهرة : ١٩٧٤).

١٦٠. الديانة السومرية اللاهوت والطقس والأسطورة (موسوعة تاريخ الأديان) ، ط٢، تر : محمود منقذ الهاشمي ، تحرير فراس السواح، ج٢، (دمشق : ٢٠٠٧).

١٦١. طقوس الجنس المقدس عند السومريين (إينانا ودوموزي)، تر : نهاد خياطة ، دار علاء الدين، ط٢ ، (دمشق : ٢٠٠٧).

١٦٢. الأدب السومري أقدم القصص في تاريخ البشرية ، (حضارة وادي الرافدين سومر – آشور – بابل سبعة آلاف سنة من الفن والحضارة) ، تر : قاسم مطر التميمي ، (بغداد : ٢٠١٠).

الكفوي ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني

١٦٣. معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، تحقيق عدنان الدرويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت : ١٩٩٨).

كلشكوف

١٦٤. الحياة الروحية في بابل (الإنسان – المصير – الزمن) ، تر : عدنان عاكف حمودي ، دار المدى للثقافة والنشر ، (دمشق : ١٩٩٥).

كلنغل ، هورست

١٦٥. حمورابي ملك بابل وعصره ، تر : غازي شريف ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد : ١٩٨٧).

كولديفاي ، روبرت

١٦٦. القلاع الملكية في بابل ، تر : نوال خورشيد سعيد ، المؤسسة العامة للآثار والتراث ، ج١، (بغداد : ١٩٨٥).

١٦٧. معابد بابل وبورسبا ، تر : نوال خورشيد سعيد ، المؤسسة العامة للآثار والتراث ، (بغداد: ١٩٨٥).

كونتينيو ، جورج

١٦٨. الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور ، تر : سليم طه التكريتي و برهان عبد التكريتي ، ط٢ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد : ١٩٨٦).

كييرا ، ادوارد

١٦٩. كتبوا على الطين ، تر : وتعليق محمود حسين الأمين ، مكتبة الجوادي ، (بغداد : ١٩٦٢).

محمد علي ، محمد عبد اللطيف

١٧٠. سجلات ماري وما تلقيه من أضواء على التاريخ السياسي لمملكة ماري (من حوالي ١٨٢٠ – ١٧٦٠ ق . م) ، دار المعرفة الجامعية ، (الإسكندرية : ١٩٨٥).

لابات ، رينيه

١٧١. المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين ، تر : البير ابونا ووليد الجادر ، مطبعة التعليم العالي ، (بغداد : ١٩٨٨).

١٧٢. قاموس العلامات المسمارية ، تر : البير ابونا وآخرون ، مراجعة وإشراف عامر سليمان ، منشورات المجمع العلمي ، (بغداد : ٢٠٠٤).

لنتون ، رالف

١٧٣. شجرة الحضارة قصة الإنسان منذ فجر ما قبل التاريخ حتى بداية العصر الحديث ، تر : احمد فخري ، ج١ ، المركز القومي للترجمة ، (القاهرة : ٢٠١٠).

١٧٤. شجرة الحضارة قصة الإنسان منذ فجر ما قبل التاريخ حتى بداية العصر الحديث ، تر : احمد فخري ، ج٢ ، المركز القومي للترجمة ، (القاهرة : ٢٠١٠).

لوبون ، غوستاف

١٧٥. حضارة بابل وآشور ، تر : محمود خيرت المحامي ، المطبعة العصرية ، (مصر : ١٩٤٧).

لوكاس ، كرستوفر

١٧٦. حضارة الرقم الطينية وسياسة التربية والتعليم في العراق القديم ، تر : يوسف عبد المسيح ثروة، دار الجاحظ ، (بغداد : ١٩٨٠).

لويد ، سيتون

١٧٧. آثار بلاد الرافدين (من العصر الحجري القديم حتى الاحتلال الفارسي) ، تر : سامي سعيد الأحمد ، دار الرشيد ، (بغداد : ١٩٨٠).

١٧٨. فن الشرق الأدنى القديم ، تر: محمد درويش ، دار المأمون ، (بغداد : ١٩٨٨).

الماجدي ، خزعل

١٧٩. إنجيل بابل ، الأهلية للنشر والتوزيع ، (عمان : ١٩٩٨).

١٨٠. إنجيل سومر ، الأهلية ، (عمان : ١٩٩٨).

١٨١. بخور الآلهة ، الأهلية ، (عمان : ١٩٩٨).

مارغرون ، جان كلود

١٨٢. السكان القدماء لبلاد ما بين النهرين وسورية الشمالية ، تر : سالم سليمان العيسى ، دار علاء الدين ، ط٣ ، (دمشق : ٢٠٠٩).

مالوان ، ماكس

١٨٣. مذكرات مالوان ، تر : سمير عبد الرحيم الجلبي ، دار المأمون ، (بغداد : ١٩٨٧).

١٨٤. حضارة عصر فجر السلالات في العراق ، تر : كاظم سعد الدين ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد : ٢٠٠١).

المتولي ، نوالة احمد محمود

١٨٥. مدخل في دراسة الحياة الاقتصادية لدولة أور الثالثة (في ضوء الوثائق المسمارية المنشورة وغير المنشورة) ، دار الحوراء ، (بغداد : ٢٠٠٧).

مجمع اللغة العربية

١٨٦. المعجم الوجيز ، منشورات وزارة التربية والتعليم ، (مصر : ١٩٩٤).

١٨٧. المعجم الوسيط ، ط٤ ، مكتبة الشروق الدولية ، (مصر : ٢٠٠٤).

محان ، محمد سياب

١٨٨. المعاهدات السياسية في العراق القديم ، تموز ، (دمشق : ٢٠١٢).

محمد ، جيهان عزت

١٨٩. أخبار مملكة امورو في النصوص الاكدية ، المديرية العامة للآثار والمتاحف ، (دمشق : ٢٠١١).

المرزوقي ، جمال

١٩٠. الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي ، دار الآفاق العربية ، (القاهرة : ٢٠٠١).

مسعود ، ميخائيل . الجبيلي ، سجيع

١٩١. الحضارات بين الصراع والحوار ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، (طرابلس : ٢٠٠٩).

مكاي ، دروثي

١٩٢. مدن العراق القديمة ، تر : يوسف يعقوب مسكوني ، ط٣ ، مطبعة شفيق ، (بغداد : ١٩٦١).

ملرش ، ايج – اي – ايل

١٩٣. قصة الحضارة في سومر وبابل ، تر : عطا بكري ، مطبعة الإرشاد ، (بغداد : ١٩٧١).

مورتكات ، أنطوان

١٩٤. تاريخ الشرق الأدنى القديم ، تر : توفيق سليمان وآخرون ، (دمشق : ١٩٦٧).

١٩٥. تموز عقيدة الخلود والتقمص في فن الشرق القديم ، تر : توفيق سليمان ، ب . مط ، (دمشق : ١٩٨٥).

موسكاتي ، سبتينو

١٩٦. الحضارات السامية القديمة ، تر : السيد يعقوب بكر ، دار الراقي ، (بيروت : ١٩٨٦).

ميغوليفسكي ، أ . س

١٩٧. أسرار الآلهة والديانات ، تر : حسان مخائيل اسحق ، دار علاء الدين ، ط٣ ، (دمشق : ٢٠٠٧).

النجم ، محمد حسين

١٩٨. فلسفة الوجود في الفكر الرافديني القديم وأثرها عند اليونان ، بيت الحكمة ، (بغداد : ٢٠٠٣).

النشار ، مصطفى حسن

١٩٩. الفلسفة الشرقية القديمة ، دار المسيرة ، (عمان : ٢٠١٢).

النعيمي ، راجحة خضر عباس

٢٠٠. الأعياد في حضارة بلاد وادي الرافدين ، دار صفحات ، (دمشق : ٢٠١١).

الهاشمي ، رضا جواد

٢٠١. نظام العائلة في العهد البابلي القديم ، مكتبة الأندلس ، (بغداد : ١٩٧١).

٢٠٢. التجارة (حضارة العراق) ، ج٢ ، دار الحرية ، (بغداد : ١٩٨٥).

٢٠٣. القانون والأحوال الشخصية (حضارة العراق) ، ج٢ ، دار الحرية للطباعة والنشر ، (بغداد: ١٩٨٥).

هايدل ، الكسندر

٢٠٤. سفر التكوين البابلي قصة الخليقة ملحمة حينما في الاعالي ، تر : سعيد الغانمي ، منشورات الجمل ، (بغداد : ٢٠٠٧).

هروشكا ، بوهوسلاف . وآخرون

٢٠٥. الأساطير في حضارة وادي الرافدين ، تر : عصام عبد اللطيف احمد ، بيت الحكمة ، (بغداد: ٢٠٠٦).

هوك ، صموئيل هـ

٢٠٦. الأساطير في بلاد ما بين النهرين ، تر : يوسف داود عبد القادر ، دار الجمهورية ، (بغداد : ١٩٦٨).

٢٠٧. ديانة بابل وآشور ، تر : نهاد خياطة ، موسوعة تاريخ الأديان ، ج٢ ، تحرير فراس السواح، ط٢ ، دار علاء الدين ، (دمشق : ٢٠٠٧).

الوائلي ، فيصل

٢٠٨. من أدب العراق القديم ترانيم وأدعية سومرية ، دار الوراق ، (بغداد : ٢٠٠٧).

ولز ، هـ . ج .

٢٠٩. معالم تاريخ الإنسانية ، تر : عبد العزيز توفيق جاويد ، (ب ، مط ، د ، ت).

ولكشتاين دايان . كريمر ، صموئيل نوح

٢١٠. إينانا ملكة الأرض والفردوس أسطورة بلاد ما بين النهرين ، تر : شاكر الحاج مخلف، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد : ٢٠٠٨).

وولي ، ليونارد

٢١١. وادي الرافدين مهد الحضارة ، تر : احمد عبد الباقي ، دار الكتاب العربي ، (ب ط : ١٩٤٨).

٢١٢. نبش الماضي ، تر : عزيز العلي العزي ، دار الرشيد ، (بغداد : ١٩٨٢).

يحيى ، أسامة عدنان

٢١٣. عصر الآلهة (دراسة في أساطير وادي الرافدين) ، مكتبة مصر ودار المرتضى ، (بغداد: ٢٠٠٩).

يونس ، عبد الحميد

٢١٤. معجم الفولكلور ، ب . مط ، (القاهرة : ١٩٨٢).

ب_ البحوث والدراسات

آغا ، عبد الله أمين

٢١٥. مُلاحظات حول مخطط بناية ايزيدا معبد نابو في نمرود تنقيبات الموسم العاشر في نمرود (١٩٧٨) ، سومر ، مجلد ٤٤ (١٩٨٥ – ١٩٨٦).

الأمين ، محمود حسين

٢١٦. الكاشيون (١٥٣٠ – ١١٦٠ ق . م) ، مجلة كلية الآداب جامعة بغداد ، العدد ٦ ، (١٩٦٣).

باقر ، طه

٢١٧. معابد العراق القديم ، سومر ، المجلد ٣ ، (بغداد : ١٩٤٧).

البياتي ، عادل جاسم

٢١٨. الرافدان وأثرهما في أدب المياه وقصص الطوفان ، مجلة كلية آداب المستنصرية ، العدد ٨ ، (١٩٨٤).

بيرجيه ، مارك

٢١٩. العراق مؤسس الحضارات ، ترجمة كامل عويد العامري ، آفاق عربية ، العدد (٥ – ٦) ، بغداد : ١٩٩٩).

الجادر ، وليد محمود

٢٢٠. المنتديات العامة وصناعة الأغذية في وادي الرافدين القديم ، آفاق عربية ، العدد ١٠ ، (١٩٨٦).

٢٢١. النظم والمناصب العسكرية في العراق القديم ، مجلة آداب المستنصرية ، العدد ١٣ ، (بغداد : ١٩٨٦).

جميل ، فؤاد

٢٢٢. الطوفان في المصادر السومرية ، البابلية ، الآشورية ، والعبرانية ، سومر ، المجلد ٢٨، (١٩٧٢).

حنون ، نائل

٢٢٣. شخصية الإلهة الأم ودور الآلهة "إنانا . عشتار" في النصوص السومرية والاكدية ،
٢٢٤. سومر ، المجلد ٣٤ ، (١٩٧٨).

رشيد ، فوزي

٢٢٥. من هم السومريون ، آفاق عربية ، العدد ١٢ ، (١٩٨١).

الزيباري ، أكرم سليم

٢٢٦. نظرة في بعض سمات ومفاهيم القانون البابلي (ندوة قوانين حمورابي) ، دار الحكمة ، (بغداد : ١٩٨٨).

سليمان ، عامر

٢٢٧. طرق الإثبات في القانون العراقي القديم (ندوة قوانين حمورابي) ، دار الحكمة ، (بغداد : ١٩٨٨).

الشمري ، طالب منعم

٢٢٨. المدارس في العراق القديم (أبحاث المؤتمر العلمي الثالث لكلية التربية / جامعة واسط)، (٢٠٠٨).

علي ، فاضل عبد الواحد

٢٢٩. طرق العرافة في النصوص المسمارية ، مجلة كلية الآداب ، العدد ٢٥ ، (بغداد : ١٩٧٩).

٢٣٠. محاربة قوى الشر دراسة مقارنة بين النصوص المسمارية والتوراة ، مجلة كلية الآداب، العدد ٢ ، (بغداد : ١٩٨٢).

٢٣١. نبوخذنصر الأول ومعركة الثأر على ضفاف الكرخة ، (آفاق عربية) ، العدد ٨ ، (١٩٨٢).

٢٣٢. المنجزات السياسية والعسكرية في عصر فجر السلالات السومرية ، المورد ، المجلد ١٦، العدد ٣ ، (١٩٨٧).

٢٣٣. الأدباء السومريون وأحداث في التاريخ ، آفاق عربية ، العدد ٧ ، (١٩٩٢).

٢٣٤. "البديل" في طقوس السحر عند البابليين ، الموقف الثقافي ، العدد ٥ ، (١٩٩٦).

٢٣٥. عن كودية وتفسير رؤياه في النصوص السومرية ، آفاق عربية ، العددان (١١ – ١٢) ، (١٩٩٨).

الفؤادي ، عبد الهادي

٢٣٦. بحث في الأمثال العراقية دراسة مقارنة لأمثال المجتمع العراقي القديم والمعاصر ، سومر، مجلد ٣٠ ، (١٩٧٤).

مهدي ، علي محمد

٢٣٧. الملاحم والأساطير في العراق القديم ، آفاق عربية ، العدد ١٢ ، (١٩٨٦).

الهاشمي ، رضا جواد

٢٣٨. تاريخ الخيل والفروسية في العراق القديم ، سومر ، المجلد السادس والأربعون ، (١٩٨٨–١٩٨٩).

٢٣٩. مردوك عظيم آلهة بابل ، مجلة المورد ، العدد الثالث ، (١٩٨٧).

ج– الرسائل والأطاريح

الأعرجي ، حسين سيد نور جلال

٢٤٠. الخطاب السياسي في العراق القديم ٣٠٠٠ – ٥٣٩ ق . م ، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة واسط : ٢٠٠٥).

الأمير ، سعدون عبد الهادي

٢٤١. الأزمات السياسية الداخلية في العراق القديم (٣٠٠٠ – ٥٣٩) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة واسط : ٢٠٠٥).

٢٤٢. التوظيف السياسي للفكر الديني في العراق القديم (٣٠٠٠ – ٥٣٩ ق . م) ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، (بغداد : ٢٠١٠).

جمعة ، احمد بشار

٢٤٣. فكرة الصراع في الأساطير والملاحم العراقية القديمة (٣٠٠٠ – ٢٠٠٠ ق . م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة واسط : ٢٠١١).

الحامد ، سعاد عائد

٢٤٤. الكتابات المسمارية المنشورة وغير المنشورة على صنارات الأبواب ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (الموصل : ٢٠٠٣).

حسين ، ليث مجيد

٢٤٥. الكاهن في العصر البابلي القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (بغداد : ١٩٩١).

حسين ، ولاء مهدي محمد

٢٤٦. الجوانب الفلسفية في فكر وادي الرافدين وأثره في العهد القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة بغداد : ١٩٩٩).

الذهب ، أميرة عيدان

٢٤٧. الكاهنات في العصر البابلي القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة بغداد : ١٩٩٩).

المحمدي ، زياد عويد سويدان

٢٤٨. التطورات السياسية والاقتصادية لمنطقة اعالي الفرات (٢٠٠٠ – ٦١٢ ق . م) ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، (بغداد).

الشمري ، طالب منعم حبيب

٢٤٩. الوضع السياسي في الشرق الأدنى القديم بين القرنين السادس عشر والحادي عشر قبل الميلاد ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، (جامعة بغداد : ١٩٩٦).

عبد اللطيف ، سجى مؤيد

٢٥٠. الحيوان في أدب العراق القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (بغداد : ١٩٩٧).

العكيلي ، رجاء كاظم عجيل

٢٥١. سلالة لجش الأولى (٢٥٥٠ – ٢٣٧٠ ق . م) والثانية (٢٢٥٠ – ٢١١٤ ق . م) دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة بغداد : ٢٠٠٦).

المعموري ، سالم يحيى

٢٥٢. المضامين السياسية في رسائل العصر البابلي القديم ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، (جامعة الموصل : ٢٠٠٦).

موسى ، مريم عمران

٢٥٣. الفكر الديني عند السومريين في ضوء المصادر المسمارية ، أطروحة دكتوراه غير منشورة، (١٩٩٦).

نهير ، علي فاضل

٢٥٤. العِقاب والثواب عند الآلهة في العراق القديم من الألف الثالث حتى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد ، رسالة ماجستير غير منشورة ،(جامعة واسط : ٢٠١٢).

ثانياً : المصادر الأجنبية

أ- الكتب

References

The Books

Black, Jeremy. Green, Anthony

255.Gods , Demons and Symbols of Ancient Mesoptamia An Illustrated Dictionary, UNIVERSITY OF TEXAS PRESS , AUSTIN.

Brandon , S .G . F

256.Creation Legends Of The ANE , S. G, F , (London : 1963).

Butionto , Ontr

257.Of the Moral Practices Of Certain Social Groups In Ancient Mesopotamia , Drugulin , (Leipzig : 1921).

Davies , W . W , D .PH

258.The Codes of Hammurabi And Moses (with copious comments , index , and Bible references) , copyright 190 and By Jbnnings and Graham.

FRANKFORT , HENRI

259.Kingship and the Gods (a study of Ancient Near Eastern Religion as the Integration of Society and Nature) , KG , The University of Chicago press , (Chicago : 1978).

The Foundation ston of the new Iraq Museum

260.The land of the Tow Rivers , G . w . Dray And son ltd Barking Essex , (England).

Gadd , C . J

261.The Early dynasties of Sumer and Akkad , Harrison and sons Ltd , (London : 1921).

Hallo.W.W

262.Road to Eawar,Jcs . vol .18 . (1964) , p76

Hallo , William . w . B , David

263.A Guided Tour through Babylonian History (Cuneiform Inscriptions in the Cincinnati Art Museum).

Jacobsen , Thorkild

264.The Ttreasures Darkness (A history of Mesopotamian Religion) , YUPN , (New Haven , London: 1976).

Jordan , Michael

265.GODS AND GODDESSES , No 2 , Facts On File , (New York : 2004).

and the athers

266.A History of Sumer And Akkad (AERBFPTFBM) , Chatto And Windus , (London : 1923).

Lammbert , W . G

267.Babylonian Wisdom Literature , CP , (Oxford : 1960).

Laneri , Nicola , and the Athers

268.Performing Death Social Analyses of Funerary Traditions In the ANE And Mediterranean , OIUC , (Chicago : 2007).

Jorgen, Laessoe

269.People Of Ancient Assyria , (1963).

Mieroop , Marc Van De

270.A History of the ANE ca (3000 – 323 BC) , Blackwell Publishing , (2005) , No2 .

Mack , Rosamond E

271.THE CODE OF HAMMURABI , Stste Organization of Antiguities and Heritage , (Baghdad – 1979).

Saycy , A , H

272.Assyria Its Princes Priests And People , RTS , No . 5 , (London : 1895).

Steele , Francisr

273.The Code Of Lipit – Ishtar , FAJ , No 2 , (1948) , p5.

Shea , William h

274.Articles Acomparison Of narrative Elements In Ancient Mesopotamian Creation – FWG (1 – 9) , (Michigan).

Safar , Fuad , in The others

275. ERIDU , State Organization of Antiquites and Heritage , (Baghdad 1981).

Satterfield , Bruce

276.Ancient Mesopotamian Temple Building In HTBI , (Brigham Young University – Idaho).

Studies and Researches **ب – الدراسات والبحوث**

Battenfield , James . R

277.Atra – Hasis : A Survey , GTJ , (Grace : 1971).

Finkelstein , J , J

278.Mesopotamian Historiography , Vol 107 , No 6.

Goetze , Albrecht

279.Historical Allusions in Old Babylonian Omen Texts , JCS , Vol 1 , No 3 , (USA : 1947).